جذور الاستبداد في

الفكر السياسي الوهابي
قراءة تحليلية

الفكر السياسي الوهابي
قراءة تحليلية

أحمد الكاتب

Ahmad@Alkatib.co.uk
www.Alkatib.co.uk

الطبعة الأولى لندن: 2003
الطبعة الثانية بيروت:2004
الطبعة الثالثة القاهرة:2008
الطبعة الرابعة بيروت:2011

الإهـــــــــــداء

الى أخي الحبيب الغالي الشهيد محسن

الذي قضى ظلماً في سـجون البعث وهـو يحلم بـبزوغ فجر الحرية

والى الشهداء الأحباب فاضل و رضا و عـــلي وعـادل و محمود

و... و...

والى جميع الشهداء و المجاهدين والأحرار في العراق

الـــذين عملـــوا و يعملـــون من أجـــل إقامـــة مجتمـــع ديموقراطي اسلامي عادل

المحتويات

مقدمة الطبعة الرابعة:
الزرقــاوي وأزمة الفكر الوهــابي في العراق

مقدمة الطبعة الرابعة

الزرقاوي وأزمة الفكر الوهابي في العراق

نشرت قبل حوالي عشر سنين كتابي "الفكر السياسي الوهابي.. قراءة تحليلية" الذي توصلت فيه الى أن جذر المشكلة في هذا الفكر يكمن في الاستبداد والعنف القائم على التكفير، وتطرقت في الفصل السادس من الكتاب الى المعارضة الوهابية والشورى، وخصوصا المعارضة الثورية المسلحة (تنظيم القاعدة) وقلت انها لا تختلف عن النظام السعودي الوهابي في الموقف من الاستبداد، لأنها تقوم على نفس الأسس التي يقوم عليها النظام، ولا تقدم بديلا جذريا ديموقراطيا. وكان حديثي بالدرجة الأولى يدور في إطار التجربة السعودية كنظام ومعارضة، ولم أتحدث عن الوهابية في سائر البلاد الاسلامية لأنها لم تكن قد قدمت تجارب يعتد بها أو يشار اليها بالبنان في ذلك الوقت. وقد صدرت الطبعة الأولى من الكتاب في عام 2003 قبل أن يبدأ أبو مصعب الزرقاوي بالعمل في العراق، تحت لواء مقاومة

الاحتلال الأمـــيركي. ومن المعلـــوم ان تجربة الزرقـاوي اختلفت عن سـائر حركـات المقاومة العراقية أنها لم تتوجه الى المحتل بقـــــدر ما تـــوجهت ضد قطاعـــات مختلفة من الشـــعب العــراقي، حيث ابتــدأت بــإعلان الحــرب على الحكومة العراقيـــة، ثم على عامة الشـــيعة ، واعتــبرت أهل الســنة المشــاركين في العملية السياســية والانتخابــات مرتــدين ومشــركين، وعندما تراجع بعض مؤيــديها الســابقين من أهل الســنة وشــكلوا "الصــحوات" اعتــبرتهم خونة ومرتـدين وأعلنت الحـرب عليهم أيضـا، وعنـدما رفضت بعض فصـــائل المقاومة العراقية إعلان خليفة الزرقـــاوي (أبو عمر البغـــدادي) لدولته "الاسلامية" في العراق لم يتردد الأخـير في فتح نيران اسلحته عليهم ومحاربتهم في كل مكان.

وكانت استباحة الزرقاوي للـدم العـراقي في ظل الاحتلال الأمـــيركي، وتمزيقه لصـــفوف الشـعب، أثـارت السـؤال عن الهـدف من وراء ذلك، في وقت كان يفـترض بـأي مقـاوم صـادق وشريف أن يعمل على توحيد كلمة الشـعب في مواجهة الاحتلال، الأمر الذي جر الى التســاؤل : هل كـان الزرقـاوي يعمل من حيث يشـعر أو لا يشعر في خدمة الاحتلال وعلى إخافة قطاعــات كبيرة من الشعب لكي تفضل اسـتمرار الاحتلال ولا تنخـرط في صـفوف المقاومـة؟ وإذا ابتعـدنا

أكثر في عمق الأمور حق لنا أن نطـرح السـؤال الأهم: كيف ولمـاذا قـام الزرقـاوي بـذلك العنف اللامبرر ضد الشعب العـراقي الـذي كـان يعيش تحت الاحتلال؟ وما هو الفكر السياسي الـــذي يستند اليه ويستمد منه دمويته المفرطة؟

لم يعرف كثير من الناس هوية الزرقـاوي ولا جــذوره الفكرية ولا علاقته بــالفكر الوهــابي، لا سـيما وإنه كـان لا يفتأ ينتقد النظـام السـعودي ويعلن الولاء لأسامة بن لادن المعارض الرئيسي لذلك النظام.

الآن وبعد مضي حــوالي ســبع ســنوات على تجربة الزرقاوي في العراق، أجد من الضــروري وأنا أقـــدم للطبعة الرابعة من كتـــاب "الفكر السياسي الوهـابي" أن أسـلط الضـوء على تلك التجربة وعلى جـــذورها الوهابية القائمة على التكفير والعنف والاسـتبداد، دون حاجة للحـديث عن آثارها السـلبية على وحـدة الشـعب وحريته ومقاومته للاحتلال، فهذه أمور أصـبحت واضـحة للجميع.

المقدسي والزرقاوي

الزرقـاوي هو أحمد فضـيل نـزال الخلايلة (ولد في الأردن عـام 1966) وتـأثر بأدبيـات الجهـاد الأفغاني فالتحق بالمجاهدين الأفغان الذين كانوا يقـاتلون الـروس، في أواخر الثمانينـات، وقضى

ثلاث سنوات حـتى 1992 حيث عـاد الى الأردن ليعتقل بتهمة الانتمـاء الى تنظيم مسـلح سـري هو "بيعة الإمـام"، ويـدخل السـجن لمـدة ثمانية أعوام. وتعـرف في أفغانسـتان على شخصـيتين رئيسـيتين هما أسـامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة، وعصـام محمد طـاهر المقدسي الـذي سيصبح مرشده الروحي ومعلمه في التسعينات من القرن العشرين.

وقد ولد المقدسي في برقة من أعمال نابلس في فلسطين سنة (1959) وانتقل مع أبويه في السـتينات للعيش في الكـويت، ودرس في جامعة الموصل في العـراق في أواخر السبعينات. حيث كانت أخبـار الثـورة الاسـلامية "الشيعية" في ايران، تملأ الأرجاء وتشكل تحديا كبـيرا للنظـام السـعودي والفكر الوهـابي، من حيث مقاومتها للامبريالية الأميركية والتزامها بالاسـلام والديموقراطيـة، وهي تجربة فريـدة ومعاكسة تماما للنظـام السـعودي الـذي يرفع شـعار الاسـلام والاسـتبداد والـولاء للولايـات المتحـدة الأميركيـة. وكشـاب فلسـطيني محبط من احتلال اسـرائيل لبلاده لا بد أن ينقم على كل نظـام عـربي خـانع لا يعمل من أجل تحرير بلاده المغتصبة، يمكن أن نتخيل المقدسي ناقما على النظـام السـعودي وان نشأ في بيئة وهابية في الكويت، ولنا أن نتصور موقفه بين الحركات

الفلســـطينية اليســـارية والاســـلامية الثورية المعارضة للسعودية، وهذا ما يفسر اهتمامه في بداية الثمانينات بأدبيـات حركة جهيمـان العتيـبي المعارض للسعودية، والذي احتل الحــرم المكي في غرة محـرم 1400 (1979) وأعلن صـاحبه محمد بن عبد الله القحطـــاني أنه "المهـــدي المنتظــر" ومجــدد الــدين على رأس القــرن الهجـري الخـامس عشـر، وطـالب المسـلمين بمبايعته.

وكانت حركة جهيمان تعارض النظام السعودي على أسس سلفية وهابية بحتة، وتشكل امتـدادا لحركة "الإخــوان" الوهابية الــتي ســاندت عبد العزيز بن ســعود في تأســيس دولته في مطلع القــرن العشــرين، ثم انقلب عليها وقضى عليها في الثلاثينـــات من ذلك القـــرن في معركة السبلة.

وربما عــززت الروابط القبلية بين المقدسي وجهيمان باعتبـار انتمائهما الى قبيلة واحـدة هي قبيلة عتيبة الممتـــدة من الجزيـــرة العربية الى فلســـطين، من انشـــداد المقدسي الى زعيم الحركة الـــذي قتل مع ســـتين من أنصـــاره في السعودية بعد حادثة الحرم.

والى جانب ذلك التقى المقدسي بزعيم حركة ســعودية أخـــرى معارضة ســرية هو الشـــيخ الســوري محمد ســرور بن نــايف زين العابــدين

(ولد في حوران 1938)، الذي كان عضوا في حركة الاخوان المسلمين في سوريا، ولجأ الى المملكة العربية السعودية في 1965، ودرَّس في المعهد العلمي في بريدة عاصمة القصيم . واستطاع أن يجمع بين الفكر السلفي الوهابي وفكر الاخوان المسلمين، وخاصة فكر سيد قطب الذي كان يدعو الى حاكمية الله ويعتبر القوانين الوضعية نوعا من الجاهلية.[1] وبما أن السعودية كانت قد أصبحت وهابية منذ قرون ولم يعد يوجد فيها قبور تزار أو تعبد من دون الله كما كان يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبالتالي لم تعد لها قضية معاصرة، فقد قام الشيخ محمد سرور بمحاولة لتجديد الوهابية وتسييسها وتثويرها، ونقد النظام السعودي الذي اتهمه بالخروج عن جادة التوحيد والوقوع في شرك الحاكمية. وانتقل في بداية الثمانينات الى الكويت ثم الى بريطانيا في التسعينات واستقر أخيرا في الأردن. وعندما كان في السعودية أسس حركة عرفت فيما بعد بالسرورية. وهي حركة انتقدت تبعية السلفية الوهابية الرسمية، ولا سيما "الجامية" و"المدخلية" و"المقبلية"[2] للنظام السعودي، ولكنها لم تصل الى حد تكفيره أو الخروج عليه

[1] - ولأخيه محمد قطب كتاب بعنوان: جاهلية القرن العشرين.

بالسيف وانما اقتصرت على اتباع سياسة "البعد عن السـلطان" و "اعـتزال الأمـراء" ونـادت بضرورة اتباع الأمراء للعلمـاء كما كـان مؤسسو الدولة السعودية الأولى يتبعون الشيخ محمد بن عبد الوهـاب، وربما كـان محمد سـرور في ذلك متأثرا بنظرية "ولاية الفقيه" الشـيعية الإيرانيـة. وقد اصطدمت الحركة "السـرورية" مع النظـام السـعودي ومشـايخ الوهابية التقليـديين في أعقـاب اسـتدعاء الملك فهد للقـوات الاميركية لمقاتلة صدام في حرب الكـويت 1991، وامتد تـأثر الحركة الى الكـويت والأردن والجزائر وسوريا واليمن والسودان وبلاد الخليج وأوربا.[3]

وقد أحاطت الحركتان بعصـام المقدسـي، ذلك الشاب الفلسـطيني المقيم في الكـويت والبـالغ حوالي العشـرين عاما في ذلك الـوقت، فـذهب الى المدينة المنـورة لكي يتم دراسة كتب ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب على يد شـيوخ الوهابية في السـعودية. وعنـدما عـاد المقدسي الى الكويت كان مشبعا بفكر التكفـير

---

[2] - وهي تيارات موغلة في التبعية للنظام السـعودي وتـدعو الى الطاعة المطلقة للحكـام، وعـدم تكفـيرهم بالكبائر، وتحرم حتى المعارضة السلمية لهم.

[3] - من أبرز رجال الحركة السـرورية في السـعودية: سفر الحوالي، وسلمان العودة، وناصر العمر، وعـايض القرني.

للســـــعودية على أسس وهابيـــــة، بحيث لم يستوعبه الشيخ محمد سـرور وقـام بفصـله من حركته "السرورية" في منتصف الثمانينات.[4]

قام المقدسي (سنة 1985) بـالتعبير عن آرائه بصـــراحة في كتـــاب ألفه تحت عنـــوان "ملة إبـراهيم ودعـوة الأنبيـاء والمرسـلين، وأسـاليب الطغـــاة في تمييعها وصـــرف الـــدعاة عنها " ولخص فيه الـــتراث الوهـــابي حـــول موضـــوع التوحيد بلغة معاصرة موجهة ضد الحكام بصورة عامة (وعلى رأسهم السعوديين) الـذين اتهمهم بـــأنهم لا يعملـــون بما أنـــزل الله ويحكمـــون القوانين الوضعية.

وقد جاء في ذلك الكتاب: "إن الطواغيت في كل زمان ومكان لا يظهرون الرضا عن الإسـلام أو يهادنونه ويقيمـون له المـؤتمرات وينشـرونه في الكتب والمجلات ويؤسســـــون له المعاهد والجامعات إلا إذا كان ديناً أعور أعرج مقصوص الجنـــاحين بعيـــداً عن واقعهم وعن مـــوالاة المؤمـنين والـبراءة من أعـداء الـدين وإظهـار العـداوة لهم ولمعبـوداتهم ومنـاهجهم الباطلـة. وإننا لنشـاهد هـذا واضـحاً في الدولة المسـماة

---

[4] - وقد تحـدث المقدسي عن ذلك في كتابه :"الـرد الميسور على مجازفات الشيخ محمد سـرور بن نـايف زين العابـدين في رده على أهل التـبين والتوقف ، وما جـــاء فيه من تخبيطـــات وغـــرور" والـــذي اتهمه فيه بالتخبط في أهم مهمات الدين وأخطر مسائل العقيدة.

"السعودية" فإنها تغر النـاس بتشـجيعها للتوحيد وكتب التوحيد، وبسماحها بل وحثها للعلماء على محاربة القبور والصوفية وشرك التمـائم والتوله والأشجار والأحجار.. وغير ذلك مما لا تخشاه ولا يضـــــرها أو يــــؤثر في سياســـــاتها الخارجية والداخلية.. وما دام هذا التوحيد المجزأ النــاقص بعيـداً عن السـلاطين وعروشـهم الكـافرة فإنه يتلقى منهم الدعم والمسـاندة والتشـجيع... وإلا فـأين كتابـات جهيمـان وأمثاله رحمه الله تعـالى التي تمتلىء وتزخر بالتوحيـد؟ لمـاذا لم تـدعمها الحكومة وتشجعها؟ رغم أنه لم يكن يكفرها في تلك الكتابـــات.. أم أنه توحيد يخـــالف أمزجة (الطغـاة) وأهـواءهم ويتكلم بالسياسة ويتعـرض للــولاء والــبراء والبيعة والإمــارة. (وراجع كلامه (أي جهيمــــــان) في مختصر رســــــالة الأمر بـــالمعروف والنهي عن المنكر من ص108 إلى 110 من الرسـائل السـبع) فقد وجدته متبصـراً في هـــذه القضـــية رحمه الله تعـــالى". وانتقد المقدسي الحكومـــــــات الاســــــلامية عموما فقال:"نحن نعايش في هذا الزمان انتشار شرك التحـاكم إلى الدسـاتير والقـوانين الوضـعية بين ظهرانينا، فيلزم ... تسـفيه قـدر هـذه الدسـاتير وتلك القوانين وذكر نقائصها للناس وإبداء الكفر بها وإظهار وإعلان العداوة لها ودعوة الناس إلى ذلـك.. وبيـان تلـبيس الحكومـات وضـحكها على الناس".[5]

وذهب المقدسي الى باكســـتان وأفغانســـتان ليبشر بفكره "التوحيدي" أو الوهابي التكفـيري

---

[5] - موقع التوحيد والجهـاد، التـابع للمقدسـي، بتـاريخ 5/11/2010 www.tawhed.ws/dl?i=iti4u3zp

المعارض، ويوزع كتبه بصورة سرية بين صفوف المجاهـدين وخاصة العـرب والسـعوديين (في معسـكر الصـديق والفـاروق) الـذين كـانوا ينقسمون بين فريقين مؤيد للسعودية ومعـارض لها، وبحث موضوع تكفـير السـعودية مع أسـامة بن لادن زعيم القاعـدة المسـاندة للمجاهـدين، ولكن ابن لادن لم يؤيـــــــده في إعلان كفر السـعودية في ذلك الـوقت.[6] فنشر المقدسي كتابه "الكواشف الجلية في كفر الدولة السـعودية". سـنة 1990 ولكن باسم مسـتعار هو (أبو البراء مرشد بن عبد العزيز بن سـليمان النجدي).

---

[6] - وكما أصبح معروفا فقد قام ابن لادن سنة 1997 بـإعلان خيانة **النظـام السـعودي للأمـة، ومـوالاة الكفّـــار ومناصـــرتهم ومظـــاهرتهم على المسلمين، واعتبـار ذلك من نـواقض الإسـلام العشـــرة. (وذلك في** رسـالة مفتوحة وجهها الى عامة المسـلمين وأبنـاء الجزيـرة العربية بالخصـوص).
وقام باتهام النظام السـعودي بـالردة و الكفر ، وقـال: ان "كل من اعان اميركا من حكام الـدول العربية عـبر توطين القواعد او اي نوع من انواع الدعم ولو بـالكلام ، في قتل المسـلمين ، عليه ان يعلم انه مرتد وخـارج عن الـدين الاسـلامي". (وذلك في رسـالة صـوتية الى قنـاة الجزيـرة يـوم عيد الأضـحى من سـنة 1423 المصادف 11 شباط 2003)

وفي الوقت الذي كان يفترض بالمقدسي الــذي يكفر الدولة السعودية (حكاما ورجال دين) على أساس الحكم بغير ما أنزل الله والـولاء للكفـار، أن يقـــترب من الشـــيعة والثـــورة الاســـلامية الايرانية الــتي قــامت على أســاس التــبرؤ من اميركا والـدعوة للعمل بالشـريعة الاسـلامية، الا انه حافظ على موقفه الوهـــابي التقليـــدي منها والمكفر لها وللشـــيعة، والـــذي عـــززه اســـتاذه السـابق محمد سـرور زين العابـدين الـذي ألف كتابه المضـــــاد للثـــــورة الايرانية "وجـــــاء دور المجــوس" ونشــره في بداية الثمانينــات، تحت اسم مستعار هو (عبد الله الغريب).

لقد كـــانت الحركة المعارضة (الســـرورية والجهيمانية والمقدســـية) ثـــورة على النظـــام الســـــعودي، ولكنها كـــــانت تحمل روح الفكر الوهابي التقليـدي المتمثلة في العنف والتكفـير. وبدلا من أن تقوم تلك الحركة "الثوريــة" بتحليل عوامل ســـقوط التجربة الوهابية في الشـــرك السياســي، كما كـانت تقـول، ومعالجتها جـذريا، فانها تعـــاملت مع الحالة بصـــورة ســـطحية، واكتفت بــالتكفير والخــروج، ولم تنظر الى دور الاســتبداد في الانحــراف، وتبعية شــيوخ الحركة الوهابية العمياء للنظام السـعودي. وبـدلا من أن تحجم الحركة "الثوريـــة" ســـلطات الملـــوك الســعوديين وتجعلهم تحت ســلطة الشــعب أو

الحركة الوهابيـــــــة، كما هو حـــــــال الأنظمة الديموقراطية الــتي تعطي الســلطة للجمــاهير وتفــرض هيمنتها وتوجيهها على الحكــام، فـــان الحركة الوهابية "الثوريـة" (وخاصة المقدسـية) ذهبت بالاتجاه المعاكس واعتبرت الديموقراطية والمجـالس النيابية والأنظمة الدسـتورية شـركا وكفرا بالله وخروجا عن الدين الاسلامي وعقيدة التوحيد. وربما كان المقدسي هنا متـأثرا بـالفكر السياسي الســـعودي الـــذي دأب على محاربة الديموقراطية واتهامها بالشـــرك والكفـــر. ولم يفـــــرق المقدسي بين الديموقراطية العلمانية المطلقة التي تجعل الانسـان مصـدر السـلطات بعيــدا عن تعــاليم الســماء، وبين الديموقراطية المقيدة بالشريعة الاسلامية ، والتي تهتم بكيفية انتخاب الحاكم وتحديد صلاحياته وتبادل السلطة بشــكل ســلمي وما الى ذلك من أمــور ، وهي الديموقراطية الـــتي أيـــدها معظم علمـــاء المسـلمين المعاصـرين، وقـامت على أساسـها الجمهورية الاسلامية في إيران.

ومع أن المقدسي كان يعيش في الكويت على هدير مدافع الحرب العراقية الايرانية المسـتعرة في الثمانينــات من القــرن الماضــي، الا أنه لم يفكر في جـــــذور الأزمة العراقية المتمثلة في ديكتاتورية صـدام حسـين والـتي دفعته الى شن الحـــرب العدوانية على الجمهورية الاســـلامية

الفتية في ايـــران، وربما كـــان المقدسي يؤيد الحرب لأنها "ضد الفـرس المجـوس" ولكن تلك الديكتاتورية لم تدعه يعيش مطمئنا في الكويت إذ عصفت به وبالكويت عام 1990 عنـدما احتل صـــــدام ذلك البلد الخليجي على حين غـــــرة، واضـطر المقدسي لمغـادرة الكـويت، مع 300 ألف فلســطيني وأردني ، نتيجة لوقـــوف الملك حسين والـزعيم الفلسـطيني ياسر عرفـات الى جانب صدام.

وعنـــــدما حط المقدسي رحاله في الأردن وجد ثمة انفتاحا ديموقراطيا حــديثا بعد فـترة طويلة من الاســتبداد والأحكــام العرفيـــة، وبـــدلا من الانخـــراط في الحيـــاة الديموقراطية كما فعل الاخوان المسلمون الأردنيـون، حـاول المقدسي الوقوف في وجه الانفتـاح الـديموقراطي وأعلن تكفـــــــير من يشـــــــارك في العمل السياسي والانتخابــات. وقـــال في كتابـــه: (الديموقراطية دين):"ان الديموقراطية دين غـــــــير دين الله ، وملّة غـــير ملة التوحيد ، وان مجالســـها النيابية ليست الا صروحا للشرك ومعاقل للوثنية ، يجب اجتنابها لتحقيق التوحيد الـــذي هو حق الله على العبيد ، بل الســـعي لهـــدمها ومعــاداة أوليائها وبُغضهم وجهادهم. وان هــذا ليس أمــرا اجتهاديا كما يحلو لبعض الملبســين أن يجعلـــوه ، بل هو شرك واضح مستبين وكفر بواح صـراح قد حـذر

الله تعـــــــالى منه في محكم تنزيله ، وحاربه المصطفى (ص) طيلة حياته".[7] وان " الطاغوت الـــــذي يجب عليك أن تكفر به وتتجنب عبادته لتستمسك بعــروة النجــاة الــوثقى ، ليس فقط أحجارا وأصناما وأشجارا وقبـورا تعبد بسـجود أو دعاء أو نذر أو طواف وحســب.. بل هو أعم من ذلك...ان الطاعة في التشريع عبادة لا يجـوز أن تصرف لغـير الله ، فلو صـرفها المـرء لغـير الله ولو في حكم واحد كــان بــذلك مشــركا"[8] " ان ترجمة الديموقراطية الحرفية هي: (حكم الشـعب أو سـلطة الشـعب أو تشـريع الشـعب) وهــــذا من أخص خصـــــائص الكفر والشـــــرك والباطل الذي يناقض دين الإسـلام وملة التوحيد أشد المناقضة ويعارضه أشد المعارضـــــــــة... فالديموقراطية كفر بالله العظيم وشــرك بــرب الســـماوات والأرضـــين ومناقضة لملة التوحيد ودين المرسلين".[9]

في ســـنة 1991 حمل المقدسي أمتعته ورحل من الأردن ليلتحق بأصدقائه المجاهـدين العـرب في أفغانستان ، وهناك التقى تلميذه الأردني أبو مصـعب الزرقــاوي الــذي عــاد معه الى الأردن

[7] - المقدسي : الديموقراطية دين ، ص 2 موقع منـبر التوحيد والجهاد، الخاص بالمقدسي

[8] - المصدر ، ص 2 - 3

[9] - المصدر ، ص 8

ليشـــكلا تنظيم "بيعة الامـــام" أو "الموحـــدون" ويـــدخلا السـجن معا بمعية بقية أفـــراد التنظيم سنة 1994، حيث أعلن المقدسي أمام محكمة أمن الدولة تكفـــير النظـــام الأردني بما فيه من "طواغيت وأسياد ومحاكم وسجون وأتباع".

وفي السجن اشتد عود أبو مصعب الزرقاوي ، ولم تمض سنوات حتى توفى الملك حسين عام 1999 فاطلق سراح الجميع بعفو ملكي، وغـادر الزرقـــاوي الى أفغانســـتان وحـــاول الالتحـــاق بتنظيم القاعدة وزعيمه ابن لادن الـذي كـان قد أعلن قبل عـــــام "الجبهة الاســــلامية العالمية لمواجهة الصليبية والصـهيونية". فأنشأ معسـكرا خاصا لتـدريب العـرب في هـيرات تحت رعاية حكومة طالبان، ولم تمض سنة حتى وقع هجـوم 11 سـبتمبر 2001 وشـنت الولايـات المتحـدة هجومها على أفغانستان، فترك الزرقاوي سـاحة المواجهة الحامية ليذهب الى كردسـتان العـراق الـتي أقـام فيها "أنصـار الاسـلام" السـلفيون قاعدة للعمل والانطلاق. وكان هؤلاء قد أقاموا علاقـــات حميمة مع تنظيم القاعـــدة فشـــكلوا الحاضنة للهاربين من أفغانستان.

السلفية في العراق

قبل ان نواصل الحديث عن نشاطات الزرقـاوي في العــراق في الســنين اللاحقة يجــدر بنا ان نتوقف قليلا لنلقي الضـــــوء على واقع الحركة السلفية العراقية التي شكلت الحاضـنة الكـبرى لحركة الزرقـــــــاوي، وموقع تلك الحركة من الخارطة الدينية في العراق.

من المعـــروف ان المســلمين في العـــراق يتوزعون بين سنة وشـيعة، ويغلب على الشـيعة المــذهب الامــامي الاثنا عشــري، بينما ينقسم الســنة الى أحنـاف، وهم أغلب العـرب الســنة والتركمان، وشوافع وهم الأكراد وبعض العـرب، ومالكية وهم بعض العــرب في الجنـــوب. كما يوجد قلة من الحنابلة يمثلهم بعض العـــرب في ضاحية الزبـير في أقصى جنـوب مدينة البصـرة.[10] ومن المعـــروف أيضا أن الأحنـــاف في بداية نشأتهم كانوا يميلون في عقائدهم الى المعتزلة ثم تبنوا المذهب الماتريدي، بينما تبنى الشوافع والمالكية المذهب الأشـعري الـذي يعتـبر مـذهبا وسـطا بين المعتزلة وأهل الحـديث (الحنابلـة).

---

[10] - كما يقول عبد العزيز بن صـالح المحمـود ، في كتابه "جهـود علمـاء العـراق في الـرد على الشـيعة" المنشـــور في موقع الراصــد، على العنــوان التــالي: **http://www.alrased.net/site/topics/view/880** دراسات/العدد الثالث والستون- رمضان 1428 هـ

وفي ظل الدولة العثمانية وربما قبل ذلك انتشرت بين السـنة الطـرق الصـوفية كالقادرية والنقشـبندية والرفاعيـة. وحـتى بداية القـرن التاسع عشر لم يكن يوجد في العـراق مـذهب يعرف بالسـلفي، ولا يـزال السـلفيون يرفضـون تصـنيف أنفسـهم كمـذهب مقابل المـذاهب الأخـرى، كما يرفضـون إطلاق اسم "الوهابيـة" عليهم، ويفضـلون مصـطلح "الموحـدون" أو "المسـلمون" أو "السـلفيون" بنـاء على العـودة الى إسلام السلف الأول قبل حدوث ما يعتقدون أنه انحـراف عـام لـدى المسـلمين حصل بالاسـتغاثة بالأوليـاء وزيـارة قبـورهم. ولكن "السـلفيين" في حقيقة الأمر يحملـون فكـرا متمـيزا ورؤية خاصة في موضـوع "التوحيـد" وتقسـيمه الى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهيـة، وقد رفع الـدعوة الى هـذا المـذهب الشـيخ الحنبلي السلفي محمد بن عبد الوهـاب في نجد في أواسط القـرن الثـامن عشر الميلادي، واعتمد على ما كتبه الشيخ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (1263- 1328) وابن القيم الجوزية (1292-1349) ، ولـذلك اشـتهر أيضا بالمـذهب الوهـابي.[11] وقد ابتـدأ انتشـار "السـلفية" أو

[11] - رغم تفضيل الوهابية استخدام مصطلح "السلفية" على نفسـها ، الا ان هـذا المصـطلح في الحقيقة غـير دقيق لأن الوهابية لا تتبع السـلف تماما وانما تنتقي بعض ما يعجبها منه وتترك ما لا يعجبها، كما انها تخالف

"الوهابية" في العراق بشـكل فـردي نتيجة تـأثر بعض الأشـــخاص بالحركة الوهابية في نجـــد، كالشـيخ نعمـان بن محمـود الآلوسي (1836 - 1899) وابن أخيه محمـــود شـــكري الآلوسي (1856 – 1924) الذي روج لمؤلفات ابن تيمية وابن القيم وشرح في كتابه "مسـائل الجاهليـة" أفكـــار محمد بن عبد الوهـــاب، والشـــيخ عبد الكـريم الصـاعقة (1867 – 1959) والشـيخ محمد بهجة الأثري (1904 – 1996)

ويمكن القول ان الحركة السلفية "الوهابيـة" انتقـدت بالدرجة الأولى الطـرق الصـوفية الـتي كـانت تـدعمها الدولة العثمانيـة، ولكنها كـانت تنتقد الشيعة والتشـيع أيضـا. وفي حين اعتـبرت "الوهابية" نفسها في وقت لاحق جـزءا من أهل السـنة بمعـنى من المعـاني (يخـالف مفهـوم الأحنـاف الماتريديـة، والمعتزلـة، والأشـاعرة المالكية والشـوافع) فـان "الوهابيـة" أعلنت الحـرب على الشـيعة والتشـيع، وضـخمت من نقاط الخلاف التاريخية الـتي كـانت بين الشـيعة والسنة (وهي خلافات سياسـية قديمة أساسـا) الى حد إخـراج الشـيعة من دائـرة الاسـلام، بالرغم من تعايش الفريقين منذ قرون طويلة.

السلف في كثير من الأمور، كتكفير من يسب الصحابة مثلا، وقد كان الامام علي يرفض تكفير الخوارج الـذين كانوا يكفرونه.

ومع أن الشـيعة شـهدوا منذ نشـأتهم وفي تاريخهم الطويل تطورات عديدة وضموا تيـارات مختلفة معتدلة ومتطرفــة، بائــدة ومعاصــرة، ومــروا بــأجواء سـلبية وإيجابيــة، فتحــالفوا مع الخلفاء العباسيين تـارة وتحـاربوا مع العثمـانيين تارة أخرى، فان السلفيين أو بالأحرى الوهـابيين الــذين نظــروا للشـيعة بعيــون ابن تيمية الــذي رسم صــورة نمطية مشــوهة لهم وأطلق على عـامتهم اسم "الرافضـة" وأصـدر عليهم أحكاما غوغائية وعشوائية مطلقــة، وقـال:"إن الرافضة أكذب طوائف أهل الأهـواء ، وأعظمهم شـركاً ، فلا يوجد في أهل الأهـواء أكـذب منهم ، ولا أبعد عن التوحيد ، حــتى إنهم يخربــون مســاجد الله الــتي يــذكر فيها إســمه، فيعطلونها عن الجمعة والجماعـات ، ويعمـرون المشـاهد الـتي أقيمت على القبـور الـتي نهى الله ورسـوله صـلى الله عليه وســلم عن اتخاذهــا". وأضــاف :"الرافضة أمة مخذولة ليس لها عقل صــــــريح ، ولا نقل صـحيح ، ولا دين مقبـول ، ولا دنيا منصـورة" .[12] ولم يكتف بـــذلك وانما حـــاول أن يلقي بظلاله على المستقبل أيضا فقال:"إذا صار لليهود دولةٌ بـــالعراق وغــيره، تكــون الرّافضــة من أعظم أعـــوانهم، فهم دائمـــاً يوالـــون الكفّـــار من

---

[12] - ابن تيمية ، اقتضـاء الصـراط المسـتقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ص 391 و ص439

المشركين واليهود والنّصـارى، ويعـاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم".[13] ومع أنه كان يتنبـأ بالغيب انطلاقا من أحقاد وأوهـام طائفيـة كـذبها التـاريخ والواقــع، الا أن "الوهابيــة" اســتلهموا أقواله وكأنهـا وحي مـنزل ونظـروا الى الشـيعة المعاصـــرين نظـــرة نمطية جامـــدة أيديولوجية تاريخية واحـدة ولم يفرقـوا بين الخاصة والعامة ولا بين المعتــدلين والمتطــرفين الغلاة، ولا بين جيل وآخـر، ولا بين الفـرق البائـدة والمعاصـرة، وأطلقـــوا اسم فريق منهم "الـــروافض" على جميع "الشـــيعة" واتخـــذوا منهم موقفا ســـلبيا شديدا، وبـالغوا في العـداء لهم أكـثر من العـداء لليهود والنصارى. وقد انعكس ذلك التطـرف في كتابات محمود شكري الآلوسي الذي كتب عــدة كتب ضد الشـيعة ككتـاب "السـيوف المشـرقة على مختصر الصـــواعق المحرقـــــة" و "صب العـــــذاب على من سب الأصـــــحاب". ولكن الســلفية لم يكونــوا جميعا ودائما على موقف واحد وانما كـانوا يتفـاوتون في عـدائهم للشـيعة والتشيع، وربما كان القيـادي في حركة الاخـوان المســـــلمين محمد أحمد الراشد (ولد 1938) أكـــثرهم اعتـــدالا. وفي الحقيقة ان الاخـــوان المســلمين في العــراق رغم تــأثرهم بالتيــار

---

13 - ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج 2 ، ص 208

السلفي وتتلمذهم على رجـال مثل عبد الكـريم الصـاعقة، الا انهم وبسـبب مشـروعهم بإعـادة الخلافة الاسـلامية واهتمـامهم بمقاومة المد الشـيوعي والتيـارات المعادية للاسـلام، وخاصة في الأربعينـات والخمسـينات والسـتينات من القـرن العشـرين، فقد انتهجـوا سياسة وحدوية واصلاحية وانفتحوا على الشـيعة ، أو كما يقـول بعض السـلفيين (كعبد العزيز بن صـالح المحمـود): "نسـوا قضـية التشـيع، ونشـرت مجلتهم (لواء الأخوة) سنة 1959 خبرا عن لقاء تـاريخي بين شـيخي الاسـلام السـيد محسن الحكيم والعلامة أمجد الزهاوي، وكـان الزهـاوي يرى أن المجتمع العـراقي شـرع بـالانحراف عن الإسلام بالكلية من قبل السنة والشيعة، لذا فإن فتح مسـألة التشـيع لا معـنى لها في الـوقت الحاضر". [14]

وفي خضم الأجـواء الثقافية العلمانية الـتي سادت في العراق في أيام مد الحزب الشيوعي وحـزب البعث وغيرهما من الأحـزاب الليبرالية

---

[14] - عبد العزيز بن صـالح المحمـود "جهـود علمـاء العراق في الـرد على الشـيعة" الحلقة السـابعة، موقع الراصـد، على العنـوان التـالي: **http://www.alrased.net/site/topics/view/880**

والوطنية والديموقراطية والتي كانت تضم شبانا من الشـــيعة والســـنة، ذاب المجتمع العـــراقي بعضه ببعض ولم يعد يعــرف المــواطن العــادي الشــيعي أو الســني الفــروق النظرية التاريخية الدقيقة بين الشيعة والسنة، وحصل تزاوج كبـير بين الفـريقين، ولكن مع عـودة الـروح للتيـارات الدينية الاسلامية (السنية والشيعية) في العقــود الأخيرة، عاد الشعور بالتمايز والتنافس، وقـامت الحركات السـلفية بتعميق ذلك الشـعور وتـأجيج الصراع بين الطرفين.

وبعد أن كـانت السـلفية ظـاهرة فردية في نشـأتها في العـراق تقتصر على بضـعة تلامـذة لبعض المشـايخ في العقــود الأولى والوســطى من القرن العشرين، تحولت الى ظاهرة منظمة وواسـعة في السـبعينات، وذلك في ظل ملاحقة نظـــام البعث للحركـــات الاســـلامية السياســـية المعارضة، الشـيعية (كحـزب الـدعوة) والسـنية (كحـــزب التحرير والاخـــوان المســـلمين) ولم يلتفت النظـــام البعـــثي الى نشـــاط الحركـــات السلفية حتى عام 1979 عنـدما اكتشف شـبكة ســـلفية منظمة في الموصل وبغــداد والبصـــرة بقيادة إبراهيم المشـهداني، ولكنه لم يجد لـديها أي برنـــــامج سياسي أو توجهـــــات انقلابية ولا طمــوح بتكــوين دولة اســلامية، فـأطلق عليهم (جماعة الموحدين) لاهتمامهم بالتوحيد والعقيدة

ومؤلفـات محمد بن عبد الوهـاب، وحكم عليهم بعقوبات سجن مخففة تتراوح بين سـنة وخمس سنوات بتهمة إنشاء جمعية غير مرخصـة. ولكن تلك الاعتقـالات لم توقف النشـاط السـلفي بل انه ازداد مع بداية الحـــرب العراقية الايرانية (1980-1988)، التي أيدوها بقوة بحجة محاربة الفكر الشـيعي وإيقـاف زحف ثـورة الخميـني، حيث وجد صـدام حسـين فيهم سـندا قويا في مواجهة الشـيعة وايـران، فـأطلق لهم العنـان. ولكن صدام عاد الى التضييق عليهم عنـدما غـزا الكويت في آب 1990 فقام باعتقـال السـلفيين وأعـدم مجموعة منهم ، كما قـام بحملة إعلامية ضد السـعودية والوهابيـة. وأطلق العنـان لنائبه عـزة الـدوري لـدعم الطـرق الصـوفية وخاصة النقشبندية.

وفي التسـعينات تـأثر السـلفيون العراقيـون بأفكـار ونظريـات عصـام المقدسـي، وظهـرت الاختلافات فيما بينهم حول الموقف من الحكـام ، فانقسموا الى سلفية مرجئة وسلفية تكفيرية، كما اختلفوا حول تكفـير الشـيعة وهل هم كفـار أصـليون أم مرتـدون؟ ومن منهم غـير كـافر؟ وانتشر الفكر السـلفي الجهـادي في جميع

المحافظات العراقيـة، خصوصا بعد قيـام تنظيم القاعدة بهجوم 11 سبتمبر 2001 . [15]

ونتيجة لتـأثر السـلفيين العراقـيين بأفكـار المقدسي اتخـــذوا مواقف ســـلبية جـــدا من الديموقراطية فنشر أحد الســـــــــلفيين وهو "أبوالفضل العراقي" بيانا حول "معـالم الطائفة المنصـورة في بلاد الرافـدين" [16] جـاء فيـه:"أن الحكم والتشــريع من خصــائص الله وحــده ... وان كل من رد أمــرا إلى غــير حكم الله وحكم بغير ما انزل الله اتبع تشـريعا حادثا لم يـأذن به الله فهو كافر خـارج عن ملة الإسـلام متبع حكم الجاهلية".(فقرة 5) و"أن الحاكم بغير ما أنــزل الله وطائفته المبـــدلين للشــــريعة هم كفــــار مرتدون والخروج عليهم بالسلاح والقــوة فــرض عين على كل مســــلم". (فقـــــرة 19) و" أن العلمانية على اختلاف راياتها ومســـــــــمياتها وأحزابها هي كفر بـواح مخـرج من الملـة، فمن اعتقـدها أو دعا إليها أو ناصـرها أو حكم بها فهو

15 - عبد العزيز بن صـالح المحمـود "جهـود علمـاء العراق في الـرد على الشـيعة" الحلقة السـابعة، موقع الراصــــــــــد، على العنـــــــــوان التـــــــــالي: **http://www.alrased.net/site/topics/view/880**

16 - منبر التوحيد والجهاد، http://www.almaqdese.com **و** http://www.tawhed.ws

كافر مشرك مهما تسمى بالإسلام وزعم أنه من المسلمين". (فقرة 20) و"أن الديمقراطية فتنة العصر تكرس ألوهية المخلوق وحاكميته وترد له خاصية الحكم والتشريع من دون الله، فهي كفر أكـبر مخـرج من الملة فمن اعتقـدها بمفهومها هذا أو دعا إليها أو ناصـرها أو حكم بها فهو مرتد مهما انتسب إلى الإســـــلام وزعم أنه من المســلمين". (فقــرة 21) و" أن أي طائفة من النــاس اجتمعــوا على مبــدأ غــير الإســلام هي طائفة ردة وكفر كــــالأحزاب القومية والوطنية والشــيوعية والبعثية والاشــتراكية".(فقــرة 22) و"أن الجماعات الإسلامية التي تدخل الانتخابات والمجالس التشـريعية هي جماعـات بدعية نـبرأ إلى الله من أفعالهـا". (فقـرة 28) و" نـبرأ إلى الله من ضـلالات الخبثــاء أهل التجهم والإرجــاء بطانة الطـــواغيت المرتـــدين وعينهم الحارسة على أمنهم وســلامتهم ونحــذر منهم ومن غيهم وإفسادهم وإضـلالهم". (فقـرة 30) و"نـؤمن أن الجهــاد في ســبيل الله هو الطريق الشــرعي الصـحيح الـذي يمكن الأمة من اسـتئناف حيـاة إسلامية وقيام خلافة راشدة على منهاج النبوة". (فقــرة 35) و"أن من ظــاهر المشــركين على المسلمين بأي نوع من أنواع المظاهرة أنه كافر كفـــرا أكـــبر". (فقـــرة 18) واتخذ أبو الفضل العــراقي أيضا موقفا ســلبيا من عامة الشــيعة

فقــال:"أن الشــيعة الــروافض طائفة كفر وردة وهم شر الخلق تحت أديم السماء".(فقرة23)

أميركا والشيعة والديموقراطية

إذن فقد أصــبح للســلفية الوهابية المقدســية عدوان رئيســيان في العــراق هما الديموقراطية والشيعة، وقد أضيف لهما عدو ثالث هو الاحتلال الأمــيركي، وقد اجتمع هــؤلاء الأعــداء في نظر السلفية في جبهة واحدة باحتلال أميركا للعــراق في 9/3/2003 ودعوتها لإقامة نظــــــــــام ديمـــوقراطي، وســـيطرة الشـــيعة على ذلك النظـــام. ورغم الـــدور الســـعودي والخليجي الوهـابي السـافر بـدعم احتلال العـراق وتقـديم قواعد للطـــيران وممـــرات أرضـــية (عرعر والكويت) الا ان السلفية صبت جام غضبها على الشــيعة العراقــيين المغلــوبين على أمــرهم واتهمتهم بمـوالاة الاحتلال، بينما لم تتحـدث عن النظــام الصــدامي الــذي هــرب من المواجهة العسكرية وترك الشعب الأعزل لقمة سائغة بيد الاحتلال.

وراحت الســلفية تســتعيد ذكريــات التــاريخ وتتحدث عن خيانة ابن العلقمي للدولة العباسية في مواجهة المغول، كما استعادت مواقع وهابية سعودية كـــ"مفكـرة الاسـلام" تـراث العثمـانيين

ضد الصـــفويين وفتــاوى التكفــير الــتي أطلقها "مشايخ الاسلام" ضد الشـيعة أيـام الحـرب بين الطرفين، ونشرت فتاوى لكبار علماء السعودية كـابن عـثيمن وابن جـبرين في تكفـير الشـيعة "الروافض" على حد زعمهم.[17]

ومن المعروف ان نظام صدام حسين قد انهار بصـورة مفاجئـة، بعد ثلاثة أسـابيع من الحـرب، ولجأ الى مخـابيء سـرية كـان أعـدها من قبل ليدير شبكات مقاومة خاصة بعثية مزودة بالمال والســلاح. وقد ابتــدأت تلك الشــبكات بالقيــام بعمليات مقاومة ضد القوات الأميركية المحتلـة، كما ابتــــدأت بعض المجموعــــات المســــتقلة الاسلامية والوطنيـة، السـنية والشـيعية، بالقيـام بعمليــات مقاومـــة، ولكن الخـــوف من عـــودة النظـام البعـثي الـديكتاتوري مـرة أخـرى الى الحكم، سواء بالانتصـار على القـوات المحتلة أو بالتفاوض معها، دفع قطاعات كبيرة من الشعب العراقي من العـرب والأكـراد والسـنة والشـيعة الى تــرجيح المقاومة الســلمية وبنــاء العــراق الجديد على أسس ديموقراطية وانتخـاب قيـادة وطنية تفاوض المحتل على الرحيل، أو مواجهته عـبر اللجـوء الى المقاومة الشـعبية. وقد شـجع تلك القطاعات على اختيـار الحل السياسي أولاً

---

[17] - الرافضـــــــة%20الشـــــــيعة/ http://www.islammemo.cc/search.aspx

رفع المحتل لشــــــــعار الديموقراطية وإعلانه احترام الإرادة الشـعبية إضـافة الى تلـويح بعض فصـائل المقاومة بالعمل من أجل إعـادة نظـام البعث أو الديكتاتوريـة.[18] وهـذا ما حـدث عنـدما رضخ المحتل لفتــوى المرجع الشــيعي الســيد علي السيســتاني الــذي طــالب فيها بــإجراء انتخابـات حـرة ونزيهة لاختيـار مجلس تأسيسي يصوغ الدستور بإرادة عراقية ثم إجراء انتخابات برلمانية لاختيــــــــار رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء.

وعبرت تلك الفتوى عن تطور كبير وجـوهري في الفكر السياسي الشــيعي، وتجــاوز لنظرية الإمامة الإلهية الـتي كـان يعتقد بها الشـيعة من قبل والتي تشترط العصــمة والنص من الله في الإمـــام وتسلسل الإمامة في الســـلالة العلوية الحســينية، وشــكلت تلك الفتــوى خطــوة الى

---

18 - اعـترف الـدكتور صـلاح الـدين الأيـوبي، النـاطق الرسمي لجيش رجـال الطريقة النقشـنبدية، في حـوار مع أعضـاء شـبكة حـنين بتـاريخ 26/8/2009، بعلاقة جيشه بنظام صدام سياسيا وعسكريا وعقائديا، والولاء له باعتباره السلطة الشرعية **، وبانضمام كثــير من البعثــيين وفــدائيي صــدام وضــباط ومــراتب وخــبراء الجيش العـراقي الســابق في الجيش النقشـــبندي، وبالعمل من أجل إعـــادة البعث لحكم العـــــــــــــــــــــراق.** http://hanein.info/vbx/showthread.php?t=90321

الأمام حتى بالنسبة لنظام الجمهورية الاسـلامية الايرانية الذي خضع لقيادة الفقهاء الشيعة، حيث لم يشترط السيستاني خضوع النظـام العـراقي الجديد لولاية الفقيـه. وقد حل بـذلك العقـدة التاريخية المزمنة بين الشـيعة والسـنة والـتي كـانت تـدور حـول طبيعة النظـام السياسي وضـرورة انتخـاب الحـاكم عـبر الشـورى أو بواسطة التعيين من الإمـام السـابق أو من قبل النبي الأكرم (ص). وكان من المتوقع أن ينصـهر الشعب العراقي بسنته وشـيعته وعربه وأكـراده وتركمانه وسـائر أقلياته في نظـام ديمـوقراطي جديد يـوفر العدالة والمسـاواة للجميـع، ويقضي على الخلافات التاريخية العقيمة التي تفـرق بين المسلمين.

ولكن الخيار الـديموقراطي لم يعجب الحركة السـلفية الـتي تـرفض الديموقراطية مبـدئيا ولا تحترم إرادة الشعب العراقي "الكـافر والمرتـد" في نظرهـا، وتطمح الى إقامة نظـام حكم ديكتاتوري باسم الاسلام وإعادة الخلافة، وتعتمد القوة والعنف سبيلا وحيدا لتحقيق أهـدافها. وهنا التقت مصالح حزب البعث من جهة، والجماعات السـلفية بقيـادة الزرقـاوي من جهة أخـرى، ووضـعوا خطة مشـتركة لمهاجمة الجمـاهير العراقية (الشيعية) والحكومة العراقية أكـثر من مهاجمة القـوات الأميركية المحتلـة، من أجل

إفشـــال العملية السياســية واســقاط النظـــام الجديد.[19]

وكــان أبو مصـعب الزرقــاوي قد انتقل الى العـــراق بعد ســـقوط أفغانســـتان، ووجد بعد ســقوط صــدام الجو مناســبا لتنفيذ مشــروعه بإقامة "دولة اســـلامية" عـــبر احتلال العـــراق بـــالقوة باسم تحريـــره من الاحتلال الأمــيركي، وقــال الزرقــاوي لزميل له في قيــادة مجموعة "التوحيد والجهـــــــاد" الأردنيـــــــة: محمد أبو المنتصــر:"إن أهم الأهــداف الــتي نســعى اليها نشر دعـــوة التوحيـــد. والتوحيد يعـــني: نظـــام الحاكمية في الاســـلام والـــذي يُعتـــبر أخص خصــائص توحيد الألوهيــة، فــدعوة التوحيد الــتي

---

19 - قام الزرقاوي بتنفيذ عدة اعتداءات دموية ضد الجماهير الشـيعية ، ومن أبرزهـا: تفجـير السـيد محمد بــاقر الحكيم مع ثمــانين شخصا بعد صــلاة الجمعة في مرقد الامـــام علي بتـــاريخ 28/8/2003، والاعتـــداء بالسـيارات المفخخة في كـربلاء بتـاريخ 27/12/2003 راح ضـحيتها 19 قــتيلا و200 جريحــا، وتفجـير الــزوار الشــيعة في كــربلاء وأحد مســاجد بغــداد في ذكــرى عاشـــوراء بتـــاريخ 2/3/2004 أدت الى مقتل 170 شخصا واصابة 550 والقيام بعملية انتحارية أمام مبـان ادارية في الحلة بتــاريخ 28/1/ـ 2005 أدت الى مقتل 118 شخصا وجــرح 147 ، وكــذلك القيــام بعملية انتحارية ضد العمـــال الشـــيعة في الكاظمية بتـــاريخ 15/9/2005 أدت الى مقتل123 وجــرح 223 مواطنا في محاولة لإشعال فتنة طائفية، ندد بها زعماء السنة.

نسـعي لنشـرها هي المطالبة بتحكيم شـرع الله والكفر بالأنظمة والقوانين والدسـاتير والشـرائع الوضعية، سواء كـانت أنظمة ديمقراطية أو غـير ديمقراطيـــة. لـــدينا مجموعة من الرســـائل الشرعية الخاصة بدعوتنا، ويجب علينا أن ننشط في هذه الـدعوة للحيلولة دون مشـاركة النـاس في الانتخابات النيابية القادمة".[20]

وكـــــان موقف الزرقـــــاوي من الانتخابـــــات والديموقراطية مخالفا لغالبية الشـعب العـراقي من الشـيعة والسـنة والأكـراد، وحـتى من بعض السـلفيين الـذين لم يجـدوا بأسا من المشـاركة فيها بنـاء على فتـاوى سـابقة أصـدرها اسـتثنائيا الشيخ عبد العزيز بن باز مفـتي المملكة العربية السـعودية والشـيخ ابن عـثيمين وغيرهما من علماء المملكة، للسلفيين في الكـويت والجزائر واليمن للمشاركة في الحياة الديموقراطية.[21]

الزرقـاوي: الدسـتور والانتخابـات من أعظم ما يناقض الاسلام

---

[20] - فؤاد حسين 2005 :" الزرقاوي .. الجيل الثـاني للقاعـدة " عن شـهادة بقلم محمد أبو المنتصر ، **دار الخيال للطباعة والنشر، القاهرة**

[21] - موقع ابن عثمين http://www.ibnothaimeen.com/all/soun...le_16230.shtml

عندما تقررت الانتخابات الدستورية في العراق في أيام رئيس الـوزراء العـراقي المـؤقت إيـاد علاوي، أصدر 350 شخصية سنية عراقية بينهم بعض الســـلفيين بيانا دعــــوا طــــائفتهم الى المشاركة بكثافة في الانتخابـات المقبلـة، فـرد الزرقاوي ببيان رافض للانتخابـات، واصـفا إياها بأنها "لعبة أميركيــــة" ومتوعــــدا بمواصــــلة "الجهاد". وجـاء في البيـان الـذي نشـره موقع إســلامي على الانــترنت "إخــوانكم في تنظيم قاعـدة الجهـاد في بلاد الرافـدين ماضـون في جهـادهم حـتى ترفـرف راية التوحيد في سـماء الرافـدين." وأضـاف: "إننا أعـداء الديمقراطية وأعداء كل من يـدعون إليهـا، ولن نرضى بحكم غير حكم الله وحكم رسوله. فنحن أتبـاع محمد لا أتبـــاع بـــوش أو علاوي". ووجه خطابا الى أئمة وخطباء المساجد في بلاد الرافدين، قـائلا: إعلموا أنكم مسؤولون أمام الله تعالى عن كل كلمة تتفوهــون بهــا" بشــأن الاســتفتاء على الدسـتور. وأوضـح: "نعلن نحن تنظيم القاعـدة في بلاد الرافدين أننا سـنقيم حد الـردة في كل من يدعو إلى كتابة الدستور والتحاكم إلى غــير شرع الله تعالى".[22]

[22] - وكالات أنباء، صحيفة الرياض، بتاريخ 26/8/2005

http://www.alriyadh.com/2005/08/14/article87411.print

ثم شرح الزرقاوي رأيه الرافض للديموقراطيـة، في كلمة نشـرها موقع "منـبر التوحيد والجهـاد" التـابع لاسـتاذه المقدسـي. ونظـراً لأهميتها في توضيح منطلقاته سنورد مقتطفات واسعة منهـا، فقد جـاء فيها ما يلي:"لعب الأمريكـان بعقـول كثـــير من الشـــعوب بأكذوبـــة؛ "الديمقراطية المتحضـــرة"، وأوهموها أن ســـعادتها ورفاهيتها مرهونة بهـذا المنهج البشـري القاصـر. وبعـدها بررت إدارة الكفر الأمريكية حربها على العـراق وأفغانستان؛ بأنها حامية الديمقراطية في العالم وراعيتها الأولى.

وعلى أرض العراق أُنشـأت "الحكومة العلاويـة" لهذا الغرض؛ أي لغرض التلبيس والتـدجيل على عقول العراقيين والعالم، وللإيهام بـأن الولايـات المتحدة جـادة في إقامة وطن عـراقي مسـتقل وديمقــراطي، فتســتُر بــذلك أهــدافها ومراميها الصـــــــــليبية في المنطقة في التمكين لدولة اسرائيل الكبرى، وتخفي أطماعها ونواياها تجـاه ثروات العراق وخيراته.

وإن من أعظم ما حـــرص الإســـلام على بقـــاء صفائه ونقائه وتمـيزه؛ هو شخصـية هـذا الـدين، وقبوله كما أنــزل بــأوامره وزواجــره وحــدوده وقواعــده، بعيـداً عن التمـييع والتشـويه، والغلو

والإفـراط والتفريـط، وهـذا ما جـاء مؤكـداً في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

جاءت الديمقراطية لتقول لنا؛

إن الشـعب في النظـام الـديمقراطي هو الحكم والمرجـــــــع، وله كلمة الفصل والبت في كل القضايا، فحقيقته في هذا النظـام تقـول؛ "لا راد لقضـــــائه ولا معقب لحكمـــــه، له الحكم وإليه يرجعون، إرادته مقدسة، واختياره ملـزم، وآراؤه مقدمة محترمـة، وحكمه حكمة عـدل، من رفعه رفـع، ومن وضـعه وضـع، فما أحله الشـعب هو الحلال، وما حرمه هو الحرام، وما رضـيه قانونـاً ونظامــاً وشــريعة فهو المعتــبر، وما عــداه فلا حرمة له ولا قيمة ولا وزن، وإن كان ديناً قويمــاً وشرعاً حكيماً من عند رب العالمين"!

وهذا الشعار - أعني حكم الشعب للشــعب - هو لب النظــام الــديمقراطي وجـــوهره ومحـــوره وقطب رحــاه الــذي تــدور عليه كل قضــاياه ومسائله، فلا وجـود له إلا بـذلك. فهـذا هو "دين الديمقراطية"، الذي يُبجل ويُعظم جهـاراً نهـاراً، وهذا ما يقرره منظروها ومفكروها ودعاتها على رؤوس الأشــهاد، وهو ما نشــاهده ونلمسه في الواقع الـذي نـراه ونعاينه. فالديمقراطية - على

اختلاف تشعباتها وتفسيراتها - تقوم على مبـادئ وأسس نوجز أهمها في النقاط التالية:

أولاً:

تقــوم الديمقراطية على مبــدأ أن الشــعب هو مصـــــدر الســــلطات، بما في ذلك "الســــلطة التشريعية"، ويتم ذلك عن طريق اختيار ممثلين عن الشــعب ينوبـــون عنه في مهمة التشـــريع وسن القوانين، وبعبـارة أخـرى؛ فـإن المشـررع المطـــاع في الديمقراطية هو الإنســـان وليس الله، وهذا يعني أن المألوه المعبود المطــاع من جهة التشــريع والتحليل والتحــريم هو الشــعب والإنســان والمخلــوق، وليس الله تعـالى. وهــذا عين الكفر والشرك والضلال، لمناقضته لأصــول الــدين والتوحيــد، ولتضــمنه إشــراك الإنســان الضــعيف الجاهل مع الله ســبحانه وتعــالى في أخص خصائص إلاهيته، ألا وهو الحكم والتشريع.

قـال تعـالى: (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبـدوا إلا إياه)، وقال تعالى: (ولا يشرك في حكمه أحداً). وقال تعالى: (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى اللــه)، وليس إلى الشــعب أو الجمــاهير أو الكـثرة الكـاثرة. وقـال تعـالى: (أفحكم الجاهلية يبغــــون ومن أحسن من الله حكمــــاً لقــــوم يوقنــون)، وقــال تعــالى: (قل أفغـير الله أبتغي

حكمـاً وهو الـذي أنـزل إليكم الكتـاب مفصـلاً). وقـال تعـالى: (أم لهم شـركاء شـرعوا لهم من الـــدين ما لم يـــأذن به اللـــه)؛ فســـمى الـــذين يشـرعون للنـاس بغـير سـلطان من الله تعـالى "شـركاء" و "أنـدادا". وقـال تعـالى: (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم واحذرهم أن يفتنــوك عن بعض ما أنــزل الله إليــك)، وقــال تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله).

جـاء في الحـديث عن عـدي بن حـاتم، لما قـدم على النبي صلى الله عليه وسلم - وهو نصراني - فســمعه يقــرأ هــذه الآيــة: (اتخــذوا أحبــارهم ورهبانهم أرباباً من دون اللـه)، قـال: فقلت لـه: (إنا لسنا نعبدهم) - أي لم نكن نعبـدهم من جهة التنسك والــدعاء والســجود والركــوع، لظنه أن العبـادة محصـورة في هـذه المعـاني وحسب - قــال: (أليس يحرمــون ما أحل الله فتحرمونــه، ويحلـون ما حـرم الله فتحلـون؟)، قـال: فقلت: (بلى)، قــال: (فتلك عبــادتهم). ورحم الله ســيّد قطب إذ يقــول: (إن النــاس في جميع الأنظمة الأرضية يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون اللــه، يقع في أرقى الـديمقراطيات، كما يقع في أحط الـديكتاتوريات، سـواء). وقـال: (أظهر خصـائص الألوهية بالقيــاس إلى البشــرية؛ تعبيد العبيــد، والتشريع لهم في حياتهم، وإقامة الموازين لهم،

فمن ادعى لنفسه شيئاً من هذا كله؛ فقد ادعى لنفسه أظهر خصــائص الألوهيــة، وأقــام نفسه للنــاس إلهــاً من دون اللــه). وقــال: (إن الــذي يملك حق التحـــريم والتحليل هو الله وحـــده، وليس ذلك لأحد من البشر، لا فرد ولا طبقة، ولا أمــة، ولا النــاس أجمعين إلا بســلطان من الله ووفق شريعة الله) انتهى كلامه.

ثانيـــــــــــــــــــــــــــــاً:

تقـــوم الديمقراطية على مبـــدأ حرية التـــدين والاعتقاد، فللمرء في ظل الأنظمة الديمقراطية أن يعتقد ما يشـاء، ويتـدين بالـدين الـذي يشـاء، ويرتد إلى أي دين وقتما شـــاء، وإن كـــان هـــذا الارتداد مؤداه إلى الخـروج عن دين الله تعـالى، إلى الإلحاد وعبادة غير الله عز وجل.

وهـذا أمر لا شك في بطلانه وفسـاده، ومغايرته لكثير من النصوص الشـرعية، إذ أن المسـلم لو ارتد عن دينه إلى الكفــر، فحكمه في الإســلام: القتــل، كما في الحـديث الــذي يرويه البخــاري وغـــيره: (من بـــدل دينه فـــاقتلوه)، وليس "فــاتركوه"! فالمرتد لا يصح أن يعقد له عهد ولا أمـــان ولا جـــوار، وليس له في دين الله إلا: الاستتابة أو السيف.

ثالثـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــاً:

تقـوم الديمقراطية على اعتبـار الشـعب حكمـاً أوحـد، تُـرد إليه الحكومـات والخصـومات، فـإذا حصل أي اختلاف أو نـــــــزاع بين الحــــــــاكم والمحكوم؛ نجد أن كلاً من الطرفين يهـدد الآخر بـــالرجوع إلى إرادة الشــــعب وإلى اختيـــاره، ليفصل الشــــعب ما كـــان بينهما من نــــزاع أو اختلاف. وهذا مغـايرٍ ومنـاقض لأصـول التوحيـد، الـتي تقـرر أن الحَكَم الـذي يفصل بقضـائه بين النزاعات هو الله تعالى، وليس أحد سواه، قـــال تعـالى: (وما اختلفتم فيه من شـيء فحكمه إلى اللــــه). بينما الديمقراطية تقـــول؛ "وما اختلفتم فيه من شــيء فحكمه إلى الشـعب، وليس إلى أحد غير الشعب"!

وقـــال تعـالى: (يا أيها الـذين آمنـوا اطيعـوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شــيء فــردوه إلى الله والرســول إن كنتم تؤمنـــون بالله واليــوم الآخـــر). قـــال ابن القيم رحمه الله تعــالى في كتابه "إعلام المـــوقعين": (جعل هذا الـرد من موجبـات الإيمـان ولوازمـه، فـإذا انتفى هـذا الـرد، انتفى الإيمـان، ضـرورة انتفاء الملزوم لانتفاء الآخر) انتهى كلامه.

ثم إن إرادة التحاكم إلى الشعب أو إلى أي جهة أخرى - غير الله تعالى - يعتـبر في نظر الشـرع من التحاكم إلى الطاغوت الذي يجب الكفر بـه، كما قال تعالى: (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنـزل من قبلك يريـدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به)، فجعل الله سـبحانه وتعـالى إيمـانهم زعمـاً ومجرد ادّعاء لا حقيقة له، لمجرد حصول الإرادة في التحـاكم إلى الطـاغوت وإلى شـرائعه. وكل شرع غير شرع اللـه، أو حكم لا يحكم بما أنـزل الله؛ فهو يدخل في معنى الطاغوت الـذي يجب الكفر به.

رابعـــــــــــــــــــــــــــــــاً:

تقـــوم الديمقراطية على مبـــدأ حرية التعبـــير والإفصاح، أياً كان هـذا التعبـير، ولو كـان مفـاده طعناً وسـباً للـذات الإلهية وشـعائر الـدين، إذ لا يوجد في الديمقراطية شــيء مقـــدس يحـــرم الخوض فيه أو التطاول عليه بقبيح القـول. قـال تعالى: (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلم)، وقال تعـالى: (ولئن سـألتهم ليقـولن إنما كنا نخـوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسـوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمـانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة).

خامســـــــــــــــــــــــــــــــاً:

تقـوم الديمقراطية على مبـدأ؛ فصل الـدين عن الدولة وعن السياسة والحياة، فما لله لله - وهو فقط العبـادة في الصـوامع والزوايا - وما سـوى ذلك من مرافق الحيـاة السياسـية والاقتصـادية والاجتماعية وغيرهــــا، فهي من خصوصـــــيات الشعب. (فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشـركائنا فما كـان لشـركائهم فلا يصل إلى الله وما كـان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون).

وهـذا القـول منهم؛ معلـوم من ديننا بالضـرورة فساده وبطلانه وكفر القائل به، لتضمنه الجحود الصـريح، كما هو معلـوم من الـدين بالضـرورة، فهو جحـود صـريح لبعض الـدين الـذي نص على أن الإسلام دين دولة وسياسـة، وحكم وتشـريع، وأنه أوسع بكثير من أن يُحصر في المناسـك، أو بين جدران المعابد.

وهـــذا مما لاشك فيه أنه كفر بـــواح بـــدين الله تعالى، كما قال تعالى: {أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفـرون ببعض فما جـزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحيـاة الـدنيا ويـوم القيامة يـردون إلى أشد العــذاب}، وقــال تعــالى: {ويقولــون نــؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريـدون أن يتخــذوا

بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً وأعتـدنا للكافرين عذاباً اليماً).

سادســــــــــــــــــــــــــــاً:

تقـــوم الديمقراطية على مبـــدأ حرية تشـــكيل التجمعات والأحزاب السياسية وغيرها، أياً كانت عقيدة وأفكار وأخلاقيات هذه الأحزاب.

وهذا مبدأ باطل شرعاً، وذلك من أوجه:

منها؛ أنه يتضمن الإقرار والاعتراف - طوعـاً من غير إكراه - بشرعية الأحـزاب والجماعـات، بكل اتجاهاتها الكفرية والشـــركية، وأن لها الحق في الوجـود، وفي نشر باطلها وفسـادها وكفرها في البلاد وبين العبـــاد. وهـــذا منـــاقض لكثـــير من النصـــوص الشـــرعية، الـــتي تُثبت أن الأصل في التعامل مع المنكر والكفـــر؛ إنكـــاره وتغيـــيره، وليس إقراره والاعتراف بشرعيته، قـال تعـالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكـون الـدين كله للــه). قــال ابن تيمية رحمه اللــه: (فكل طائفة ممتنعة عن الـتزام شـريعة من شـرائع الإسـلام الظـاهرة المتـواترة؛ يجب جهادها حـتى يكـون الدين كله لله بإتفاق العلماء) انتهى كلامه رحمه الله.

ومنهـــا؛ أن هذ الاعـــتراف الطـــوعي بشـــرعية الأحزاب الكافرة يتضمن الرضى بالكفر، وإن لم يصرح بفمه أنه يرضى بحريتها، والرضى بالكفر؛ كفر.

قال تعالى: (وقد نـزّل عليكم في الكتـاب أن إذا ســـمعتم آيـــات الله يكفر بها ويُســـتهزأ بها فلا تقعـدوا معهم حـتى يخوضـوا في حـديث غـيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جـــــامع المنـــــافقين والكافرين في جهنم جميعا).

ومنهـا؛ أن من لــوازم الاعــتراف بهــذا المبــدأ؛ السـماح للأحـزاب الباطلة - بكل اتجاهتها - بـأن تبث كفرها وباطلهـا، وأن تغـرق المجتمع بجميع صنوف الفسـاد والفتن والأهـواء، فنعينهم بـذلك على هلاك ودمار البلاد والعباد.

ســــــــــــــــــــــابعاً:

تقـــوم الديمقراطية على مبـــدأ اعتبـــار موقف الأكثريـــــة، وتبَنّي ما تجتمع عليه الأكثريـــــة، ولو اجتمعت على الباطل والضــلال والكفر البــواح، فــالحق في نظر الديمقراطية - الــذي لا يجــوز الاســـــتدراك أو التعقيب عليه - هو ما تقــــرره الأكثرية وتجتمع عليه، لا غير.

وهـذا مبـدأ باطل لا يصح على إطلاقـه، حيث إن الحق في نظر الإســـلام هو ما يوافق الكتـــاب والسنة، قل أنصاره أو كثروا، وما يخالف الكتاب والســـنة؛ فهو الباطـــل، ولو اجتمعت عليه أهل الأرض قاطبة.

قــال تعــالى: (وما يــؤمن أكــثرهم بالله إلا وهم مشركون). وقال تعالى: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضـــلوك عن ســـبيل الله إن يتبعـــون إلا الظن وإن هم إلا يخرصـــــــون)، فـــــدلت الآية الكريمــة؛ أن طاعة واتبــاع أكــثر من في الأرض ضـلال عن سـبيل الله تعـالى، لأن الأكثرية على ضـلال، ولا يؤمنــون بالله إلا وهو يشــركون معه آلهة أخرى. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لعمر بن ميمـــون: (جمهـــور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، والجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك). وقال الحسن البصـري: (فـإن أهل السـنة كـانوا أقل النـاس فيما مضـى، وهم أقل النـاس فيما بقي، الـذين لم يـذهبوا مع أهل الإتـــراف في إتـــرافهم، ولا مع أهل البـــدع في بـدعهم، وصـبروا على سـنتهم حـتى لقـوا ربهم، فكونوا كذلك

ومما يلفت النظر ويشـــتد له العجب... أنه رغم ما جرّت التجـارب الديمقراطية على المسـلمين من نتـائج سـيئة ووخيمــة، أفضت إلى الضـعف

والاختلاف والتفــرق والشــقاق والــنزاع، حيث الجماعة أصــبحت جماعــات، والحــزب أصــبح أحــزاب، والحركة أصــبحت حركــات متنــافرة متباغضة.

رغم كل ذلك وغير ذلك مما يشين؛ فـإن أقوامـاً لا يزالــون يســتعذبون الديمقراطية وينــافحون عنها، كأنهم أربابها وصانعيها، أشربوا في قلوبهم حب الديمقراطية كما أشــرب بنو إســرائيل من قبل في قلـــــوبهم حب العجـــــل، فما نفعهم سـمعهم؛ فـردعتهم الآيـات القرآنية والنصـوص الشــــرعية، ولا نفعتهم عقــــولهم وأبصــــارهم؛ فبصـــرتهم بـــالواقع المرير النـــاتج عن تطـــبيق الديمقراطية.

وتعذر بعضهم بشـبهة "المصـلحة" و "الوصـولية للقـــرار والســـيادة عن طريق الديمقراطيـــة"، واتخذوها سبيلاً لنيل المقاصد الشرعية والدينية، ولم يلتفتوا لشرعية هذه الوسـائل وأحكامها في دين الله عز وجـل، ودخلـوا من جحر المسـاومة والمقايضة على ثــوابت العقيــدة والمنهج باسم "المصلحة" و "الغاية".

روى الطـبري في تفسـيره قـال: لقي الوليد بن المغـــيرة، والعـــاص بن وائـــل، والأســـود بن المطلب، وأمية بن خلف؛ رسول الله صـلى الله

عليه وسـلم، فقـالوا: (يا محمـد! هلم فلنعبد ما تعبـد، وتعبد ما نعبـد، ونُشـركك في أمرنا كلـه، فإن كان الـذي جئت به خـيراً مما بأيـدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كـان الـذي بأيـدينا خـير مما في يـديك كنت قد شـركتنا في أمرنا وأخـذت منا بحظـك)، فـأنزل اللـه: (قل يا أيها الكافرون)، حتى انقضت السورة.

إننا نجد في هذه الحادثـة؛ أن قريشـاً طلبت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتنازل لها، وتتنازل له، حتى يلتقيا حول نقطة واحدة.

وقد يقـول قائل: لو أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وافقهم على ذلك وطلب منهم أن يبدؤوا بعبادة الله أولاً، فإنهم إذا عرفـوا الإسـلام لن يرجعوا عنـه، وفي هـذا تحقيق مكسب كبـير للإسلام، وتحقيق انتصار، ورفع للبلاء الذي يلاقيه المسلمون.

والجـواب؛ أن الله قد حسم هـذه القضـية: (لا أعبد ما تعبـدون * ولا أنتم عابـدون ما أعبـد)، وفي آخرهـا: (لكم دينكم ولي دين) فالقضـية قضية مبدأ، غير قابلة للمساومة، ولا للتنازل قيد أنملة، فهذه مسألة من مسائل العقيـدة، بل هي العقيـدة نفسـها. إن التأمل في هـذه القضـية، وكيف حسـمها القـرآن، يعطي من الـدروس ما

نحن بـــأمس الحاجة إليـــه، بل يرسم منهجـــاً واضحاً جلياً في كيفية مواجهة أساليب كثير من أعـــداء الإســـلام - حاضـــراً ومســـتقبلاً - فلو سـالمتهم يا أيها المسـلم؛ فهم لا يسـالمونك إلا بشــرط التخلي عن دينك وتـدخل في مــوالاتهم وطــاعتهم في منهجهم الــديمقراطي الخــبيث، وبخاصة إن كـانوا هم الطـرف الأقـوى، وبخاصة إن كانوا هم الطرف القوي في المعركة.

وإن طمعت يومــاً أن يرضــوا عنك دون أن تتبع ملتهم؛ فأنت واهم.

وعليك بقــــراءة القــــرآن من جديـــد، ومراجعة التاريخ القريب منه والبعيد، لتقرأ صفحات الغدر والحقد والإجـــرم الـــتي مورست - ولا تـــزال تُمارس - بحق الإسلام والمسلمين.

فكيف تقبلــــون يا أيها المســــلمون من أهل العــراق؛ أن يحكم العــدو الصــليبي وأذنابه في دمائكم وأبشاركم وفـروجكم وأمـوالكم بشـرعة غــير شــرعة الله الطــاهرة، وبــدين غــير دينه القـــويم، وأنتم أحفـــاد ســـعد بن أبي وقـــاص، والمثنى، وخالد بن الوليد، والقعقاع، الـذين روّوا هذه الأرض بدمائهم؟!

فينبغي لكم أن تتنبهـوا لخطة العـدو من تطـبيق الديمقراطية المزعومة في بلادكم، فما أرادوها إلا لأجل نــزع بقية الخــير فيكم، فأحكموها على هيئة المصــيدة الخبيثة الــتي تــرمي لســيطرة الرافضة على مقاليد الحكم في العراق.

فقد أُدخل أربعة ملايين رافضي من إيـــران من أجل المشــاركة في الانتخابـات، ليتحقق لهم ما يصبون إليه من الســيطرة على غالبية الكراسي في "المجلس الوثـني"، وبـذلك يسـتطيعون أن يشـــكلوا حكومة أغلبية تســـيطر على مفاصل الدولة الرئيســـية الاســـتراتيجية والاقتصـــادية والأمنيـــة، وتحت لافتة "الحفــاظ على الــوطن والمـــــواطن"، و "التقـــــدم نحو المشـــــروع الـــديمقراطي"، و "إزالة أية عوالق من حـــزب البعث البائــد"، و "القضــاء على المخــربين من فدائيي صدام والإرهابيين"؛ يبدأ الرافضة بتصفية حســاباتهم العقدية للقضــاء على رمـوز وكـوادر أهل السنة، من علمـاء ودعـاة وأصـحاب خـبرة، ويرافق ذلك ضخ إعلامي رهيب يـــزين بـــاطلهم ويخفي حقيقتهم، (وما تخفي صدورهم أكـبر) ثم يبـــدأون بعد ذلك بنشر مـــذهبهم الخـــبيث بين النـاس، بالمـال والحديـد، والـترغيب والـترهيب، ويســتفيدون من ســيطرتهم على مصــادر رزق المسلمين.

فإن نجحوا في مشروعهم هـذا؛ فما هي إلا بضع سـنوات وتكـون بغـداد ومنـاطق أهل السـنة قد تشـيع أغلبهـا، ومن وراء ذلك سـكوت وخـذلان كثـــير ممن ينتسب إلى العلم - زوراً وبهتانـــاً - الـذين ميعـوا عقيـدة الـولاء والـبراء في صـدور النـــاس، وأوهمـــوهم بـــأن الرافضة إخـــوان لنا وجيران مودتنا!

وهل أفسد الـدين إلا الملوك	وأحبـــار ســـوء ورهبانها

فوا أسفاه! إن أصبحت بغداد في يوم من الأيـام رافضية، فـإن بغـداد - وإن كـانت حُكمت سـنين طويلة من حكـام مرتـدين، سـاموا أهلها الـذل والهـــوان - لكنها لم تكن في يـــوم من الأيـــام رافضية.

فها هي بغداد والسواد بدأ يعلوها يوماً بعد يــوم، وهاهي مظاهر الوثنية والشرك تتبدى فيها عياناً، وأصـبحت ترتفع فيها أصـوات أهل الـرفض بلعن صحابة نبينا عليه الصلاة والسلام، وبسب أمهاتنا زوجـات نبينـا؛ صـباح مسـاء على منـابرهم وفي إذاعاتهم.

ورحم الله الإمام مالك حين قال: (لا يُجلس في أرض يُسب فيها أبــوبكر وعمــر). عمر الفــاروق الــذي قــال عنـدما كـان أمـيراً للمؤمـنين: (لئن أبقاني الله إلى العام القابل لأدعن نساء العراق

لا يحتجن إلى أحد بعـــدي)، كـــان يغـــار على أعراضــكم وهو في المدينة المنــورة، وهــاهم الرافضة اليـــوم يلعنونه صـــبح، مســـاء، بين ظهرانيكم.

أما بقي فيكم غيرة يا أهل العراق؟!

أغادرت مضاربكم الحمية على دين الله؟!

أخنتم أجدادكم يا أحفاد سعد والمثنى وخالد؟!

أرضــيتم بالذلة والهــوان وبغايا الــروم وشُــذاذ النصارى وخنازير الرافضة يعبثون بأعراض بنات المسلمين ويتلهون بها؟!

فلهـذه الـدواعي وغيرهـا؛ أعلنا الحـرب اللـدود على هذا المنهج الخبيث، وبينّا حكم أصحاب هذه العقيدة الباطلـة، والطريقة الخاسـرة. فكل من يســـعى في قيـــــام هـــــذا المنهج بالمعونة والمساعدة؛ فهو متولٍ له ولأهله، وحكمـه؛ حكم الـــداعين إليه والمظـــاهرين له. والمرشـــحون للانتخـــاب؛ هم أدعيـــاء للربوبية والألوهيـــة، والمنتخبون لهم؛ قد اتخذوهم أرباباً وشركاء من دون اللـــــه، وحكمهم في دين اللـــــه؛ الكفر والخروج عن الإسلام".[23]

---

[23] - منبر التوحيد والجهاد ، منهاج السنة ، فرق ومذاهب ، الديمقراطية، الديمقراطية، كلمة لأبو مصـعب الزرقـاوي، تحت عنـوان :"ولتســتبين سبيل المجرمين".

وأعلنت الهيئة الشرعية بتنظيم "القاعدة في بلاد الرافدين" في بيان وزعته على شبكة الانترنت بتاريخ 25 /7/2005: "ان كتابة الدستور والانتخابات المقبلة في العراق من أعظم ما يناقض الاسلام ويتضاد مع دين الله، وان المشاركة في صوغه كفر بواح وشرك صراح. وحذرت من الناس الذين يلبسون لباس الشرع الاسلامي فأجازوا لأهل السنة الدخول في الانتخابات الشركية. وأكد البيان: ان الخروج من هذه الفتن كلها هو الصبر على القتال في سبيل الله وقتل كل طاغوت وتحظيم كل أوثان الكفار من جمعية وطنية او مجالس برلمانية أو مراكز انتخابية شركية أو معابد وثنية حربية. وخاطب البيان أهل السنة في بلاد الرافدين بالقول: فلتحمل أياديكم السويف البتارة لمقاتلة الكفرة من الصليبيين وأعوانهم من الرافضة العلقميين (الشيعة) وخلص الى القول: لن نجد أمامنا من سبيل لاجتثاث جذور الفتنة غير القتال في سبيل الله وليس الدخول تحت خيمة البرلمان وانتخاب الشركاء الذين يحرمون ما أحل الله ويحلون ما حرمه".[24]

وقد نجح الزرقاوي الذي كان يسيطر على بعض المناطق "السنية" في تخفيض معدل

---

[24] - جريدة الوسط: http://www.alwasatnews.com/1055/news/read/480391/1.html

الانتخابـــات في تلك المنـــاطق، ولكن العملية حظيت بنجـاح كبـير في سـائر المنـاطق، حيث شارك فيها حـوالي ثمانية ملايين نـاخب عـراقي من بين 14 مليـــون مـــواطن من النـــاخبين المســـجلين، رغم تهديد الزرقـــاوي بمهاجمة صناديق الاقتراع وقيامه بسلسـلة من الهجمـات والعمليـــات الانتحارية الـــتي أوقعت عشـــرات القتلى والجرحى.

إعلان الحرب على الشيعة

وعندما رأى الزرقاوي فشل جهوده في إيقاف مســيرة بنـــاء العـــراق الـــديموقراطي وتزايد احتمـالات مشـاركة العـرب السـنة فيهـا، حـاول إشـــعال حـــرب طائفية بـــإعلان الحـــرب على الشـــيعة بصـــورة عامـــة، وأصـــدر بيانا بتـــاريخ 13/9/2005 تحت عنوان **"هذا بيـان للنـاس و لينذروا به"** جـاء فيه :" قـرر التنظيم اعلان حرب شـاملة على الشـيعة الـروافض في جميع انحـاء العـراق اينما وجـدوا وحيثما حلـوا جـزاء وفاقا فمنكم كـــان الابتـــداء وانتم من بـــادر بالاعتـداء فخـذوا حـذركم فوالله لن تاخـذنا بكم رأفة ولن تنـــالكم منا رحمة واي طائفة تريد ان تنـأى بنفسـها عن ضـربات المجاهـدين فلتبـادر وعلى جنـــاح الســـرعة بـــالبراءة من حكومة

الجعفــري وجرائمها والا فهم في الحكم ســواء وقد اعذر من انذر".[25]

وجاء موقف الزرقاوي هذا مخالفا لاستراتيجية القاعدة في السعودية، حيث لم يسمح ابن لادن للقاعـدة بفتح معركة مع **النظـام السـعودي الــذي اتهمه بــالردة والكفر لخيانة الأمة وموالاة الكفار ومناصرتهم ومظـاهرتهم على المســـلمين، وارتكـــاب نـــواقض الاسـلام العشـرة "وذلـك- كما قـال ابن لادن - لما لقتـــال النظـــام من نتـــائج وخيمـة، من أهمها: اسـتنزاف الطاقـات البشــــرية حيث إن معظم الإصـــــابات والضــحايا ســتكون من أبنـــاء الشــعب المسـلم، واسـتنزاف الطاقـات الماليـة، وتـــدمير البنية التحتية للدولـــة، وتفكك المجتمـع، وتقسـيم بلاد الحـرمين" و"أن أي قتـــال داخلي مهما تكن مبرراته مع وجـود قـوات الاحتلال الأمـريكي يشـكل خطأً كبيراً حيث إن هذه القوات سـتعمل**

---

[25] - وأصدر الزرقاوي بيانا آخر في 1/6/2006 دعا فيه السـنة الى رفض أي مصـالحة مع الشـيعة الكفـرة في العـراق، وقـال: يا أهل السـنة أفيقـوا واسـتعدوا لـدفع سموم الرافضة الـتي كـانت تلـدغكم وتسـومكم سـوء العذاب منذ احتلال العراق والى يومنا هذا، وكفاكم من دعاة شرك الطائفية والوحدة الوطنية.

على حسم المعركة لصـــــــــــالح الكفر العالمي".[26]

وكـانت هـذه الاسـتراتيجية مـورد خلاف بين الزرقـاوي والقاعـدة، حيث اشـترط الزرقـاوي على ابن لادن ان يتقبل اجتهـــــاده في محاربة الشيعة للانضمام للقاعدة ولا يمنعه منها، وكتب في رسالته الى ابن لادن قائلا: " هـذه رؤيتنا قد شرحناها، وهذا سبيلنا قد جلينـاه، فـإن وفقتمونا عليه واتخـــــذتموه لكم منهاجا وطريقا واقتنعتم بفكـــرة قتـــال طوائف الـــردة فنحن لكم جند محضـــــرون نعمل تحت رايتكم ونــــزل على أمـــــركم، بل ونبـــايعكم علانية على الملأ وفي وسائل الإعلام إغاظة للكفاروإقرارا لعيـون أهل التوحيد (ويومئذ يفـرح المؤمنـون بنصر اللـه) وإن بـــدا لكم غـــير ذلك فنحن إخـــوة لايفسد الخلاف للود قضية، نتعـاون على الخـير ونتعاضد على الجهـاد، وبانتظـــار جـــوابكم حفظكم الله مفاتيح للخير وذخراً للإسلام وأهله . آمين. آمين ". وبـــالرغم من قبـــول ابن لادن لعضـــوية الزرقـاوي في تنظيم القاعـدة الا أن القيـادي الآخر أيمن الظواهري، رفض سياسة اسـتهداف

---

[26] - **راجع ال**رسالة المفتوحة الـتي وجهها ابن لادن الى عامة المسلمين وأبناء الجزيرة العربية بالخصوص، سنة 1997 وكذلك الرسالة الصوتية الـتي وجهها عـبر قنـاة الجزيـرة يـوم عيد الأضـحى من سـنة 1423 المصادف 11 شباط 2003

الشيعة بصورة عامة، وكتب إليه: "يتساءل كثـير من المحبين لكم من عوام المسلمين عن سبب مهاجمتكم للشيعة، ويزداد هذا التساؤل حدة إذا كان الهجوم علي مسجد من مساجدهم، ويـزداد أكثر إذا كان الهجـوم على مرقد الإمـام علي بن أبي طــالب كــرم الله وجهــه، ورأيي أنك مهما حـاولت أن توضح هـذا الأمر فلن يتقبله العـوام، وســـيظل النفـــور منه قائمـــاً، بل وســـتدور التساؤلات في أوسـاط المجاهـدين وأهل الـرأي فيهم عن صواب هذا الصدام مع الشيعة في هذا الوقت، وهل كان لا بد منه أم كـان يمكن تأجيله حتى يقوى عود الحركة المجاهـدة في العـراق؟ وإذا كانت بعض العمليـات ضـرورية للـدفاع عن النفس فهل كل العمليات كانت ضرورية؟ أم أن بعضها لا داعي له؟ وهل فتح جبهة أخرى إضافية مع جبهة الأمريكان والحكومة يعد قراراً حكيماً؟ أليس ذلك مفيــداً للأمريكــان ومخففــاً للعبء عنهم بانشـــغال المجاهـــدين بالشـــيعة، ويبقي الأمريكان في مأمن .. يديرون الأمـور عن بعـد؟ وإذا كـــان الهجـــوم علي بعض رؤوس الشـــيعة ضـرورياً لإيقـاف مخططـاتهم، فلمـاذا الهجـوم على عـــوام الشـــيعة؟ ألا يـــؤدي هـــذا لترســـيخ المعتقدات الباطلة في أذهانهم، بينما يجب علينا أن نخـاطبهم بالـدعوة والبيـان والتبليغ لهـدايتهم للحـــق؟ وهل سيســـتطيع المجاهـــدون قتل كل

الشـــيعة في العـــراق ؟ وهل حـــاولت أية دولة إسـلامية في التـاريخ ذلـك؟ ولمـاذا يقتل عـوام الشـــــيعة مع أنهم معـــــذورون بالجهــــل؟ وما الخسـارة الـتي كـانت سـتلحق بنا لو لم نهـاجم الشيعة؟ وهل تناسى الإخـوة أن لـدينا أكـثر من مئة أسـير ــ كثـير منهم من القيـادات المطلوبة في بلادهم ــ لـدى الإيرانـيين؟ وحـتى إذا هاجمنا الشـيعة للضـرورة لمـاذا الإعلان عن هـذا الأمر وإظهاره مما يضطر الإيرانيين إلى اتخاذ مواقف مضـــــــادة؟ وهل تناسى الإخـــــــوة أن كلا منا والإيرانـــيين في حاجة إلى أن يكف كل منا أذاه عن الآخر في هـذا الـوقت الـذي يسـتهدفنا فيه الأمريكـان؟ كل هـذه الأسـئلة وغيرها تـدور بين إخوانك وهم يراقبـــــون الصـــــورة عن بعد كما ذكـرت لكم، والمـراقب عن بعد تغيب عنه كثـير من التفاصــيل العامة الــتي تــؤثر على القــرار الميداني" . [27] ولكن الزرقاوي أصر على موقفه

---

[27] - نشر مكتب مدير الاستخبارات الوطنية الأمريكية في 7/10/2005 النص الكامل للرسـالة الـتي تقع في 13 صفحة ، والتي تقـول قـوات الاحتلال الأمريكية إنها عثرت عليها مؤخراً في العراق. وقال المكتب في بيان "لدى الحكومة الأمريكية ثقة كبيرة بصحة هذه الرسالة صحيحة". راجع: موقع "الاسـلام اليـوم" على العنـوان التالي:
http://islamtoday.net/albasheer/artshow-12-62531.htm

بأن الرافضة هم الخطر الأكـبر على أهل السـنة في العراق، وهم أخطر من الأمريكان، فلم تُجدِ تلك الرســـائل في ثنيه عن إعلانه الحـــرب ضد الشيعة.

أما أهل الســــنة في العــــراق وخصوصا الجماعات المسـلحة المقاتلة في غـرب العـراق فقد رفضـوا دعـوة الزرقـاوي ووصـفوها بالنـار الحارقة للسـنة والشـيعة، وحـذر أئمة المسـاجد السنية من الانجرار الى حرب أهلية، وقال بيـان وزع في مساجد الرمادي والموصل وبغداد وقعه (جيش محمـــد) و (كتــائب القعقــاع) و (الجيش الاسلامي) و(جيش مجاهـدي العـراق) و (الناصر صـــلاح الـــدين) جـــاء فيه ان "هـــدف المقاومة وضرباتهم العسكرية هو الاحتلال واعوانه لا غــير وما الــدعوة الي قتل الشـيعة بعـامتهم الاّ نـاراً تحرق العراقيين سنتهم وشيعتهم" ولفت البيــان الى ان "المقاومة هي تنظيمــــات عســــكرية وشـعبية عراقية لا ترتبط بـأي تشـكيلات خارجها وان الهـــدف الاســـاس هو تحرير العـــراق من المحتلين واقامة الحكم الوطـــني الحر فيـــه". وشدد البيان على أن "المقاومة لا تسـتهدف أي عراقي مهما كان انتماؤه المـذهبي والعـرقي الا اذا ارتبط بالمحتل".

وأصدرت جماعة سلفية معتدلة أطلقت على نفسها اسم "الكتائب السلفية المجاهدة في بلاد الرافدين" بقيادة "ابو الدرداء العراقي" بيانا أدانت فيه "الانحراف العقدي والسلوكي الذي بدأ يدب في أوصال بعض المجاميع المسلحة ، والذي تمثل في تغلغل الغلاة وحاملي فكر الخوارج في صفوف تلك المجاميع مما ادى الى قيامها بالكثير من الاعمال المنافية لشرع الله تعالى من التعدي على دماء المسلمين واموالهم واعراضهم ولتبدأ في بلاد الرافدين تجربة جديدة من قتل لعوام المسلمين بشُبه واهية وللوقوع في اعراضهم ولرمي لعموم المجتمع بالكفر والزندقة وما الى ذلك من اوحال الفكر الخارجي المنحرف الذي ما دخل ساحة للجهاد الا وافسدها".
(الحياة 24/3/2005)

كما ندد بالزرقاوي قادة الجماعة الاسلامية في مصر، وشيخ الأزهر الدكتور سيد طنطاوي الذي استنكر قتل الزرقاوي لسفير مصر في بغداد، وقال في بيان أصدره بتاريخ 14/7/2005 " أن مرتكبي هذه الجرائم مفسدون و مخربون

في الأرض، و ينبغي أن تطبق عليهم العقوبة الشرعية التي حـددها الله تعـالى تحديـدا كـاملاً في القـــرآن الكـــريم، في إشـــارة منه إلى ما يعــرف فقهــاً بـــ "حد الحرابــة"، المقــرر وفق نصوص و أحكام الشريعة الإسـلامية لمن تنطبق عليهم صـــفة " المفســـدين في الأرض" . كما لفت بيان الأزهر في هـذا السـياق أيضـاً إلى أن ملاحقة من وصــفهم بهــؤلاء " المفســدين بكل قوة وشدة وثبـات حـتى القضـاء عليهم، هو أمر واجب شــرعا على كل مكلف ســواء أكــان من الحكــام أو من غــيرهم"، مشــيراً إلى أن " من يتســـتر على هـــؤلاء يكـــون شـــريكا لهم في جرائمهم".

واضـــــطر أبو محمد المقدسي الى إدانة عنف تلميذه الزرقاوي الطائفي ضد الشيعة، فأصدر بيانا تحت عنـــــوان "الرســـــالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في الكفر". وقال في مقابلة مع قنـاة "الجزيـرة" انه لا يسـاوي في القتـال بين الشـيعة والقــوات الأميركيــة، معتــبراً ان استباحة دم الشيعة خطأ جسيم، وكذلك تفجير مســاجد أهل الســنة، باعتبــار ذلك فتنة في الأرض. ودعا "المجاهــدين" الى "ألا يوجهـــوا حــرابهم ومتفجــراتهم الى المســلمين". ونفى المقدسي تبنيه العمل المســـــلح أو تكفـــــير المجتمع المســلم، قــائلاً: "لم أتبن مثل هــذه

العقيـــــدة، ولا أرى ان المجتمعـــــات في بلاد المسلمين اليوم كافرة، ولا أكفر النـاس". كما قـــال في مقابلة مع صـــحيفة الحيـــاة بتـــاريخ 10/7/2005 أنه أرسل رســـالة مناصـــحة الى أبو مصعب يحذر فيها من الوقوع في الغلو في التكفـــير، وقـــال: "تحفظت خلالها عن مســألة قتل المـــدنيين وضـــرب الكنـــائس ومســـاجد الشيعة". ونفى ان يكون وتياره من دعاة الغلو في التكفير وتكفـير النـاس بـالعموم". وأجـاب عن ســؤال حــول موقفه من تكفــير الشــيعة قائلا:" راج هذا الموضوع منذ الحــرب العراقية - الايرانية، مسـتنداً بـذلك الى فتـاوى ومواقف بعض "العلمــاء" أو بالاصح "المشــايخ" الـــتي تـــوافقت مع مواقف الانظمة الحاكمــة، أما أنا فلا أكفر عموم الشيعة، وهذا من الاخطاء التي تورط فيها بعض الشباب من الطرفين الســنّي والشــيعي، وهـذه الفتنة الطائفية حـذرت منها لأنها تصب في تحويل مســـار مقاومة وصـــراع المحتل وإضعاف الامة الاسـلامية، والاسـتمرار في نهب خيراتهـــا، وهـــذا ما يتمنـــاه المحتل الامـــــيركي، وانصح اخـــــوتي في المقاومة العراقية ان يمتثلوا لقول الله عز وجل "واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة". [28]

[28] - صحيفة الحياة، بتاريخ 7/7/2005

وكـــان رد فعل المرجع الشــيعي الســيد علي السيسـتاني على إعلان الزرقـاوي الحـرب على الشـيعة هو دعـوة اتباعه لضـبط النفس وعـدم الرد على قتلهم حـتى لو قتل التكفـيريون نصف شـــيعة العـــــراق حفاظا على الوحـــــدة بين المسلمين وعدم الانجرار لحرب طائفية.

وكاد الزرقاوي ينجح في تفجير الحرب الأهلية الطائفية بين السـنة والشـيعة عنـدما قـام في 23/2/2006 بتفجير مرقد الامامين العسـكريين في سـامراء، الـذي يحظى بـاحترام كبـير لـدى الشيعة ويشكل أهم معالم هـويتهم الدينيـة، مما ولد رد فعل شيعي شعبي غاضب أدى الى مقتل الكثير من السنة والشيعة.

ولم يقتصر عنف الزرقـاوي على الشـيعة بل اكتسح بعد ذلك أهل السـنة وعلمـاءهم، وخاصة المؤيدين للعملية السياسية كالشيخ إيـاد العـزي والشيخ حمـزة العيسـاوي والشـيخ عبد الغفـور الــراوي وآخـــرين لم يتـــورع من اغتيـــالهم في المساجد السـنية، حـتى قـال رئيس ديـوان الوقف الســني الشـــيخ أحمد عبـــدالغفور الســـامرائي: "إن الزرقاوي حكم على العراقيين جميعا بالإعـدام". [29] وهو ما أثـــــار خلافا بينه وبين الجماعــــــات

[29] - وقـال في مقابلة مع قنـاة العربية يـوم الجمعة 5/11/2010 "إن تنظيم القاعـدة اغتـال 355 عـالم دين من موظفي الوقف السني".

العراقية المسـلحة كـ "الجيش الاسـلامي" و"كتائب ثورة العشرين" و "جماعة المجاهدين" و"البعثـيين" و"قـوات عموريـة" الـتي نـددت بأعماله المسيئة للمقاومة العراقية.

ولم ينته العنف الداخلي بين فصائل المقاومة العراقية بمقتل الزرقاوي في 7/6/2006 وانما اشتعلت الخلافات أكثر بـإعلان خليفة الزرقـاوي أبو عمر البغدادي (قتل في 19/3/2010) لـ "دولة العراق الاسـلامية" بتـاريخ 15/10/2006 ومطالبته جميع الفصائل المسلحة بمبايعته أميرا عليهـا، وهو ما أدى بـالطبع الى رفض تلك الفصـائل الـتي لم تستشر في الأمـر، ودخولها في صـراع عـنيف مع تنظيم القاعـدة. ولم تُجـدِ دعوة أسامة بن لادن الى مبايعة البغدادي أمـيرا على دولة العراق الاسـلامية.[30] بل تسـبب ذلك في نشوء حالة واسـعة من التمـرد في صـفوف أهل السـنة وأنصـار القاعـدة سـابقا وتشـكل ما أصبح يعرف بـ"الصحوات". وتطـور الخلاف فيما بعد ليتخذ صفة الخلاف بين الأشاعرة والصـوفية

---

[30] - في تسـجيل صـوتي لابن لادن بث في 30 ديسمبر 2007

من جهة وبين السـلفية، ثم تطـور بين الفصـائل السلفية المختلفة وبين القاعدة.[31]

واسـتمرت القاعـدة أو تنظيم "دولة العـراق الاسلامية" بارتكاب المجـازر الدموية بحق أبنـاء الشـــعب العـــراقي دون شـــفقة أو رحمـــة، أو حساب للمصلحة العامة، وقـام بعمليـات إرهابية عديدة كان أبرزها ما أطلق عليه" غزوة الأسير" الـتي هـاجم فيها بتـاريخ 26 /8/2009 مقـار وزارة الخارجية ووزارة المالية ووزارة الـــدفاع ومبـنى محافظة بغـداد، والـتي راح فيها مئـات الضـحايا والجـرحى من المواطـنين الأبريـاء القـاطنين في العمـارات السـكنية المجـاورة، وأعلن تبنيه لتلك العمليـــات ضد "معاقل الكفر وحصـون الشـرك للحكومة الصـفوية المرتـدّة" وقـال:"إنّنا إذ نعلن مسـئوليتنا عن هـذه الغـزوة المباركة، فإننا نـبيّن كما وضّـحنا ذلك مـراراً أنّنا إنّما نســـتهدف أركـــان هـــذه الدّولة الخبيثة المنحورة، ومن أعانها ونصرها وثبّت أركانها، أمّا إن كـان قد قُتل أو تـأذى ممّن عُصـمت دمـائهم من المسلمين أهل السنّة، لتواجدهم عرضاً في تلك الأمـاكن، فنـدعو لمن جـرح منهم بالشـفاء، ولمن قتل على التّوحيد أن يُبعث شـــهيداً على نيّتــه، ونســألهم في الله أن يتجنّبــوا المــرور

---

31 - لاحظت ذلك في بعض المنتديات المؤيدة للقاعدة والفصائل المسلحة، كموقع أنا الاسلام، والساحات

والتواجد في هـذه الأمـاكن ما اسـتطاعوا، وإنّنا لن نعطّل جهـــاد المشـــركين ومدافعة الكفّـــار المتعيّنة لأجل من يســـقط شـــهيدا كما قـــرّر علمائنا.   ولئن أبيد أبناء دولة الإسلام عن بكـرة أبيهم خيرٌ لهم من أن يحكمهم رافضيٌّ خـبيث أو أن تستظلّ بغداد برايات الصفويين يوما واحداً". (مركز الفجر للإعلام)

وقد أصـدرت الجبهة الإعلامية الاسـلامية العالمية التابعة للقاعـــــــدة بيانا بتـــــــاريخ 31/10/2010 حـول أسـباب فشل مشـروعها في إقامة ما يسمى بـ "دولة العراق الاسـلامية" وألقت اللـــوم على جميع الفصـــائل المســـلحة المعروفة **(الجيش الإســـــــلامى وجيش المجاهـــدين والهيئة الشـــرعية لجماعة الأنصار، وهيئة علمـاء المسـلمين) الـتي عارضت الدولـــة، فـــاتهمتهم بتضـــارب مصـــالحهم مع إعلان الدولة الاســـلامية وفـرض أحكـام الشـريعة، وغلبة التوجه الوطـــني – البعـــثي، والتنـــافس على المكاسب والمناصـــب، والـــردة والغـــدر والخيانة والعمالة.** [32]

ولكن تنظيم القاعـــدة لم يتوقف ليحاسب نفسه على أنهار الدماء البريئة الـتي أسـالها من

---

32 - http://aljewar.org/news-28879.aspx

أبنــاء الشــعب العــراقي، ومحاولة احتلاله لبلاد الرافــدين بــالقوة، وإثــارة التفرقة والفتنة بين الشـيعة والسـنة. وليس من المتوقع أن يكتشف أخطــــاءه بنفسه فهو يغــــرق في ظلام الجهل والاستبداد والعنف والتكفـير والحقد والكراهيـة، ويسير في خط معاكس للقيم والحضارة وإرادة الشعوب الاسلامية.

أحمد الكاتب
لندن
1/ ذو الحجة 1431
المصادف 7/11/2010

المقـــــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

شهد العالم الإسلامي ، خلال القرن العشرين ، انفتاحاً كبيراً على الفكر الـديموقراطي ، وأقيمت أنظمة برلمانية و انتخابـات رئاســية في معظم البلاد الإســلامية ، ما عــدا المملكة العربية السعودية التي ظلت تحتفظ بنظـام شـمولي مطلق يحتكر فيه الملك كل الســلطات التشــريعية و التنفيذية ، و فشـــلت في إحداث أي تطور ديموقراطي . و ربما كـان لهـذا الفشل عوامل عديدة ولكن أهمها قد يكـون الفكر السياسي الوهـابي الـرافض للديموقراطية . و رغم ان علاقة الحركة الوهابية مع النظـــــام السـعودي لم تكن على خـير ، وكـان يشـوبها كثـير من التـوتر و الصراع بحيث كانت تفرز تيـارات ثورية راديكالية تطـالب أحيانـاً بقطع رأس النظـام ، الا انها كـانت تعيش أزمة فكرية سياسـية محيرة تتردد فيها بين التكفير و الخروج أو الإرجـاء و الخنـوع ، و لا تجد بينهما مخرجـــاً. وهـــذا ما دفع بعض حركـــات المعارضة الوهابية للنظـــام الســـعودي كمنظمة (القاعـــدة) الى اعتمـــاد استراتيجيات بديلة عن عملية الإصـلاح الـداخلي ، و ذلك بالتوجه للانتقـام من الأعـداء الخـارجيين و تحميلهم كل المسـؤولية عن تدهور الأوضاع السياسـية الداخليـة. ففي حين اعترضت منظمة (القاعـدة) على التواجد العسـكري الأمـيركي في بلاد الحـرمين الشريفين ، وجهت كل غضبها على "المحتل الأميركي" وتغافلت عن الداعي والطالب للحماية الأميركية ، وهو النظام السـعودي. و بدلاً من أن تطـالب النظـام بطـرد القـوات الأجنبية ، او تعمل من أجل تغيـيره سياسـياً او تجد وسـيلة للمشـاركة في القـرار السياسي والضـــغط على الحكومة من أجل تنفيذ سياســـات شرعية منسجمة مع الدين الحـنيف و المصـلحة الوطنيـة.. بـدلاً من ذلك وجــدت نفســها مضــطرة لخــوض المعركة مع العــدو الخارجي المحتل ونقل المعركة الى عقر داره.

وكان على زعيم منظمة (القاعدة) أسامة بن لادن أن يحكم على النظام السعودي بالكفر حتى يستطيع أن يخرج عليه ، لأنه لم يجد سبيلاً الى المعارضة السياسية السلمية الشـعبية بعد أن أغلق النظـــام في وجه المعارضة والتغيـــير كل الأبـــواب . ولم يستطع الدعوة الى إقامة نظام ديموقراطي أو مجـالس شـورى

حــتى يتمكن هو وغــيره من التعبــير عن رأيه بصــراحة وإجبــار النظـام الحـاكم في السـعودية على امتثـال الحكم الشـرعي أو الانقياد لإرادة الرأي العام في البلد ، لأنه لم يكن يـؤمن بالخيـار الـــديموقراطي من الأســـاس أو لأنه كـــان يـــرى الطريق الـــديموقراطي بعيـــدا وطـــويلا في ظل هيمنة الفكر السياسي الوهابي في البلاد.

من هنا كان يبـدو بوضـوح أن الأزمة هي أولاً أزمة الفكر السياسي داخل السعودية ، حيث اعتبر ابن لادن ومؤيـدوه – من جهة - النظامَ السعودي "مرتداً وكافراً لأنه يخالف أهم مبدأ من مبادئ التوحيد ويأتي بأكبر ناقض من نواقضه وهو الولاء للكفار" . ومن جهة أخـرى اعتـبر النظـامُ السـعودي وأنصـارُه من كبـار رجال الدين ، أسامةَ بن لادن وأتباعَه "خوارج ومتمردين ". ولم توجد بينهما لغة للحــوار أو وســيلة للتفــاهم ، في ظل انعــدام الحياة السياسية الطبيعية في المملكة العربية السـعودية وعـدم وجود مجالس شورى منتخبة أو أحزاب سياسية أو صحافة حرة ، وهو ما دفع و يــدفع بــأي معــارض للنظــام للخــروج والتمــرد والعصيان والكفر التام بالنظام وتكفير أصحابه.

وعلى رغم قوة الانشقاق الذي قامت به المعارضة الراديكالية ، الا انها بــدورها لم تقــدم نظامــاً سياســياً بــديلاً عن النظــام الاستبدادي المطلق القائم ، ولم تـدع الى تطـبيق الديموقراطية أو مشــاركة الأمة في الحيــاة السياســية أو تأســيس قنــوات دستورية للتعبير عن الرأي الآخر.

ومع ان النظام السعودي قدم خلال العقود الماضية كثيرا من الوعود بإقامة نوع من الديموقراطية ومجالس الشــورى ، ولكن تلك الوعود لم تترجم الى واقع ملموس أو مؤسسـات دسـتورية ، ليس بسبب الرغبة السـلطانية في الحكم المطلق والاسـتبداد فقط ، وانما لغيــاب الفكر الشــوري ومعــاداة الفكر الوهــابي للديموقراطية باعتبارها ديناً إلحادياً غربياً ، وكفراً معادياً للــدين الإسلامي ، وشـركاً بالله تعـالى ، وناقضـاً من نـواقض التوحيد ، إضــافة الى الخــوف من عامة الســكان و التشــكيك بــدينهم او اتهامهم بالشرك و الانحراف و الضلال و الفسق و الفجور.

وسعياً من أجل حل هذه الأزمة وجدت من الضروري دراسة وتحليل الفكر السياسي الوهــابي ، والغــوص عميقا في نظرية "التوحيد" الخاصة ، التي طرحها الشيخ محمد بن عبد الوهــاب ،

وأقـــام على ضـــوئها حركته المعروفة الـــتي أفـــرزت النظـــام السعودي في مراحله الثلاث ، خلال القرون الثلاثة الماضية.

ان الظـاهرة الديكتاتورية موجـودة في كل زمـان ومكـان ، ولكنها تتمتع بخصوصـية بـارزة في التجربة السـعودية ، وترتبط بعلاقة وثيقة بالتفسـير الوهـابي للـدين ، بما يمكننا من القـول بوجـــود ظـــاهرة خاصة في التجربة الوهابية تتجـــاوز حـــدود الديكتاتورية المعروفة في جميع أنحاء العـالم ، والـتي تتمثل في اسـتبداد الحـاكم بالسـلطة المطلقة وإقصـاء مختلف طبقـات الشـــعب وفئاته وأحزابه ، إذ أنها تبـــدأ هنا مع تكفـــير الحركة للمجتمع ومحاربته واســتباحة دمائه وأمواله وإنكــار أية حقــوق إنسانية أولية له . وإذا كان النظـام السـعودي الحـديث قد خفف من غلواء الفكر الوهابي القـديم ، وتخلى عن الكثـير من تطرفه ، الا انه لم يســتطع التحــرر تماما من التركة النفســية المرعبة للــروح الوهابية المتشــددة ، ولا يــزال يتــداخل معها ويتــأثر بها ويـــدعمها ويســتند الى الكثــير من النظريــات والمؤسســات والمدارس الوهابية المتطرفة.

ومع ان النظام السعودي عانى ويعاني من تطرف التفسيرات الوهابية وأحكامها المتشـــددة ضـــده ، الا انه يخشى ان ينفصل عنها تماما ، خوفا من فقـــدان القاعـــدة الاجتماعية والعصـــبية الحزبية الـــتي تحتضن النظـــام . وقد اســتطاع ان يتجنب غضب القاعدة الوهابية عبر ضمان ولاء القيادات الدينية التقليدية (من آل الشيخ خصوصا) والتظاهر ببعض الشعائر الإسـلامية وتطـبيق بعض الحــدود الشــرعية ، واســتغلال الفكر السياسي الوهــابي الذي ينص على وجوب الطاعة للأمراء والخضوع لهم.

وفي الوقت الذي كان النظام السـعودي يسـتفيد من الفكر الوهابي في تـدجين المعارضة الوهابية ، كـان يسـتخدم الحركة الوهابية كبعبع في مواجهة الحركـــــات الشــــعبية المطالبة بالديموقراطية ، وذلك بالإيحـــاء اليها بإمكانية ســيطرة الحركة الوهابية على المجتمع ، وإمكانية فوزها في أية عملية انتخابيــة، وإطلاق يدها في التعامل بشـدة مع التيـارات المختلفة العلمانية والطائفية والحزبية التي تعتبرها الوهابية كـافرة ومرتـدة ، وحث المعارضة الديموقراطية على القبـــول بالنظـــام الســـعودي واستبداده خوفا مما هو أعظم.

ولا يعـني ذلك ان الصـورة قاتمة جـداً و لا أمل في التطـور الديموقراطي في السعودية ، إذ أن ما يهون الخطب ويبشر بغد أفضل هو حـــدوث تطـــور مهم و ان لم يكن كبـــيرا في داخل الحركة الوهابية ، و ولادة حركـــات إســـلامية ديموقراطية تعيد النظر في كثير من الأسس الوهابية . وإذا قيض لهـذه الحركـات النمو والانتشـار فانها يمكن ان تسـاهم في تغيـير ملامح النظـام السعودي أو بناء نظام إسلامي ديموقراطي جديد.

ولكي نتعرف على كل تلك التطورات والاتجاهات والتيارات لا بد ان نقـــــوم بدراسة الحركة الوهابية ، ابتـــــداء من (نظرية التوحيد) الـتي قـدمها الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب وبـنى على أساســها النظــام الســعودي الــذي منحه الشــرعية والقــوة والاســتمرارية. وأثر تلك النظرية في تفجــير الصــراع الــدموي العـــنيف داخل منطقة نجد والجزيـــرة العربية ، وقيـــام الدولة الســـعودية الأولى وانهيارها ثم قيـــام الدولة الســـعودية الثانية وتشكيلها لأرضية المقاومة في وجه الهيمنة المصرية (العثمانية) وما رافق ذلك من تفجر للصـــراع الـــداخلي بين أبنـــاء الحركة الوهابية حكاماً ومحكومين ، وتكفير بعضهم لبعض.

ثم ننتقل الى الحـديث عن نشـوء النظـام السـعودي الجديد الذي ولد في بداية القرن العشرين على يـدي الملك عبد العزيز بن ســـــــعود ، وطبيعته وملامحه وعلاقته بالحركة الوهابية (الإخوان) التي اعتمد عليها أولاً في السـنوات الأولى ثم قضى عليها بعد ذلك ، ونشـــوء المؤسسة الدينية الوهابية وموقفها من الديموقراطية و الديكتاتورية ، ونقـــوم بعد ذلك بجولة على أهم فصـــائل المعارضة الوهابية الموالية والخارجية ، ونتوقف أخـــيرا عند الحركة الديموقراطية الإســـــــــلامية لنرصد أهم ملامحها واحتمـالات نجاحها وقـدرتها على تشـكيل البـديل الإسـلامي عن الحركة الوهابية.

وأرى من نافل القـــول الإشـــارة الى ضـــرورة الفصل بين الحـــــديث عن الوهابية النظرية ، والوهابية في الواقع ، إذ ليس كل من حمل اسم (الوهابيـــة) أو انتمى اليها في يـــوم من الأيـــام هو بالضرورة مؤمن بكل مقولاتها وملتزم بكل مواقفها و مترجم لكل ملامحها ، فـان ثمة حركة ثقافية متطـورة ومتشـعبة داخل الحركة الوهابية ، وربما نجد بعض "الوهـــــابيين" ليس له من

الوهابية الا الاسم أو الهوية بـالولادة ، ولـذا ينبغي أن لا نقع في خطأ النظـرة الى الآخـرين وكـأنهم كتلة واحـدة جامـدة لم ولا تتغير.

ان الحديث عن الوهابية هو نموذج للحـديث عن الحركـات الإسلامية المتطرفة التي تحتكر الإسلام لنفسها وتجـرد الآخـرين منه او تشـكك في إيمـانهم ، وانعكـاس ذلك على آلية العمل السياسي والتوجه نحو الديكتاتورية والاستبداد.

من هم الوهابيون؟ وما هي الوهابية؟

"الوهابيون" هم كل من ينتسب الى مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي قـاد في أواسط القـرن الثـاني عشر الهجـري في نجـد، حركة إصـلاحية ضد الاسـتغاثة بالأوليـاء و الصـالحين ، الأحيـاء و الأمـوات ، و زيـارة قبـورهم و طلب الشـفاعة منهم ، معتبراً تلك الممارسات شركا أعظم بالله تعالى ، وكفراً مخرجاً عن الملة ، ثم تحالف مع أحد أمراء نجد وهو محمد بن سعود و أسس معه ما عرف بالدولة السعودية الأولى سنة 1157هـ

وفي حين كان أتباع هذه المدرسة السابقون يطلقون على أنفسـهم اسم "الموحـدون" أو "المسـلمون" في مقابل المشركين ، فان خصومهم كانوا يطلقون عليهم اسم "الخوارج" . أما أتباع هذه المدرسة المعاصـرون فيفضـلون اسـتخدام اسم "السـلفية" و "السـلفيون" . وقد شـاع أيضا اسـتخدام اسم "الوهـابيون" من الطـرفين كاسم علَم عليهم من بـاب أنهم يشـكلون تيـارا فكريـاً ممـيزاً له تاريخه وخصائصه ومصـنفاته وشـيوخه ، وهو يختلف عن التيـار العـام للسـلفية في كثـير من الأمور ، ولذلك فقد استخدمه علماء المذهب كالشيخ محمد بن عبد اللطيف ، والشيخ الشاعر سليمان بن سحمان الذي يقـول متفـاخرا: (نعم نحن وهابية حنفيـة حنفية تسـقي لمن غاظنا المـُرّا) . وقال الشيخ عبد العزيز بن باز مفـتي المملكة العربية السعودية السابق : "هذا لقب مشهور لعلماء التوحيد علماء نجد ينسـبونهم إلى الشـيخ الإمـام محمد بن عبد الوهـاب رحمة الله عليـه؟ لأنه دعا إلى الله عز وجل في النصف الثـاني من القـرن الثاني عشر، واجتهد في إيضاح التوحيد وبيان الشرك للناس ...

وصـار أتباعه ومن دعا بدعوته ونشأ على هـذه الـدعوة في نجد يسـمى بالوهـابي... فهو لقب شـريف عظيم يـدل على أن من لقب به فهو من أهل التوحيد، ومن أهل الإخلاص لله ".[33]

و رغم التزام الدولة السعودية بالفكر الوهابي ، وتدريسه في المـدارس والجامعـات ، الا انها تحـاول منذ فـترة طويلة التخلي عن اسم (الوهابية) الذي يقف عائقا أمام طموحها لقيادة العالم الإسلامي ، حيث تصر على أنها تنتمي للتراث الإسـلامي السـني العام ، ولا تتبنى مذهبا خاصا باسم (الوهابية). وفي هذا المجـال صـــــــرح الملك عبد العزيز بن ســـــــعود في 11/5/1929 قائلا:"يسموننا بالوهابيين ، ويسمون مذهبنا (الوهـابي) ، باعتبـار أنه مذهب خاص . وهـذا خطأ فـاحش نشأ عن الـدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض. نحن لسنا أصحاب مـذهب جديد أو عقيـــدة جديـــدة ، ولم يـــأت محمد بن عبد الوهـــاب بالجديد ، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصـالح الـتي جـاءت في كتـاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح".[34] وقـال الملك فهد عام 1989 :"ـ إن الوهابية ليست مذهبا وإنهم يُنعتـون بالوهابية مدحا تارة وذما تـارة أخـرى ، في حين أن الشـيخ محمد بن عبد الوهـــاب لم يقم الا بالـــدعوة لتطهـــير العقيـــدة من البـــدع والضلالات".[35]

وهكذا يقول وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السعودي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشـيخ بتـاريخ 18/11/2001ـ "ـ ان ما يدعونه بالوهابية ويزعمـون أننا عليه هي منهج السـلف وجـوهر الـــدين وليس هنـــاك داع لتســـميتها بـــذلك لأنها ليست مـــذهبا جديـدا"ـ ويؤكد انه "ليس هنـاك مـذهب اسـمه الوهابيـة" وان الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب الـذي ينسب اليه تأسـيس هـذه الحركة في القرن الثـامن عشر "لم يـأت بجديد بل أحيا مـذهب السـلف الـذي يحـرص على ان يكـون الـدين خالصا وخاليا من الشوائب والبدع". وعبر الشيخ صـالح آل الشـيخ عن أسـفه لأن "الوهابية تسـتخدم اليـوم لوصف المملكة لكي يقـال انها دولة متشددة ". وفي نفس الوقت أكد الوزير على ضرورة "التمسك

[33] - http://www.ibnbaz.org.sa/last_resault.asp?hID=719

[34] - الحصين، أحمد: دعوة الامام ..سلفية لا وهابية ، ص 378

[35] - عبد الله ، أنور : العلماء والعرش ، ص 407

بثـوابت المملكة وعلى رأسـها التزامنا بالـدعوة السـلفية الـتي تمنحنا فرصة الانطلاق الى العـــالم بـــاتزان وبرؤية ذات أفق واسع". وشــــــــدد على ان "حفاظنا على المملكة انما هو بالمحافظة على هـذه الـدعوة وهـذا الفهم السـلفي للشـريعة والعقيدة الإسلامية".[36]

و يقول الأستاذ عبد الرحمن بن سليمان الرويشد في (الهدية الســنية) : " لم يكن إطلاق كلمة "الوهابية" الــتي يــراد بها التعريف بأصحاب الفكـرة السـلفية شـائع الاسـتعمال في وسط السلفيين ، بل كان أكثرهم يتهيب إطلاقه على الفكرة السلفية ، وقد يتورع الكثيرون من نعت القائمين بها بذلك الوصف باعتباره وصـفا عـدوانيا كـان يقصد به بلبلة الأفكـار والتشـويه ، وإطلاق المزيد من الضباب لعرقلة مسـيرة الـدعوة ، وحجب الرؤية عن حقائق أهدافها . وبمرور الزمن تحول هذا اللقب بصورة تدريجية الى مجرد لقب لا يحمل أي طابع للإحساس باستقرار المشـاعر ، أو أي معـنى من معـاني الإسـاءة ، وصـار مجـرد تعريف ممـيز لأصحاب الفكـرة السـلفية وماهية الـدعوة الـتي بشر بها الشـيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ، وأصـبح هـذا اللقب شـائعا ورائجا بين الكتـاب والمـؤرخين الشـرقيين والغربـيين على حد سـواء. وبالتالي فليس هناك ما يبرر هجر اسـتعمال تلك الكلمة كتعريف شائع أو تعبير يستخدم في إطاره الصحيح للرمز الى المضـمون الفكري المقصود". ولذا فقد فضلت اسـتخدام هـذا الاسم ليس من باب الذم أو المدح وانما من باب الدقة في التعريف.

أحمد الكاتب

---

[36] - في حوار مع صحيفة "عكاظ" بتاريخ 18/11/2001

الفصل الأول

نظرية التوحيد الوهابية

تقدم النظرية الوهابية تفسيراً خاصاً لمعـنى التوحيد ، ينطلق من تفسير كلمة "الله" أو "الإلـه" و بالتـالي فإنها تقـدم تصـوراً خاصاً لمعنى "المسلم" الذي يشهد "ألا إله إلا الله" ، فخلافاً لما كـان يعتقــده عامة المســلمين منذ الجيل الأول من أن معــنى "الإله" هو خالق الكون حسبما يفهم من الآيـات التاليـة: "قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا الى ذي العرش ســبيلا" 42 الإسـراء ، و " لو كـان فيهما آلهة إلا الله لفسـدتا" 22 الأنبيـاء ، وان شهادة التوحيد تعني الاعتراف و التسليم بعدم وجود شريك

لله في الخلق ، تقــــول النظرية الوهابية إن المقصــــود بكلمة "الإله" : المعبود ، و ليس الخالق. و بالتالي فانه لا يكفي للمــرء ان يعترف بعدم وجود شريك للخالق لكي يصبح موحــداً ، و انما يجب عليه ان يمارس العبادة لله وحده ، و إذا ما مارس أي نوع من العبـادة لغـير الله فقد أصـبح مشـركاً . ثم تتقـدم النظرية الوهابية لكي تفسر معــنى العبـــادة ، خلافــاً لما كـــان يعرفه المسلمون من أنها تعني أداء نوع من الطقوس الخاصة كالصلاة كما في الآية الكريمة: "إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبــدني و أقم الصلاة لـذكري" 14 طه ، أو انها تعـني الطاعة والإتّبـاع كما في الآية التاليــة: "أن لا تعبــدوا الشــيطان إنه لكم عــدو مــبين و اعبدوني" 61 يس ، فتقـول النظرية الوهابيـة: ان العبـادة تعـني ممارسة كل ما يختص بالله تعـالى من الـدعاء و النـذر و القسم والاسـتغاثة و الخـوف و الرجـاء و طلب الشـفاعة و ما الى ذلك بالنسبة الى شخص آخر غير الله تعالى ، و بنـاء على ذلك تعتـبر النظرية الوهابية دعاء الصـالحين والأئمة و الأنبيـاء والنـذر لهم و طلب الشفاء منهم .. نوعاً من العبادة التي تـرقى الى مسـتوى الشرك الأكبر بالله تعالى ، مما يخرج مرتكبها من ملة الإسلام و يعيده الى الجاهلية الأولى.

لقد كان المفهوم الإسلامي السـابق عن الشـرك قبل بـروز النظرية الوهابية ، هو الاعتقـاد بوجـود شـريك لله تعـالى و ليس مجرد طاعة غير الله كطاعة الشيطان مثلاً والتي وردت بصـيغة العبادة ، فان طاعة الشـيطان ذنب إذا لم تكن تعـني عبادته من دون الله تعــالى ، و بالتــالي فــان الله يغفر الــذنوب جميعا الا الشرك به ، كما تقول الآيات الكريمـات التاليـات: "ومن يشـرك بالله فقد افـترى إثما عظيمـا" 48 النسـاء ، "ومن يشـرك بالله فقد ضل ضلالا بعيـدا" 116 النسـاء ، "إنه من يشـرك بالله فقد حرم الله عليه الجنـة" 72 المائـدة ، " ومن يشـرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير" 31 الحج ، مما يدل على وجــود مفهــومين للشــرك أصــغر و أكــبر ، كوجــود مفــاهيم مختلفة و درجات متفاوتة عن الإيمـان و الإسـلام و النفـاق و العبـادة و ما الى ذلك.

ولكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تبعاً للشيخ ابن تيمية كان يعتبر بعض الممارسات المختلف حولها بين المسلمين مثل دعاء

الأنبياء و الصالحين والاستغاثة بهم ، شركاً ، و شركاً أكبر مخرجاً عن الملة و الدين.[37]

يقول: إن معنى كلمة " الله " : المألوه المقصود المعتمد عليه [38] ، والمدعوّ و المرجوّ [39]. ويعرَّف "الإله" بأنه: الذي فيه السر. ويقول :" ان المعبود عند العرب ، هو الاله الذي يسمونه عوامنا "السيد" و "الشيخ" و "الذي فيه السر" والعرب الأولون يسمون الألوهية ما يسميها عوامنا "السر" لأن السر عندهم هو القدرة على النفع والضر ، وكونه يصلح ان يدعى ويرجى ويخاف منه ويتوكل عليه".[40]

---

[37] - لا نعرف بالضبط كم كان عمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب عندما توصل الى نظريته الخاصة في (التوحيد وشروط الايمان) التي اعتبر فيها زيارة قبور الأولياء والصالحين والاستغاثة بهم ، شركاً أكبر ، وكفّر على ضوئها عامة المسلمين ، ولكننا سنفترض ان عمره كان في حدود الخامسة والعشرين ، عندما كان أبوه على قيد الحياة ، لأنه منعه من التعبير عن أفكاره تلك ، وقد توفي والده سنة 1143هـ (أو 1153هـ) عندما كان عمر الشيخ حوالي ثلاثين عاما. وقد بدأ الحديث عن أفكاره ، عندما كان يدرس في البصرة ، في مواجهة من كانوا يزورون قبور الصحابة وأئمة أهل البيت من الشيعة والسنة ، وقد تحدث عن ذلك شخصياً فقال :" كان أناس من مشركي البصرة يأتون اليّ بشبهات يلقونها علي ، فأقول لهم ، وهم قعود عندي : لا تصلح العبادة كلها الا لله". وهو ما أدى الى غضب أهل البصرة عليه وعلى استاذه المجموعي ، و طرده منها. وعندما عاد من البصرة الى نجد كان والده قد انتقل من العيينة الى حريملاء ، فاستقر بها معه ، وحاول نشر أفكاره هناك ، الا ان والده منعه من ذلك ، ولم يأخذ الشيخ حريته في الحديث الا بعد وفاة والده .
عبد الرحيم عبد الرحمن ، الدولة السعودية الأولى ص 21

[38] - راجع: ابن تيمية : الرسالة التدمرية ص 60

[39] - حسين بن غنام: تاريخ نجد ، ص 243 - 244

[40] - المصدر ، ص 287

ولـذلك فقد أطلق كلمة "التوحيـد" على توحيد الألوهية "وهو توحيد الله تعالى بأفعـال العبـاد كالـدعاء والنـذر والنحر والرجـاء والخــــــــوف والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة " وليس توحيد الربوبية الذي يعني "الإيمان بالخالق الواحد" . وقال : ان الكفار على زمن رســول الله صــلى الله عليه وســلم ، كــانوا يقــرون بتوحيد الربوبية وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحـيي ولا يميت ولا يـدبر الأمـور الا الله وحـده ، ولكنهم لم يكونـوا يقومـون بتوحيد الألوهية ، وان هـذا التوحيد هو الـذي وقع فيه الـنزاع في قـديم الدهر وحديثه.[41]

وقال: " ان التوحيد هو إفراد الله بالعبادة ، وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله الى عباده فـأولهم نـوح عليه السـلام أرسـله الله الى قومه لما غلــوا في الصــالحين وداً وســواعاً ويغــوث ويعوق ونسراً... وآخر الرسل محمد (ص) وهو الذي كسر صــور هؤلاء الصالحين ، أرسله الى قوم يتعبدون ويحجـون ويتصـدقون ويــذكرون الله ، لكنهم – يعــني كفــار قــريش – يجعلــون بعض المخلوقــات وســائط بينهم وبين اللــه" [42] و " ان التوحيد الــذي جحدوه هو "توحيد العبادة" ".[43]

وقال : "ان الكفار الذين قاتلهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كانوا يتصدقون ويحجـون ويعتمـرون ويتعبـدون ويـتركون أشــــياء من المحرمــــات خوفا من الله عز وجل ، ولكنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية ، وذلك أن المشركين كـانوا يـدعون الصـالحين مثل الملائكة وعيسى و عزير وغـيرهم من الأوليـاء ، فكفروا بهذا مع إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق المدبر. وإذا عرفت هذا عرفت معـنى "لا اله الا الله " ، وعـرفت أن من نخا نبيا أو ملكا أو ندبه او استغاث به ، فقد خرج من الإسلام ".[44]

وقال بعد ذلك :" ان الاعتقــاد بــأن الله هو الخــالق والــرزاق وحده ولاشريك لــه، وانه لايــرزق الا هو ، ولا يــدير الأمر الا هو ،

---

[41] - محمد بن عبد الوهاب: الرسالة المفيدة

[42] - محمد بن عبد الوهاب: كشف الشبهات ص 5 ، راجع أيضا: (باب : ان سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين) من كتاب (التوحيد)

[43] - محمد بن عبد الوهاب: كشف الشبهات ، ص 9

[44] - محمد بن عبد الوهاب: رسالة في (معنى لا اله الا الله)

وبـأن جميع السـموات والأرض ومن فيهن ، والأرضـيين السـبع ، ومن فيها ، كلهم عبيـد، وتحت تصـرفه..كل ذلك لايفيد ولا يجعل الإنسان موحداً ، ولا مسـلماً ". [45] وأضـاف:" ان تـرك الشـرك ليس قول "كلمة التوحيد" باللسـان فقط ، بل ولا معرفة معناها مع لفظهـا، بل ولا الإقـرار بـذلك، بل ولا كونه لا يـدعو إلا الله وحده لا شريك له ، وانما بالكفر بما يعبد من دون الله".[46]

واعتبر أن من الشرك الأكبر : الاستغاثة بغير الله ، وكذلك طلب الشـفاعة من النـبي او الأوليـاء والصـالحين ، وقـال:" من طلب الشـفاعة من محمد (ص) كـان كمن طلبها من الأصـنام سواء بسواء".[47]

وذكر في كتابه (التوحيد الذي هو حق الله على العبيـد) أن سبب كفر بني آدم وتـركهم دينهم هو الغلو في الصـالحين ، وأن "وداً و سواعاً و يغوث ويعوق ونسراً" هي أسماء رجال صـالحين من قـوم نـوح ، فلما هلكـوا أوحى الشـيطان الى قـومهم أن اعبدوها . وقـال: ان من نخا نبيا أو ملكا أو ندبه او اسـتغاث به ، فقد خرج من الإسـلام ، وهـذا هو الكفر الـذي قاتل رسـول الله (صلى الله عليه وسلم) عليه المشركين ... وان كفر المشـركين من أهل زماننا أعظم كفرا من الذين قاتلهم رسـول الله (صـلى الله عليه وسلم) .[48]

و قال: ان " من طلب الشـفاعة من محمد (ص) كـان كمن طلبها من الأصـنام سـواء بسـواء ".[49] و"ان هـذا هو الشـرك

[45] - محمد بن عبد الوهاب: التوحيد ص 36

[46] - المصدر ، باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله.

[47] ? - وكان ابن تيمية قد اعتبر زيـارة قبـور الأوليـاء والأنبيـاء والصـالحين ، والتوسل والاستغاثة بهم ، نوعا من الشرك المنافي للتوحيد والألوهية وعبادة الله ، وقال: إن " هذه البدعة هي أصل الشـرك وتبـديل الاسـلام. وان عمـار المشاهد هم مشركون أو متشبهون بالمشركين. لم يكن بنـاء المسـاجد على القبـور الـتي تسـمى المشـاهد وتعظيمها من دين المسـلمين ، بل من دين المشركين" . راجع: كتب ورسائل ابن تيمية في الفقه ، ج27 ص 16 و كتاب اقتضاء الصراط المستقيم ص 457 و334

[48] - محمد بن عبد الوهاب: رسالة في (معنى لا اله الا الله)

[49] - روى عن مالك في الموطأ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم لا تجعل قـبري وثنـاً يعبـد، اشـتد غضب الله على قـوم اتخـذوا قبـور أنبيائهم مسـاجد). محمد بن عبد الوهـاب: كتـاب التوحيد (بـاب ما جـاء أن الغلو في قبـور الصـالحين يصـيرها أوثانا تعبد من دون اللـه) . واعتـبر كـذلك طلب الشـفاعة من النـبي (ص) مصـداقا لحـديث آخر رواه البرقـاني : (لا

الأكـبرـ". وان هـذا ما يفعله الكفـار عند عبـادتهم للأصـنام.[50] إذ أنهم لا يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وتـرزق وتـدبر أمر من دعاها؟ .[51]

وقال : لا تظنوا ان الاعتقاد في الصالحين مثل الزنا والسرقة ، بل هو عبـادة الأصـنام ، من فعله كفر وتـبرأ منه رسـول الله (ص) .. وان دين الكفـــار الـــذي كفـــرهم به هو "الاعتقـــاد في الصالحين" الذين كانوا يقولون : انما اعتقـدنا فيهم ليقربونا الى الله زلفى ويشـــفعون لنا [52]. وقـــال: " ان هـــذا الـــذي يســـميه "المشركون" في زماننا هذا : "الاعتقاد" هو الشرك الـذي أنـزل الله في القرآن وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسـلم النـاس عليه، وان شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا".

تكفير عامة المسلمين

ولما كانت زيارة قبور الأنبياء والأولياء والصالحين منتشرة في جميع البلاد الإسلامية ، فقد اعتبر الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب عامة المســلمين كفـــارا ومشـــركين ومرتـــدين كأهل الجاهلية الأولى ، أو أضل منها ، وقـــــال:" ان أكــــثر الخلق قد لعب بهم الشـــيطان و زيَّن لهم الشـــرك بالله ، وأخرجه في قـــالب حب الصـــالحين وتعظيمهم"ـ[53] "وإن المشـــركين في زماننا أضل من الكفـار الـذين في زمـان رسـول الله .. فلا يخفى عليكم ما ملأ الأرض من الشـرك الأكـبر : عبـادة الأصـنام " [54] ، وذلك لأنهم " يتعبـدون بإشـراك الصـالحين في دعـاء الله وعبادتـه، يريـدون شـــفاعتهم عند اللـــه، لظنهم أن الله يحب ذلك وأن الصـــالحين يحبونه ... وهذه أعظم مسـألة خـالفهم فيها رسـول الله صـلى

تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئة من أمتي الأوثان ...). كتاب التوحيد (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان) .

[50] - محمد بن عبد الوهاب: كشف الشبهات ، ص 26

[51] - المصدر ، ص 36 - 37

[52] - ابن غنام : تاريخ نجد ، ص 470 - 471

[53] - المصدر ، ص 243

[54] - المصدر ، ص 244

الله عليه وسلم، فأتى بالإخلاص، وأخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل، وأنه لا يُقبل من الأعمال إلا الخالص، وأخـبر إن من فعل ما استحسنوا فقد حَرم الله عليه الجنة ومأواه النار.

وهذه هي المسـألة الـتي تَفـرق النـاس لأجلها بين مسـلم وكافر، وعندها وقعت العداوة، ولأجلها شرع الله الجهاد كما قال تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)" [55].

واستنتج الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، من خلال الربط بين أفعـــال مشـــركي الأمم الســـابقة وبين ما يفعله المســـلمون المعاصرون له من زيارة القبور والدعاء عنـدها وطلب الشـفاعة منها أو الاستغاثة بها ، ارتداد الأمة الإسلامية وعودتها الى شــرك الجاهلية الأولى وعبادة الأوثان والأصنام (أي القبور) .[56]

وقال:" اتبع هؤلاء سنن من قبلهم وسلكوا سبيلهم شبرا بشبر وذراعا بـذراع ، حـذو القـذة بالقـذة ، وغلب الشـرك على أكـثر النفــوس لغلبة الجهل وخفــاء العلم ، وصــار المعــروف منكــرا والمنكر معروفا والســـنة بدعة والبدعة ســـنة ، ونشأ في ذلك الصــغير وهــرم عليه الكبــير وطمست الأعلام واشــتدت غربة الإســلام ، وقل العلمــاء وغلب الســفهاء وتفــاقم الأمر واشــتد البأس وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس".[57]

واعتبر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، أيضا ، عامة البدو في زمانه ، كفــارا ، وقــال: إن كفــرهم أعظم من كفر اليهــود .

---

[55] - محمد بن عبد الوهاب: 128 مسالة من مسائل الجاهلية

[56] - محمد بن عبد الوهاب: كتاب التوحيد ، ص 19

[57] - ومن هنا قال:" لا يجـوز ابقـاء مواضع الشـرك والطـواغيت بعد القـدرة على هدمها وابطالها يوما واحدا ، فانها شـعائر الشـرك والكفر ، وهي أعظم المنكرات ، فلا يجـوز الاقـرار عليها مع القـدرة البتة ، وهكـذا حكم المشـاهد التي بنيت على القبور التي اتخـذت أوثانا تعبد من دون الله ، والأحجـار الـتي تقصد للتبرك والنذر والتقبيل . لا يجوز إبقـاء شـيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته ، وكثير منها بمنزلة اللات والعـزى ومنـاة الثالثة الاخـرى ، بل أعظم شركا عندهم .. ولم يكن أحد من أرباب هذه الطـواغيت يعتقد انها تخلق وتـرزق وانما كـانوا يفعلـون عنـدها وبها ما يفعله إخـوانهم المشـركون اليوم عند طواغيتهم " . ابن غنام : تاريخ نجد ، ص 284

واستنكر إطلاق صفة المسلمين عليهم لمجرد انهم يقولون (لا اله الا الله) مع انهم حسب قوله لا يعلمون من الإسلام شيئا. وقال: " ما أحسن ما قال واحد من البوادي ، لما قدم علينا وسمع شيئاً من الإسلام ، قال : (أشهد أننا كفار - يعني هو وجميع البوادي - واشهد أن المطوع الذي يسمينا أهل الإسلام أنه كافر !)" . و "من المعلوم عند الخاص والعام ما عليه البوادي أو أكثرهم.. فان كان للوضوء ثمانية نواقض ، ففيهم من نواقض الإسلام أكثر من المائة ناقض".[58]

وبالإضافة الى التكفير بسبب زيارة قبور الأولياء والصالحين ، والاستغاثة بهم وطلب الشفاعة منهم ، وهو ما كان يشترك فيه السنة والشيعة بصورة عامة ، فقد كانت لدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب عوامل أخرى إضافية لتكفير الشيعة الذين سماهم "الرافضة" [59]. ولم تكن لتلك العوامل علاقة مباشرة بنظرية التوحيد ، وانما كانت – في نظره - تدخل بصورة غير مباشرة في نواقض الإيمان ، وتلك العوامل أو النقاط هي: القول بالعصمة والنص والوصية في الإمامة وانحصارها في أهل البيت ، وإنكار شرعية خلافة الخلفاء ، وسب الصحابة والقول بارتدادهم ، وادعاء نقص القرآن.[60]

---

[58] - المصدر ، ص 264

[59] - انظر كتاب (رسالة في الرد على الرافضة) لمحمد بن عبد الوهاب ، تحقيق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد ، و تقديم عبد الله بن عبد المحسن التركي ، نشر كلية الشريعة في جامعة الامام محمد بن سعود في الرياض سنة 1413 ، 1992. وقد كان (الرافضة) في التاريخ فريقا صغيرا من الشيعة ولم يكن الشيعة الذين انقسموا الى أكثر من سبعين فرقة ، كلهم رافضة ، كما لم يكونوا كلهم إمامية. ولكن الشيخ عبد الوهاب لم يميز بينهم وبين فرقهم المختلفة البائدة والمنقرضة والمعاصرة ، كما لم يلاحظ التطورات الكثيرة التي حدثت في صفوف الشيعة باتجاه التخلص من الجماعات المتطرفة والآراء والشاذة ، فأطلق على الشيعة جميعا اسم (الرافضة).

[60] - فقال في (مطلب الوصية بالخلافة) من كتابه (الرد على الرافضة) ، بعد ان نقل عن الشيخ المفيد حديثا حول تردد النبي في تبليغ الأمر بولاية علي خوفا من الصحابة :" ان من اعتقد منهم صحة ذلك فقد هلك .. واعتقاد ما يخالف كتاب الله والحديث المتواتر كفر ، وان فيه كذبا على الله وعلى رسوله ومن استحل ذلك فقد كفر" . وقال في (مطلب انكار خلافة الخلفاء):"إنكارها يستل تفسيق من بايع الصديق ، وقد بايعه الصحابة ، واعتقاد تفسيقهم يخالف قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ومن اعتقد ما يخالف كتاب الله فقد كفر". وقال في (مطلب السب):" من سب

و بناء على ذلك قال عنهم:" إني لا اعتقد كفر من كان عند الله مسلماً ، ولا إسلام من كان عنده كافراً ، بل أعتقد من كان عنـده كـافراً كـافراً ، وما صح عن العلمـاء من أنه لا يكفر أهل القبلة فمحمــول على من لم يكن بدعته مكفــرة ، لأنهم اتفقت كلمتهم على تكفير من كانت بدعته مكفرة ، ولا شك ان تكـذيب رســول الله (صــلى الله عليه وآلــه) فيما ثبت عنه قطعا كفر ، والجهل في مثل ذلك ليس بعذر".[61]

وقد اعتبر "الرافضة" مشركين ، بناء على حديث رواه بحقهم عن النبي (صلى الله عليه وآله) يقول فيه:" يا علي سـيكون في أمتي قوم ينتحلون حب أهل الـبيت لهم نـبز يسـمون الرافضة ، قاتلوهم فانهم مشركون". [62]

عدم العذر بالجهل ، وشرط الولاء السياسي

واشترط الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، شـروطا ثمانية للإيمـــان ، وكـــان منها الـــولاء والـــبراء ، ولـــذلك لم يكتف من المؤمـــنين بنظريته ، مجـــرد الامتنـــاع عن الاســـتغاثة بالأوليـــاء والصـــالحين أو زيـــارة قبـــورهم وطلب الشـــفاعة منهم ، وانما طـــــالبهم بترجمة إيمـــــانهم الى موقف عملي بالانضـــــمام الى صـــفوفه. واعتـــبر من يـــتردد في ذلك او يتخذ موقفا مؤيـــدا

من قد رضي الله عنه فقد حـارب الله ورسـوله. ومن سـبهم فقد خـالف ما أمر الله من إكرامهم ومن اعتقد السـوء فيهم فقد كـذب الله فيما أخـبر من كمالهم ومكذبه كافر" وقـال في (مطلب دعـواهم نقص القـرآن):"من اعتقد عـدم صـحة حفظه من الاسـقاط واعتقد ما ليس منه فقط كفر". وقـال في (مطلب فضل الامــام علي):" من اعتقد في غــير الأنبيــاء كونه افضل منهم ومساويا لهم فقد كفر" . وقال في (مطلب سبهم عائشة):"قـذفها الآن كفر وارتـداد ولا يكتفى فيه بالجلد لأنه تكـذيب لسـبع عشـرة آية من كتـاب الله ، فيقتل ردة ، ومكذب القرآن كافر ليس له الا السيف وضرب العنق".

[61] - محمد بن عبد الوهاب: الرد على الرافضة ، مطلب السب ،

[62] - وقد بنى اتهاماته تلك ، التي كفر على أساسها الشيعة ، على أقوال بعض كتاب ومتكلمي الامامية السابقين ، كالمفيد والصدوق والكشي والحلي ، و بعض الروايــات الــتي وجــدت في كتبهم الحديثية والكلامية ، والــتي لم يقولوا بصحتها جميعا .

"للمشركين" كافرا أيضا. وقد قال في رسـالته الى شـريف مكة أنه يكفر حتى من يعرف (التوحيـد) الـذي أظهـره للنـاس ، ويقر بــأن الاعتقــاد في الحجر والشــجر والبشر شــرك بالله ، إذا لم يلتفت الى (التوحيـــد) ولم يتعلمه ولم يـــدخل فيه ولم يـــترك (الشرك). وكذلك من لم يهاجر اليه وفضل البقـاء مع أهل بلـده والقتال معهم. وعرّف الكافر :" بأنه الشخص الـذي عـرف "دين الرسول" وظل واقفا ضـده ، ويمنع الآخـرين من اعتناقه ويظهر العداء لمن يتبع دينه".[63]

و هكذا وبعد أن توصل الشيخ الى نظريته الخاصة والجديدة في (التوحيــد) أعلن وهو في العيينة ، في رســالة مفتوحة بعث بها الى القرى المجاورة : (الرياض ومنفوحة والدرعية وحـريملا) قــائلا:" أنا أخــبركم عن نفسي.. وأنا ذلك الــوقت لا أعــرف معنى (لا إله الا اللـه) ولا أعـرف دين الإسـلام ، قبل هـذا الخـير الذي مَنَّ الله به ، وكـذلك مشـايخي ما منهم رجل عـرف ذلـك. فمن زعم من علماء "العارض" أنه عرف معـنى (لا اله الا اللـه) أو عرف معنى الإسـلام قبل هـذا الـوقت ، أو زعم عن مشـايخه أن أحــداً عــرف ذلك ، فقد كـذب وافـترى ولبّس على النــاس ومـدح نفسه بما ليس فيه ".[64] وقـال أيضـا:"الله.. اللــه.. عبـاد الله!.. لا تغـتروا بمن لا يعـرف شـهادة أن لا إله إلا الله ، وتلطخ بالشرك وهو لا يشـعر ، فقد مضى أكـثر حيـاتي ولم أعـرف من أنواعه ما أعرفه اليوم ، فلله الحمد على ما علمنا من دينه".[65]

وقال منتقدا علماء زمانه:" ان الله سبحانه لما أظهر شيئا من نور النبوة في هـذا الزمـان ، وعـرف العامة شـيئا من الإسـلام ، وافق أنه قد تــرأس على النـــاس رجــال من أجهل العــالمين وأبعدهم من معرفة ما جـاء به محمد (صـلى الله عليه وآلـه) ... ويـدعون أنهم يعملـون بالشـرع ولا يعرفـون شـيئا من الـدين الا شــيئا من كلام بعض الفقهــاء.. وأما العلم الـــذي بعث الله بن

---

[63] - ابن غنام : تاريخ نجد ، ص 299 و 304 ، وهو يقصد بدين الاسلام بالطبع: المفهوم الوهابي للتوحيد .

[64] - المصدر ، ص 310 من رسالة الى قاضي الدرعية الشيخ عبد الله بن عيسى

[65] - المصدر ، ص 314

محمد (ص) فلم يعرفـوا منه خـبرا ولم يقفـوا منه على عين ولا أثر.. فهؤلاء الذين يزعمون أنهم علماء أشـتد إنكـارهم علينا لما تكلمنا بـذلك ، وزعمـوا أنهم لم يسـمعوا من مشـايخهم ومن قبلهم. فلما ظهر هـذا الأمر اجتهـدوا في عداوته وإطفائه بما أمكنهم وجاهدوا في ذلك بأيديهم وألسنتهم".[66]

وكتب الى شيخ أهل (رغبة) أحمد بن يحيى ، قائلا:" هذه الفتنة الواقعة ليست في مسائل الفروع ولكن في شـهادة أن لا إله إلا اللـه".[67] وان :" من عبد الله ليلاً ونهـاراً ، ثم دعا نبيا أو وليا عند قـبره ، فقد اتخذ إلهين اثـنين ، ولم يشـهد أن لا إله إلا الله ، لأن الإله هـو: (المـدعوّ)... وهـذا الشـرك قد طبق اليـوم مشـارق الأرض ومغاربها ، الا الغربـاء المـذكورين في الحـديث (وقليل ما هم)".[68]

وكتب الى قاضي الرياض الشيخ سليمان بن سحمان ، قائلا :" .. الى الآن ، أنت وأبـوك ، لا تفهمـون شـهادة لا اله الا اللـه.. ونكشف لك هذا ، لعلك تتوب الى الله وتدخل في دين الإسلام ، ان هداك الله ... ولكن أنت رجل جاهل مشرك مبغض لدين الله وتلبس على الجهال الذين يكرهون دين الإسلام ويحبون الشـرك ودين آبائهم". [69]

و قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بتكفير بعض الناس على التعـيين ، حيث أعلن كفر بعض الأشـراف والزهـاد ومشـايخ الصوفية ، الأحياء ، الذين كان ينـذر لهم النـاس ويطلبـون منهم الـدعاء من الله لشـفاء المرضى والتفـريج عن المكـروب ، من أمثـال (آل شمسـان وتـاج وحطـاب وطـالب الحمضي وحسـين وإدريس) واعتبرهم شركاء لله في توحيد الربوبية و الإلهية.[70]

---

[66] - المصدر ، ص 413-420

[67] - المصدر ، ص 353

[68] - من رسالة للشيخ الى عبد الرحمن بن ربيعة ، مطوع أهل ثادق . المصدر ، ص 342

[69] - المصدر، ص 299 و 304 وهو يقصد بدين الاسلام بالطبع: المفهوم الوهابي للتوحيد .

[70] - المصدر ، ص 474 - 475

و حكم على من شك في كفرهم بالكفر أو الفسق ، فقال:" إذا عرفتم ذلك فهؤلاء الطـواغيت الـذين يعتقد النـاس فيهم من أهل (الخرج) وغيرهم ... كلهم كفار مرتدون عن الإسـلام ، ومن جادل عنهم ، أو أنكر على من كفّرهم ، أو زعم : ان فعلهم هـذا لو كان باطلا فلا يخرجهم الى الكفر . فأقل أحوال هذا المجـادل أنه فاسق ، لا يقبل خطه ولا شـــهادته ولا يصـــلى خلفه ، بل لا يصح دين الإسلام الا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم".[71]

وقال: "..أما الكلام في الطواغيت مثل إدريس وآل شمسان ، فـالكلام على هـذا طويـل... ونقل الإجمـاع على أن من فعل عشر معشار فعل هؤلاء الطواغيت أنه كافر حلال الدم والمال ، وقد صرح بأن من شك في كفرهم فهو كافر ، فكيف إذا مدحهم وأثـــنى عليهم؟.. وكفر هـــؤلاء وادعـــاؤهم الربوبية متـــواتر عند الخـاص والعـام والرجـال والنسـاء ، وهم الآن يُعبـدون ويـدعون النـــاس الى ذلـــك".[72] ولم يكن يجد حرجا في تكفـــير قاضي الرياض سليمان بن سحيم وأمثاله لمجــرد الاختلاف معه ورفض مفهومه الخاص للشرك والتوحيد.

وعندما توقف بعض أتباع الشيخ ، في مسألة التكفير لعامة المسلمين او لبعضهم على التعيين ، وطرحوا عليه موضوع عدم قيام الحجة عليهم ، وسـألوه عن قـول الشـيخ ابن تيميـة: (من جحد ما جاء به الرسول وقـامت عليه الحجة فهو كـافر) أجـابهم قائلا:" ما ذكرتموه من قول الشيخ: (من جحد كذا وكـذا) وأنكم شاكون في هؤلاء الطواغيت وأتبـاعهم: هل قـامت عليهم الحجة ؟ أم لا؟ فهـذا من العجب العجـاب ، كيف تشـكون في هـذا وقد أوضحته لكم مـرارا ؟! فـان الـذي لم تقم عليه الحجة هو الـذي حديث عهد بالاسلام ، والذي نشأ ببادية بعيدة ، أو يكون ذلك في مسألة خفية ... فان حجة الله هي القرآن ، فمن بلغه فقد بلغته الحجة ، ولكن أصل الإشـكال أنكم لم تفرقـوا بين قيـام الحجة

---

[71] - المصدر ، ص 310 وقال أيضا: " كفرنا هؤلاء الطواغيت أهل الخرج وغـيرهم بـالأمور الـتي يفعلونها هم ، منها : انهم يجعلـون آبـاءهم وأجـدادهم وسـائط ، ومنها انهم يـدعون النـاس الى الكفر ، ومنها : انهم يبغضــون عند الناس دين محمد (ص) ويزعمون أن أهل العـارض كفـروا لما قـالوا : لا يعبد الا الله". المصدر ، ص 304

[72] - المصدر ، ص 413-420

وبين فهم الحجة ، فان أكثر الكفـار والمنـافقين لم يفهمـوا حجة الله مع قيامها عليهم... إذا علمتم هذا فهذا الـذي أنتم فيه ، وهو الشك في أنـاس يعبـدون الطـواغيت ويعـادون "دين الإسـلام" ويزعمون انه ردة لأجل انهم ما فهموا ، كل هذا أظهر وأبين مما تقدم".[73]

وعندما وجد لدى بعض الناس صعوبة في تقبل عملية التكفير العامة التي يقوم بها ، قال:" قد بلغني أنكم في هـذا الأمر قمتم وقعـدتم .. فيـاليت قيـامكم في عظـائم في بلـدكم تضـاد أصل الإسـلام: (شـهادة أن لا اله الا الله وان محمد ا رسـول اللـه) ، منها وهو أعظمها : عبادة الأصـنام عنـدكم من بشر وحجر ، هـذا يــذبح له وهــذا ينــذر له ، وهــذا يطلب إجابة الــدعوات وإغاثة اللهفات ، وهذا يدعوه المضطر في البر والبحر ، وهذا يزعمــون ان من التجأ اليه ينفعه في الـدنيا والآخـرة.. فـان كنتم تزعمـون ان هذا ليس هو عبـادة الأصـنام والأوثـان المـذكورة في القـرآن فهذا من العجب".[74]

وكتب في رســالة الى قاضي الدرعية الشــيخ عبد الله بن عيسى ، وابنه ، في بداية دعوته عندما كان في العيينة ، قائلا :" ذكر لي أنكم زعلانين في هــذه الأيــام ، ولا يخفــاك أني زعلان زعلاً كبيرا وناقد عليكم نقودا أكـبر من الزعـل... وقيل لي: إنكم ناقـــدون علي بعض الغلظة ، والأمر أغلظ مما ذكرنا. ولــــولا أن الناس الى الآن ما عرفـوا دين الرسـول وأنهم يسـتنكرون الأمر الذي لم يألفوه ، لكان شيء آخر . بل والله الــذي لا إله إلا هو ، لو يعــرف النــاس الأمر على وجهه لأفـتيت بحل دم ابن سـحيم (قاضي الريـاض) وأمثاله ، ووجـوب قتلهم ، كما أجمع على ذلك أهل العلم كلهم ، لا أجد نفسي حرجا من ذلــــك. ولكن ان أراد الله أن يتم هذا الأمر تبين أشياء لم تخطر لكم على بال".[75]

وأرسل الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضا رسالة عنيفة الى أحد تلامذته في الاحسـاء وهو الشـيخ أحمد عبد الكـريم ، الـذي تراجع عن التكفـــير واستشـــكل في الحكم بكفر من يعـــارض

---

[73] - المصدر ، ص 410 - 411

[74] - المصدر ، من رسالة للشيخ الى ابن عبد اللطيف ، ص 223

[75] - المصدر ، ص 327

الوهابية ، وقال فيهـا:" نسـأل الله ان يهـديك لـدين الإسـلام... قرناء السوء أضـلوك ، كما هي عـادتهم ، وأنت – والعيـاذ بالله – تنزل درجة درجة أول مـرة في الشك وبلد الشـرك ، ومـوالاتهم والصــلاة خلفهم وبراءتك من "المســلمين" مداهنة لهم. ثم بعد ذلك طحت على ابن غنــام وغــيره وتــبرأت من "ملة إبــراهيم" وأشهدتهم على نفسك باتبـاع "المشـركين" من غـير إكـراه لكن خوف ومداراة.

تـذكر أنك عـثرت على كلام للشـيخ (ابن تيميـة) أزال عنك الإشكال. العبـارة صـريحة واضـحة في تكفـير مثل ابن فـيروز[76] وصالح بن عبد الله وأمثالهما كفرا ظاهرا ينقل عن الملة ، فضلا عن غيرهما".[77]

وقال: "من لم يكفر (المشركين) أو يشك في كفرهم أو صحح مـذهبهم كفـر... ولا فـرق بين جميع هـذه النـواقض بين الهـازل والجاد والخـائف والمكـره".[78] أو " من لم يكفر (المشـركين) أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم فهو كافر".[79]

غربة الإسلام والمسلمين

وقد استساغ الشيخ محمد بن عبد الوهاب عملية تكفير عامة المسلمين واتهامهم بالشرك ، اعتمادا على بعض الأحاديث التي

---

[76] - ابن فيروز هو: محمد بن عبد الله ، وقد قال عنه الشيخ في مناسبة أخرى:" انه أقربهم الى الاسلام ، وهو رجل من الحنابلة وينتحل كلام الشيخ وابن القيم خاصة ، ومع هذا صنف مصنفا وأرسله الينا قرر فيه أن هذا الذي يفعل عند قبر يوسف وأمثاله هو الدين الصحيح". ابن غنام : تاريخ نجد ، ص 337

[77] - المصدر ، ص 343 و345

[78] - محمد بن عبد الوهاب ، الرسالة الثالثة في نواقض الاسلام ، مجموعة التوحيد المعروفة بمجموعة التوحيد النجدية ، ص 178

[79] - الدرر السنية ، ج2 ص 360

تشير الى غربة الإسلام في آخر الزمان ، وسير الأمة الإســلامية سيرا انحداريا أبديا ، فقال:" مما يدل على غربة الإسلام ما أخبر به النبي من وقوع الشــرك في هـذه الأمة (حـتى تعبد فئـام من أمــتي الأوثــان) و (تــدور رحى الإســلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين ، فان يهلكـوا فسـبيل من هلك ، وان يقم لهم دينهم يقم تسعين عاما)..

فلما طال الأمد بعدهم ، صارت كتبهم في أيدي أنـاس جهلة فرجعــوا الى ما كـــان عليه من قبلهم ممن مضى من المبتدعة وكــثر الشــرك في القــرى والأمصــار ، وصــاروا لا يعرفــون من التوحيد الا ما تدعيه الأشاعرة .. حــتى نسي العلم وعم الشــرك والبـدع الى منتصف القـرن الثـاني عشر ، فانه لا يعـرف إذ ذاك عالم أنكر شركا أو بدعة مما صار في آخر هذه الأمة".[80]

وقد اعتمد أيضا على حديث لابن مسعود يقول فيه: (ليس عامٌ الا والذي بعده أشرّ منه ، لا تقول عــامٌ أخصب من عـام ولا أميرٌ خـير من أمـير ، لكن ذهب علمـاؤكم وخيـاركم ، ثم يحـدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام وينثلم).

وقـال في رسـالة له الى الشـيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيـف:" ان رسـول الله وأصـحابه.. أخـبروا انه لا يصـبر على الدين الا الواحد بعد الواحد ، وان الإسـلام يصـير غريبا كما بـدأ.. فإذا كـان الإسـلام يعـود كما بـدأ ، فما أجهل من اسـتدل بكـثرة النــاس وإطبــاقهم" [81] " فلتكن قصة إســلام ســلمان الفارسي منكم على بــال ، ففيهــا: انه لم يكن على دين الرسل الا الواحد بعد الواحد ، حتى ان آخـرهم قـال عند موتـه: لا أعلم على وجه الأرض أحدا على ما نحن عليه ، ولكن قد أطل زمان نبي. واذكر مع هـذا قـول الله تعـالى : (فلـولا كـان من القـرون من قبلكم أولــوا بقية ينهــون عن الفســاد في الأرض الا قليلا ممن أنجينا منهم)".[82]

---

[80] - المصدر ، ج2 ص 219 - 220
[81] - ابن غنام : تاريخ نجد ، ص 213
[82] - المصدر ، ص 219

وقال في رسالة له الى أهل حـريملا :" في الصـحيحين: ان بعث النار من كل ألف تسـعة و تسـعون وتسـعمائة ، وفي الجنة واحد من كل ألف.. بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ".[83]

وأضـاف الشـيخ الى ذلك حـديث افـتراق الأمة الى أكـثر من سـبعين فرقة كلهم في النـار الا واحـدة ، ليشـطب على جماعة الأمة ، ويهـون من خطب تكفـير عامة المسـلمين وحصر الحق في طائفته فقط .[84]

إذ فسر مفهـوم الجماعة بمعـنى آخر وهـو: (أهل الحق وان قلوا) ، والتأكيد على أقلية الغرباء في كل العصـور ، فقـال لأحد أصحابه القلقين : " لعلك تنجو من الهوة الكبيرة الـتي هلك فيها أكثر الناس وهي الاقتداء بالأكثر وبالسواد ، والنفرة من الأقـل... فان كان الناس كلهم على باطل الا واحدا ، فهم الشـاذون. وقد شذ الناس كلهم في زمن أحمد بن حنبل الا نفرا يسيرا ، فكـانوا هم الجماعة ، وكانت القضاة يومئذ والمفتون والخليفة وأتبـاعهم كلهم الشاذون ، وكان الإمام وحده هو الجماعة".[85]

ومن هنا فقد أطلق الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جميع كتبه ورسـائله ، كلمة "المشـركين" على عامة المسـلمين ، وطلب منهم التوبة والرجوع الى (التوحيد). وسـمى أتباعه فقط بـ: "الموحدين" و"المسلمين" .[86]

---

[83] - المصدر ، ص 362 ويؤكد هـذا المعـنى حفيد الشـيخ ، عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، في رسالة له الى محمد بن سـليمان البغـدادي: حيث يقـول:" لم ينج من شرك هذا الشرك الا الخواص والأفراد والغربـاء في سـائر البلاد ، وذلك مصداق ما أخبر به الصـادق بقولـه: (بـدأ الاسـلام غريبا وسـيعود غريبا كما بـدأ) قـال بعض الأفاضـل: الاسـلام في وقتنا أشد منه غربة في أول ظهوره" الدرر السنية ص 492 – 493 ويقول أيضـا:"هـذا الشـرك لم يصل اليه شرك جاهلية العرب". المصدر ص 496

[84] - ابن غنام : تاريخ نجد ، ص 218

[85] - كشك ، محمد جلال : السعوديون والحل الاسلامي ص 99

[86] - محمد بن عبد الوهاب: تطهير الاعتقاد ، ص 35

رد فعل المسلمين

وقد رفض كثير من علماء نجد نظرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تكفير زوار القبـور واعتبـار الزيـارة شـركا ، بـالرغم من انتماء بعضهم للمذهب الحنبلي والسلفي ومدرسة ابن تيمية وابن القيم.[87]

و حكم بعض هــؤلاء ، كالشــيخ عبد الله المــويس وابن اسماعيل وابن عبيد ، على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه بالردة [88]، والخروج من دين الإسـلام.[89] وقـاموا بإرسـال رسـائل تحريض عامة في إنكار الدعوة الوهابية والبراءة من أصحابها.[90]. وأنكروا على الشيخ تكفير المسلمين وإعلان الحرب عليهم.[91]

---

[87] - وكان من أشدهم: عبد الله بن عمر المويس التميمي (- 1175 هـ) ، قاضي بلد (حرمة) و محمد بن عبد الله بن فيروز (1146هــ - 1216هــ) في الأحسـاء ، و سـليمان بن محمد بن سـحيم (-1181هــ) في الريـاض ، و عبد الله بن عيسى ، وابنه عبد الوهـــاب ، في الدرعية ، وابن اســـماعيل ، في ثرمدا ، وأحمد بن علي القباني البصري ، وعبد الرحمن ابن ربيعة ، في ثـادق ، وأحمد بن يحــيى ، في رغبة ، ومحمد بن سـليمان ، في وثيثية ، ومحمد بن عبد الـــرحمن ابن عفـــالق (-1164هـ) وعبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي ، أستاذ الشيخ في الأحساء ، وسيف بن أحمد العتيقي (-1189هــ) في حرمة ســـدير ، وعبد الله بن أحمد بن محمد بن ســـحيم ، في المجمعة وســدير ، وعبد العزيز بن عبد الــرحمن بن عــدوان (-1179هـــ) في أثيثية بالوشم ، ومربد بن أحمد الوهيبي التميمي (-1171هـ) في حريملاء ، وصـالح بن عبد الله الصـــائغ (-1183هـــ) القاضي في عنـــيزة ، و عبد الله بن داود الزبيري (- 1225) و محمد بن سليمان الكــردي (1127-1194) في المدينة المنورة.

[88] - ابن غنام: تاريخ نجد ، ص 353

[89] - المصدر ، ص 451

[90] - ابن غنام: تاريخ نجد ، ص 342

[91] - المصدر ، ص 336 ، في رسالة من الشيخ الى أحمد بن ابراهيم ، مطوع أهل مرات .

وكتب الشيخ سليمان بن سحيم ، عالم أهل الرياض ، رسالة الى أهل البصــرة و الأحســاء ، ضد الشــيخ ، جــاء فيها:" .. انه يقول: الناس من ستمائة سنة ليسوا على شــيء. وتصـديق ذلك أنه بعث إليّ كتابا يقول فيه: اقروا أنكم قبلي جهال ضلال. ومن أعظمها: ان من لم يوافقه في كل ما قال ويشهد أن ذلك حق ، يقطع بكفره ، ومن وافقه وصدقه في كل ما قـال ؛ قـال : (أنت موحد). ولو كان فاسقا محضا ومكاساً ... ومنها أنه قــاطع بكفر سادة عندنا من آل الرسـول ، لأجل أنهم يأخـذون النـذور ، ومن لم يشهد بكفرهم فهو كافر عنده".[92]

أما محمد بن عبد الرحمن ابن عفالق فقد أخذ على الشيخ محمد بن عبد الوهـاب تكفـير الأمة كلها[93]، وقـال:" هـذا الرجل كفّر الأمة ، بل والله وكذّب الرسل وحكم عليهم وعلى أممهم بالشرك ، وحلف يميناً فاجرة أن اليهود والمشركين أحسن حــالا من هــذه الأمــة. لقد كفّر هــذه الأمة بأســرها وكفّر من لم يقل بضلالها وكفرها".[94] وهكذا قال علـوي الحـداد:" إذا أراد رجل أن يدخل في دينه ، يقول له : اشــهد على نفسك أنك كنت كـافرا ، واشــهد على والــديك أنهما ماتا كـافرين ، واشــهد على العــالم الفلاني والفلاني أنهم كفـار، وهكـذا.. فـان شـهد بـذلك قبله والا قتلــه".[95] ويقــال إنه كــان يــأمر " المســلمين" الجــدد بحلق رؤوســهم كما كــان رســول الله (ص) يــأمر المشــركين عند دخولهم في الإسلام ، ويقول:" ألقِ عنك شعر الكفر" .[96]

---

[92] - المصدر ، ص 270 - 271

[93] - عبد العزيز العبد اللطيف: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص 81 و82

[94] - المصدر ، ص 163

[95] - المصدر ، ص 165 وقال زيني دحلان في: (الدرر السنية في الرد على الوهابيــة) : انهم لا يعتقــدون موحــدا الا من تبعهم فيما يقولــون ، فصــار الموحدون على زعمهم أقل من كل قليل ، وكانوا يصرحون بتكفير الأمة منذ ســتمائة سـنة ، واذا دخل انسـان في دينهم وكـان قد حج حجة الاسـلام قبل ذلك ، يقولون له: حج ثانيا فان حجتك الأولى فعلتها وأنت مشرك فلا تســقط عنك الحج. راجع دعوى المناوئين ، ص 50 و166

[96] - الحصين ، أحمد: دعوة الامام .. سلفية لا وهابية ، ص 278 (عن الحق المبين في الرد على الوهابية المبتدعين ص 45). ويؤيد ذلك ما يقوله الشـيخ حسـين بن غنـام عنـدما يتحـدث مثلا عن عيسى بن قاسم وأحمد بن سـويلم فيقول :"انهما سألا الشيخ مسـألة في أول إسـلامهما" ، ويعـنى أول دخولهما

وهذا ما يفسر قيام علماء الحرمين (مكة المكرمة والمدينة المنـورة) في إبـان امـارة الشـريف مسـعود بن سـعيد بن زيد (المتوفى سنة 1165هـ) بـإعلان كفر الوهـابيين ، بعد حـوار مع وفد منهم.[97]

ويمكن القول ان تكفير العلماء المسلمين للشيخ وأتباعه ، كــان رد فعل على تكفــيرهم لعامة المســلمين ابتــداء ، وليس العكس ، حيث رفض علمـاء الإسـلام التفسـير الوهـابي لمعـنى الشرك والتوحيد الذي يخلط بين الشرك الأصغر الـذي لا يُكفّــر ولا يُخرج من الدين ، وبين الشرك الأكبر الصريح الذي يجعل مع الله الها آخر .

و يمكن ملاحظة ذلك من خلال شهادة الشيخ سليمان بن عبد الوهـاب ، الـذي كـان يشـغل منصب القضـاء في (حـريملاء) ، والـذي انتقد أخـاه قـائلا:" إذا طلبت منه ان يعـرض كلامه على أهل العلم لم يفعل بل يوجب على الناس الأخذ بقوله وبمفهومه ، ومن خالفه فهو عنده كافر ... إن الأمة كلها تصيح بلسان واحد ومع هذا لا يرد لهم في كلمة بل كلهم كفار او جهال".[98]

وقد قال للوهابيين بصراحة:" إنكم الآن تكفرون من شهد ان لا اله الا الله وحده وان محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وآتى الزكــاة وصــام رمضــان وحج الــبيت مؤمنا بالله وملائكته وكتبه ورسوله ملتزما لجميع شعائر الإسلام وتجعلونهم كفـار او بلادهم بلاد حرب".[99]

وقـال:" ..لكنكم أخـذتم هـذا بمفـاهيمكم وفـارقتم الإجمـاع وكفــرتم أمة محمد صــلى الله عليه وســلم كلهم حيث قلتم من

في الحركة الوهابية. ابن غنام ، تاريخ نجد ، ص 410 و سليمان بن سحمان : منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع ، ص 75

[97] - دحلان ، أحمد بن زيني ، فتنة الوهابية ، ص 7 ، وقد حاول علماء مكة مرة أخرى أن يثنوا نظـراءهم من نجد ، في منـاظرة جـرت بينهم في أيـام الشـريف غـالب ، عن إعلانهم إن المسـلم غـير الوهـابي مشـرك وكـافر . الياسيني ، أيمن ، الدين والدولة في السعودية ، ص 71

[98] - سليمان بن عبد الوهاب: فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب ، ص 4

[99] - المصدر ، ص 5

فعل هـذه الأفاعيل فهو كـافر ومن لم يكفـره فهو كـافر".[100] " كل هـذه البلاد عنـدكم بلاد حـرب، كفـار أهلها ، لانهم عبـدوا الأصنام على قولكم ، وكلهم عندكم مشركون شركا مخرجاً عن الملة فانا لله وانا اليه راجعـون".[101] وقـال أيضـا:" أنتم اليـوم تكفرون من ليس فيه خصلة واحدة مما في أولئك (المشـركين) بل الـذين تكفـرونهم اليـوم وتسـتحلون دمـاءهم وأمـوالهم ، عقايدهم : عقايد أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية" .[102]

وحذرهم قائلا:" ياعباد الله تنبهوا و ارجعو الى الحق وامشوا حيث مشى السلف الصـالح وقفـوا حيث وقفـوا ، و لا يسـتغركم الشيطان ويزين لكم تكفـير أهل الإسـلام وتجعلـون مـيزان كفر الناس مخالفتكم وميزان الإسلام موافقتكم " .[103]" يا عباد الله.. اتقـوا الله خـافوا ذا البطش الشـديد لقد آذيتم المؤمـنين والمؤمنـات (ان الـذين يرمـون المومـنين والمؤمنـات بغـير ما اكتسـبوا فقد احتملـوا بهتانا وإثما مبينا) والله ما لعبـاد الله عند الله ذنب الا انهم لم يتبعـوكم على تكفـير من شـهدت النصـوص الصحيحة بإسلامه واجمع المسلمون على إسلامه فـان اتبعـوكم اغضـبوا الله تعـالى ورسـوله صـلى الله عليه وسـلم وان عصـوا آراءكم حكمتم بكفـرهم وردتهم".[104] "فـانتم الان تكفـرون بأقل القليل من الكفـر، بل تكفـرون بما تظنـون انتم انه كفر ، بل تكفرون بصريح الإسلام ، فـان عنـدكم ان من توقف عن تكفـير من كفرتمـوه خايفـاً من الله تعـالى في تكفـير من رأى عليه علامات الإسلام فهو عندكم كافر".[105]

---

[100] - المصدر ، ص 7

[101] - المصدر ، ص 7

[102] - المصدر ، ص 15

[103] - المصدر ، ص 24

[104] - المصدر ، ص 27

[105] - المصـدر ، ص 29 وقد ذكر الشـيخ سـليمان في كتابه كثـيرا من الروايـات الـواردة عن النـبي (صـلى الله عليه وسـلم) والـتي تنفي إمكانية الـردة الشـاملة للأمة الاسـلامية او وقوعها في الشـرك وعبـادة الاوثـان ، وخاصة في الجزيرة العربية ، مثل الحـديث الـذي رواه البخـاري ومسـلم :" اني لست اخشى عليكم ان تشـركوا بعـدي ولكن اخشى عليكم الـدنيا ان تنافسـوا فيها فتقتلـوا فتهلكـوا كما هلك من كـان قبلكم" ، أو الـذي رواه مسـلم:"ان الشـيطان قد أيس ان يعبـده المصـلون في جزيـرة العـرب" أو الـذي رواه الحـاكم وأبو يعلى والـبيهقي عن ابن مسـعود: " ان الشـيطان قد يئس ان تعبد الاصـنام بـأرض العـرب ولكن رضى منهم بما دون ذلك

و عندما أرسل الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود ، رسالة الى سليمان باشا الكبير والي بغداد العثماني ، مع نسخة من كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب (التوحيد) وطلب منه ان يجمع العلماء للنظر في كتاب الشيخ ، والإيمان بما جاء فيه . أنكر علماء بغداد بزعامة الشيخ عبد الله أفندي الراوي ، ما جاء في الكتاب من أفكار .[106]

ورد المرجع الديني الشيعي النجفي الشيخ جعفر كاشف الغطاء على نظرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بكتاب تحت عنوان (منهج الرشاد لمن أراد السداد) فند فيه (النظرية الوهابية) التي تتهم عامة المسلمين بالشرك والكفر . وفرّق بين المشركين الذين كانوا يعبدون الصالحين ويعتقدون انهم شركاء لله ، وبين المسلمين الذين يوحدون الله ويتوسلون بالأولياء الذين يعتقدون ان لهم مكانة خاصة عنده .[107]

بالمحقرات وهي الموبقات " أو الحديث الذي رواه الامام احمد والحاكم وابن ماجه عن شداد بن أوس قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : "أتخوف على امتي الشرك " قلت : يا رسول الله أتشرك أمتك بعدك ؟ قال:" نعم .. أما انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ولكن يراؤن باعمالهم".

106 - عبد الرحيم عبد الرحمن ، الدولة السعودية الاولى ، ص 178

107 - وقال :" انما كفر عبدة الأصنام ، لأنهم فعلوا ما يعد عبادة من دون أمر الله ، ولأنهم خالفوا أنبياء الله عن نهيهم عن تلك الأشياء ، فكان قصد تقربهم فيما نهى الله عنه ، أما بناء على ان الأصنام للجبار قاهرون ، فيقربوهم قهرا ، او كان استهزاء بالرسل وتكذيبا لهم ، وكل من الكفرين أعظم من الآخر ، فان المتقربين محصل كلامهم : انا نخالف أمر الله وأمر رسوله ونعبد ما نهينا عن عبادته ليقربنا الى الله". وقال:" أما ما ذكرت من الإنكار على كثير من المسلمين الاستغاثة بغير الله ودعوة غير الله ، أقول: ان أريد بدعوة غير الله والاستغاثة إسناد الأمر الى المخلوق على انه الفاعل المختار الذي تنتهي اليه المنافع والمضار ، فذلك من أقوال الكفار ، والمسلمون بجملتهم براء من هذه المقالة او من قائلها ، وما أظن أحدا ممن في بلاد المسلمين يرى هذا الرأي ولا سمعناه من أحد الى يومنا هذا". وقال:"ان لفظ الدعاء لا يراد به المعنى اللغوي ، والا لكفر جميع الخلق ، فالمراد دعاء العبودية والمربوبية ، كمن دعا الأصنام او الصالحين مع اعتقاد ربوبيتهم وقصد عبوديتهم مكتفين بها عن عبادة الله او مشركين أولئك مع الله لقصد وصول النفع اليهم منهم وليقربوا الى الله زلفى...ثم المذمة لم تكن على اعتقاد الشفاعة او التقريب زلفى بل على العبادة بهذا القصد ، والمراد بالعبادة أعمال خاصة كما بيناه. ان المقاصد متفاوتة وانما الأعمال

إنكار " تهمة " التكفير

و أمام حملة الاستنكار الواسعة التي جوبه بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب لتكفيره عامة المسلمين، حاول ان ينفي تهمة التكفير بالعموم ، و اتهم خصومه بتلفيقها ضده ، فقد كتب الى بعض العلماء قائلا :" أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت اليكم ، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم ، والله يعلم أن الرجل افترى علي أمورا لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالي ، فمنها قوله:... إني أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء .. وإني أكفر من توسل بالصالحين وإني أكفر البوصيري لقوله (يا أكرم الخلق..) وإني أقول: لو أقدر على هدم قبة رسول الله (ص) لهدمتها .. وإني أحرم زيارة قبر النبي ، وإني أكفر من حلف بغير الله.

جوابي عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم..

إني أقول: لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى (لا إله إلا الله) وإني أعرف من يأتيني بمعناها ، وإني أكفر الناذر إذا أراد بنذره التقرب لغير الله وأخذ النذر لأجل ذلك ، وان الذبح لغير الله كفر والذبيحة حرام ، فهذه المسائل حق وأنا قائلها".[108] " وما ذكره المشركون .. على أني أكفر جميع الناس الا من تبعني ، وأني أزعم أن أنكحتهم غير صحيحة ، فيا عجبا كيف يدخل هذا في عقل عاقل؟ وهل يقول هذا مسلم ؟ أني أبرأ الى الله من هذا القول الذي ما يصدر الا عن مختل العقل فاقد الإدراك ، فقاتل الله أهل الأغراض الباطلة ".[109]

بالنيات ولكل امرء ما نوى. فرب كلمة ظاهرها الإسلام تصير بالنية كلمة كفر وبالعكس. وان كان المدار على الصور دون الحقائق فسجود الملائكة لآدم وسجود يعقوب ليوسف عبادة لغير الله ، وقد أوردنا من الأخبار وكلام الصحابة ما يفيد عدم المنع.

وعلى كل حال: ان أريدت الحقائق في الاستغاثات والدعوات وغيرها ففي ذلك خروج عن طريقة الإسلام ، و الا فلا بأس ، والا لزم ألا يخرج من الكفر أحد من العالم".محمد الحسين كاشف الغطاء: العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية ، ملحق: منهج الرشاد لمن أراد السداد . تحقيق الدكتور جودت القزويني

[108] - الدرر السنية ج1 ص 34

[109] - الدرر السنية ، ج1 ص80

وهكذا كتب الى الشيخ عبد الـرحمن بن عبد الله السـويدي ، في العراق ، رسالة يـرد فيها على "تهمة" التكفـير بـالعموم :".. ومنها ما ذكرتم أني أكفر جميع الناس الا من اتبعني ، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة. ويا عجباً كيف يدخل هذا في عقل عاقـل؟ هل يقول هذا مسلم؟ أو كـافر؟ أو عـارف ؟ أو مجنـون؟... وأما التكفــير فلم نقاتل أحــدا الى اليــوم الا دون النفس والحرمة ، وهم الـــذين أتونا في ديارنا ولا أبقـــوا ممكنا ، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة (وجزاء سيئة سـيئة مثلهـا) وكـذلك من جاهر بسب دين الرسول بعد ما عرفه".[110]

وكتب أيضا الى شريف مكة (مسـعود) ينفي لديه تهمة التكفير بالعموم ، قائلا:" وأما الكذب والبهتان ، فمثل قولهم: إنا نكفر بالعموم ونوجب الهجرة الينا على من قدر على إظهار دينه ، وإنا نكفر من لم يكفر ومن لم يقاتل ، ومثل هــذا وأضــعاف أضعافه ، فكل هذا من الكذب والبهتان الـذي يصـدون به النـاس عن دين الله ورسوله.

وإذا كنا لا نكفر مَن عَبَدَ الصنم الذي على قـبر عبد القـادر ، والصــنم الـذي على قــبر أحمد البـدوي وأمثالهما ، لأجل جهلهم وعدم من ينبههم ، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهـاجر الينا ولم يكفر ويقاتل؟(سبحانك هذا بهتان عظيم) ".[111]

وأرسل عام 1185 هــ الى شـريف مكة أحمد بن سـعيد ، مندوبا عنه هو الشيخ عبد العزيز الحصـين ، وحمّله رسـالة مليئة بالحب والتقدير والاحترام والدعاء للشريف .[112] ونفى المنــدوب أمـام علمـاء مكة (يحـيى بن صـالح الحنفي ، وعبد الوهـاب بن

---

[110] - المصدرابن غنام: تاريخ نجد ، ص 323

[111] - المصدر ، ص 407

[112] - جاء فيها:" ...أن الكتاب لما وصل الى الخادم وتأمل ما فيه من الكلام الحسن رفع يديه بالـــدعاء الى الله بتأييد الشــــريف لما كـــان قصـــده نصر الشريعة المحمدية ومن اتبعها وعداوة من خرج عنها ، وهذا هو الواجب على ولاة الأمور. ولما طلبتم من ناحيتنا طالب علم ، امتثلنا الأمر... وأحق النــاس بذلك وأولاهم أهل الـبيت الـذين بعثه الله منهم وشـرفهم على أهل الأرض ، وأحق أهل الـبيت بــذلك من كـان من ذريته (ص) وغــير ذلك يعلم الشــريف أعـــزه الله : أن غلمانك من جملة الخـــدام ، ثم أنتم في حفظ الله وحسن رعايته". ابن غنام: تاريخ نجد ، ص 135

حسن التركي ، وعبد الغني بن هلال) تهمة التكفير بالعموم التي كانت موجهة الى الوهابيين .[113]

ونفى كـذلك في رسـائل أخـرى ، عملية التكفـير بـالعموم ، فقال:" وأما التكفير فأنا أكفّـر من عـرف دين الرسـول (ويقصد المفهوم الوهابي للتوحيد) ثم بعدما عرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله ، فهذا هو الذي أكفر . وأكثر النـاس ولله الحمد ليسوا كذلك" [114]

ورغم أنه ينفي في رسـائله تلك ما يسـميه تهمة التكفـير بـالعموم ، الا انه يؤكد في طياتها ما يحـاول ان ينفيه ، وقد نفى في الرسـالة الثانية ، تكفـيره لمن يتوسل بالصـالحين ، وهـذا ما يتناقض مع أهم تصريحاته الشهيرة التي يقول فيها " أن من نخا نبياً أو ملكاً أو ندبه او استغاث به ، فقد خـرج من الإسـلام ، وان كفر المشـركين من أهل زماننا أعظم كفـرا من الـذين قـاتلهم رسـول الله (صـلى الله عليه وسـلم)".[115] كما نفى عزمه على هدم قبة رسول الله (ص) مع أنه يقول : " لا يجوز إبقـاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها و إبطالها يوما واحدا ، فانها شـعائر الشـرك والكفر ، وهي أعظم المنكـرات ، فلا يجوز الإقرار عليها مع القـدرة البتة ، وهـذا حكم المشـاهد الـتي بـنيت على القبـور الـتي اتخـذت أوثانا تعبد من دون الله ، والأحجار التي تقصد للتبرك والنذر والتقبيل . لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته ، وكثير منها بمنزلة اللات والعـزى ومنـاة الثالثة الأخـرى ".[116] ولم يكن هنـاك من سـبب يـدعوه لاسـتثناء قبة الرسـول من بين القبب الـتي قـدر عليها وهدمها فعلا.

ورغم انه نفى في عدة رسائل أخرى تكفير جميع الناس الا من اتبعه ، واتهم من يتهمه بـذلك بـاختلال العقل وتـبرأ الى الله من قائله ، وادعى انه لم يقاتل النـــاس الا دفاعا عن النفس

---

113 - المصدر ، ص 136

114 - الدرر السنية ، ص 71 و83

115 - محمد بن عبد الوهاب: رسالة في (معنى لا اله الا الله)

116 - ابن غنام : تاريخ نجد ، ص 284

وعلى سبيل المقابلة [117] ، الا انه اعترف أيضا بقتال من يعارضه متهما إيــاه بالمجــاهرة بسب (دين الرســول) أي الوهابية ، كما اعــترف أيضا في رســالته الى شــريف مكة بقتــال حــتى " من عرف التوحيد الذي أظهرناه للنــاس ، وأقر أن هــذه الاعتقــادات في الحجر والشــجر والبشر ، الــذي هو دين غــالب النــاس ، هي الشـــــرك بالله ، ولكنه لم يلتفت الى التوحيد ولا تعلمه ولا دخل فيه ولا تــرك (الشــرك) " ، وقــال: ان هــذا كــافر نقاتله بكفــره. فضلا عن غيره من عامة الناس الذين لا يؤمنون بمبادئه.

وقد أكد ضمناً في تلك الرسالة اتهام غالب الناس بأن دينهم الشرك بالله.. واتهم من يزور القبور والأولياء بعبادتهم.

ويوجد في كلامه تناقض واضح فهو يصم الأضرحة الــتي على قبور الأولياء والصالحين (كقــبر عبد القــادر وأحمد البــدوي) بأنها **أصنام** ، ويتهم زوارها **بعبادتها** ، ومع ذلك يقول إنه لا يكفرهم لجهلهم ، علما بأنه لا يعتــبر الجهل عــذراً في عــدم التكفــير، إذ يقــول:" إن الإنســان يكفر بكلمة يخرجها من لســانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعـــــــذر بالجهل ، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه الى الله ، كما ظن المشركون". [118]

ولو توقفنا عند قوله " أنا اكفّر من عرف (دين الرسول) ثم بعــدما عرفه ســبه ونهى النــاس عنه وعــادى من فعله فهــذا هو الذي أكفر" لرأينا أنه يعــترف بتكفــير كل من يعارضه على الأقل ، وإذا جمعنا هــذا الموقف مع أقواله ومواقفه الأخــرى الــتي لا تحصى والـــــــتي يطلق فيها اسم (المشـــــــركين) على عامة المسلمين لتوصــلنا الى أنه لم يكن دقيقا في نفي تهمة التكفــير بالعموم ، او انه كــان يمــارس (التقية) في بداية أمــره من بــاب التكتيك وخداع العدو الأقــوى ، أو انه كــان يتلاعب بالألفــاظ. وإلا فــان ظــاهرة التكفــير بــالعموم كــانت أبــرز ملامح الحركة الوهابية. [119]

---

[117] - يقول صاحب الـدرر السـنية: ان الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب ، لم يكن في ابتـداء دعوته يكفر أحـدا ، وكـان اذا سـمع النـاس يـدعون زيـدا بن الخطـاب ، يقـول: الله خـير من زيد ، ويتلطف بهم بلين الكلام ، نظـرا الى المصلحة وعدم النفرة. الدرر السنية ، ج 2 ص 211.

[118] - الحصين ، أحمد: دعوة الامام .. سلفية لا وهابية ص 104

[119] - وقد تجلى ذلك الموقف بصراحة في كتاب أحد تلامذة الشيخ ومرافقيه وهو الشيخ حسين بن غنام الذي يقـول: " كـان أكـثر المسـلمين – في مطلع القرن الثاني عشر الهجري – قد ارتكسوا في الشرك وارتـدوا الى الجاهلية ،

وانطفأ في نفوسهم نـور الهـدى ، لغلبة الجهل عليهم واسـتعلاء ذوي الاهـواء والضلال.. فنبذوا كتاب الله تعالى وراء ظهورهم ... فعدلوا الى عبادة الأولياء والصــالحين: أمــواتهم وأحيــاءهم يســتغيثون بهم في النــوازل والحــوادث ، ويسـتعينونهم على قضـاء الحاجـات وتفـريج الشـدائد... وأحـدثوا من الكفر والفجور والشرك بعبادة أهل القبور ، وصرف النذور اليهم والابتهـال بالـدعاء لهم ، ما زادوا به على أهل الجاهلية.. ولقد حدث الغي والضلال والتغيــير في الـدين منذ زمن قـديم.. ولقد انتشر هـذا الضـلال حـتى عم ديـار المسـلمين كافة". (ابن غنام ، تاريخ نجد ص 13 و14)

وفي الحقيقة ان تاريخ ابن غنام يحفل بالعبارات التي تدل بوضوح على اعتبــار الــداخلين في الحركة الوهابية "مســلمين" والخــارجين منها "كفــرة ومرتدين وضلالا " حيث يصف الانقلاب الـذي حـدث في نجد عـام 1178 ، بعد قيـام رئيس نجـران (الحسن بن هبة اللــه) ، بشن هجــوم واسع عليها ، بقولــه: "ارتد أكــثر أهل نجد وســارعوا الى الضــلال".(المصــدر ، ص 126) وهكذا يصف خضوع أهل القصيم للأمير عبد العزيز بن محمد بن سـعود عـام 1179هـ ، فيقول: "وفد عليه أكثر أهل القصيم فدخلوا في الاسلام وخرجوا مما كانوا فيه من عبادة الأوثان ، فأخذ عبد العزيز عليهم العهد ووضع عندهم معلمين يعلمــونهم التوحيد والشــرائع والاحكــام. وأغــار ســنة 1184 على المحمــرة والحــائر ، فلم يجد أهل البلد الا الاذعــان ، فــدخلوا في الاســلام وبايعوا عبد العزيز والـتزموا السـمع والطاعـة".(المصدر، ص 134) ويقـول عن سـقوط الريـاض عـام 1187 : " اسـتولى ابن سـعود على جميع ما في الرياض من أموال ونخيل فيئا من الله لأنه لم يوجف عليها خيل ولا ركـاب". (المصدر ، ص 138) معتبرا أهلها المذعورين الذين فروا من القوات الوهابية من الكفار وبلادهم من الفيء.

ويتحدث ابن غنام عن استسلام زيد بن زامل صـاحب (الـدلم) سـنة 1190 وقدومه على عبد العزيز في الدرعية ، مع أعيـــان قومه ، فيقـــول:" انهم بايعوا على الاسلام ... فأقـاموا على ذلك زمانا يتظـاهرون بالاسـلام الى أن شاء الله ان يرتدوا". كما يتحدث عن أهل سـدير ومـنيخ ، فيقـول:"بـدرت سنة 1191 منهم بـوادر الارتـداد ، فأخذ منهم رهـائن لكي لا يرتـدوا".ويقـول أيضا:" إن أهل بلدة (حرمة) ارتدوا بالاتفاق مع رؤساء سـدير .. وبعد معـارك طويلة طلبوا الدخول في الاسلام ، وابدوا التوبة والندم". ويضـيف:"في سـنة 1193 ارتد أهل حرمة وأهل الـزلفى ، فسـار سـعود بالمسـلمين الى حرمة وقاتل أهلها وحصـرهم وقطع نخلهم ، فلما ضـيق المسـلمون عليهم وطـال

حصارهم وفقدوا الأمل في النجاة ، طلبوا المصالحة ودخلوا في الاسلام ". (المصدر ، ج1 ص 139)

ويقول:" في سنة 1196 ارتد أهل القصيم جميعا ، الا أهل بريدة والرس والتنومة ، ونقضوا العهد وأجمعوا على قتل من في بلادهم من المسلمين.. ثم ضاقت الأرض بمن كان قد ارتد ، فلم يجدوا مفرا من الدخول في حوزة الاسلام. وارتد أهل الروضة فحاصرهم سعود وشرع في قطع أشجارهم ونخلهم ، فطلبوا الأمان وعاهدوه على الاسلام.

وهجم سعود سنة 1198 على بريدة وقتل منهم نحو خمسين رجلا واستولى على جميع ما فيها من الأموال ، فاظهر أهل القصيم الاسلام .

وسار سعود سنة 1199 الى الدلم وحاصر أهلها وقاتلهم الى ان استسلموا ، وأخذ ما كان في بيوتهم من الحيوانات والأمتعة والسلاح والطعام ، وأخذ نخيلها فيئا... فلما انتشر خبر ذلك ، أصاب الفزع كثيرا من أهل الضلال فأرسلوا الى سعود يطلبون الدخول في الاسلام والطاعة.

وفي سنة 1202 دخل كثير من أهل وادي الدواسر في الاسلام ، وارتد بعضهم بعد ستة اشهر ، فجهز عبد العزيز جيشا وأرسله لقتالهم فقدم عليهم وصب عليهم العذاب وأكثر فيهم القتل حتى ذلوا وهانوا فطلبوا الدخول في الاسلام.(المصدر ، أحداث تلك السنين).

وفي سنة 1206 و 1207 هجم سعود على القطيف والأحساء وقتل وأباد نحو ألف وخمسمائة رجل ، واقام مجازر رهيبة بحق السكان . " ثم أرسل اليهم كتابا يدعوهم فيه الى الدخول في الاسلام ، والطاعة والانقياد ، ويحذرهم الصد والإعراض ، فبادروا الى الطاعة ولم يترددوا ، وأرسلوا الى سعود يدعونه الى القدوم اليهم ليبايعوه.. فخرج اليه أهل الأحساء وعاهدوه على الاسلام والطاعة .. وما أن ارتحل عن الأحساء حتى أتته الأخبار بأن أهل الأحساء نقضوا العهد وارتدوا عن الدين وقتلوا المسلمين (من الدعاة والمعلمين)". [?](المصدر ، ص 182- 183)

وهكذا يتحدث ابن غنام عن سائر المناطق والمعارك فيصف الوهابيين بالمسلمين وخصومهم بالكفار والضالين ، ويعتبر خضوع القرى والمدن لسلطة آل سعود دخولا في الدين ، والثورة عليهم ردة عن الاسلام. فيقول :" حين استقر (التوحيد) وثبتت أصوله في جميع بلدان الاحساء ، غشّى قلوب المُبطلين الحزن والأسى. فأرسلوا كثيرا من الرسائل الى الحكام يستثيرونهم على (المسلمين أهل التوحيد) وأرسلوها الى سليمان باشا والي بغداد التركي ، يذكرون له فيها أنه لا يصلح لمقاتلة جموع (المسلمين)

الا ثويــني بن عبد اللــه. فخلع على ثويــني ، وندبه الى قتــال (أهل الــدين)". (المصدر ، ص 193)

و " ارتد كثير من الأعراب وانضموا اليه ، وأقبل عليه جميع آل ظفير ، ونقضوا عهد الاسلام وارتدوا .. وفضحت هذه المحنة كثيرا من النــاس الــذين لم يســتطيعوا أن يصــبروا على البلاء ، فــزين لهم الشــيطان أن يرتــدوا ، فنقضوا العهد".(المصدر ، ص 194 و195 و199)

الفصل الثاني

ولادة الدولة السعودية الوهابية الأولى

الهجرة والقتال و الخروج

بعد اعتبار الشيخ محمد بن عبد الوهاب عامة المسلمين كفاراً و مشركين و مرتدين الى الجاهلية الأولى ، كان لا بد ان يأمر أتباعه بالانفصال نفسياً و جسدياً عن "المجتمع الجاهلي" و الهجرة اليه من أجل البدء في تأسيس "المجتمع الإسلامي الموحد" من جديد ، و الدعوة الى "دين الإسلام والتوحيد".

و لذلك فعندما حلّ الشيخ في (الدرعية) أعلنها "دارَ هجرة وإسلام" ، و طلب من أنصاره الهجرة اليها .[120] و بدأ هؤلاء يتهافتون عليه و يهاجرون اليه من كل مكان .[121] و حسبما يقول الشيخ حسين بن غنام فان الهجرة حدثت كنتيجة لتوتر العلاقة بينهم و بين الآخرين . و " ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقى في الدرعية سنتين يدعو الناس بالحجة و الموعظة الحسنة ، و يكاتب أهل البلدان و رؤساءهم و مدعي العلم فيهم فمنهم من قبل الحق و اتبعه و منهم من اتخذه سخرياً واستهزأ به ، و لم يبادر أحداً بالتكفير و لم يبدأ أحداً بالعدوان ، الى أن نهضوا عليه جميعهم بالعدوان و صاحوا في جميع البلاد بتكفيره هو وجماعته و أباحوا دماءهم ، وما اتبعوه من وسائل لإجلائه و جماعته عن البلاد ، و مطاردتهم بالتعذيب والاضطهاد. و لم يأمر رحمه الله بسفك دم و لا قتال على أكثر أهل الضلال والأهواء ، حتى بدءوه بالحكم عليه و أصحابه بالقتل و التكفير ، فأمر الشيخ حينئذ جماعته بالجهاد ، فامتثلوا لأمره".[122]

---

[120] - و لما كان الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه و آله وسلم) قد ألغى الهجرة بعد فتح مكة ، فان الشيخ وجد نفسه مضطراً للتنظير اليها بصورة جديدة ، فقال:" ان الهجرة هي الانتقال من بلد الشرك الى بلد الاسلام ، و هي باقية الى أن تقوم الساعة. و الدليل على الهجرة من السنة قوله (ص): لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، و لا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها". الدرر السنية ، ج1 ص 134

[121] - ابن بشر: عنوان المجد ، ص43

[122] - ابن غنام: تاريخ نجد ، ص 88 و89

وسواء كان الشيخ عبد الوهاب هو المبـادر الى تكفـير عامة المســـلمين ، كما لاحظنا في الفصل الســـابق ، أم كـــانوا هم المبــادرين لتكفــيره مع أتباعه ، فــان القــول بارتــداد المجتمع الإسلامي الى الجاهلية الأولى كان يقسم النـاس الى فـريقين و دارين ، يضع في احــداهما "الموحــدين" الجــدد ، بينما يضع في الأخـــرى "المشـــركين". ويجعل من الأولى (دار إســـلام) ، في الوقت الذي يجعل من الأخرى (دار حرب).[123] وقد ذكر ابن غنام نفسه ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد بـايع الأمـير محمد بن سـعود على الجهـاد ، في أول مجيئه الى الدرعيـة. وإنه وعـده بالنصرة و الجهاد.[124]

و بنـــاء على ذلك فقد أعلن الشـــيخ محمد جميـــعَ بلاد "المشركين" داراً للحـرب ، و أمر أتباعه بالانحيـاز الى جانبه ، و إعلان الولاء له ، و البراءة من أعدائه . و اعتـبر الـولاء و الـبراء شرطاً من شروط الإيمان ، و تركهما ناقضا من نواقض الإيمـان العشرة. وأعلن الحـرب على "الكفـار" وخاصة "الـذين بـان لهم ان (التوحيد) هو دين الله و رسوله ، ثم ابغضوه و نفّـروا النـاس عنه ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله". [125]

و أهدر دماء جميع المسلمين الذين سماهم بـ: "المشركين" و طـالبهم بالتوبة و الرجـوع الى التوحيد ، و اسـتحل أمـوالهم و ذراريهم ، و قـــــال :" من رجع منهم حقن دمه و ذراريه ، و من أصر أباح الله منه ما أبـاح لرسـول الله من المشـركين". [126] و ذلك "لأن مجـرد التلفظ بكلمة التوحيد لا يعصم الـدم و المـال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظهـا، بل و لا الإقــرار بــذلك، بل و لا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحـرم ماله و دمه

---

[123] - و من هنا فقد قال الشيخ :" إن مسألة التعبد بإشراك الصالحين ، هي المسألة التي تَفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر، و عنـدها وقعت العـداوة، و لأجلها شرع الله الجهـاد كما قـال تعـالى: (وقـاتلوهم حـتى لا تكـون فتنة و يكــون الــدين كله للــه)". محمد بن عبد الوهــاب: رســالة 128 مســألة من مسائل الجاهلية

[124] - ابن غنام: تاريخ نجد ، ص 87

[125] - المصدر ، ص 264

[126] - محمد بن عبد الوهاب: تطهير الاعتقاد ، ص 35

حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله ، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله و دمه" . [127]

و رغم ما كان يبدو في عملية التكفير و الالتزام بمبدأ الهجرة و القتال ، من ميل الى الخـروج عن الدولة "الكـافرة" و محاربة "المجتمع الجـاهلي" ، فـان الوهـابيين كـانوا يصـرون على نفي تهمة **(الخـروج)** عن أنفسـهم ، ويتـبرءون منها أشد التـبرؤ . و ذلك خوفا من انطباق أحـاديث الخـوارج عليهم ، و هم ملعونـون على لسـان رسـول الله (ص) في الـتراث السـني ، و محكـوم عليهم بالرفض و الهجران. إضافة الى ما كان يعنيه الخــروج من تحدٍ للدولة العثمانية ودعوةٍ لها لمعاقبتهم. و لذا كـان الوهـابيون يفرقون بين أنفسهم و بين (الخوارج) بأن هـؤلاء كـانوا يكفّـرون النـــاس على الكبـــائر ، بينما هم يكفّـــرون على ما يـــدعو الى التكفير و هو الشـرك بالله ، و لا يكفّـرون على الكبـائر. وسـواء أعلن الوهابيون الخروج واعـترفوا بـه.. أم لم يعلنـوا ذلك ، فـان نظريتهم كانت تنطوي على مـبرر كبـير للخـروج و تشـكيل دولة مستقلة ، وخاصة في الوقت المناسب و مع توفر القــوة الكافية لهم.

و إذا عدنا الى مرجع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، و هو ابن تيمية فسوف نجد انه يفتح نافذة واسعة على الثـورة و الخــروج والتمـرد على الامـام أي إمـام ، و يعطي لصـاحب كل قــوة ان يتمـرد على الإمـام ، لأنه أساسـاً يعقد الامامة لمن غلب ، بغض النظر عن توفر الشرط الشرعية فيه او اختياره عبر أهل الحل و العقد ، خاصة إذا التزم الخارجي المتغلب بالشريعة الإسلامية أو أخذ على الإمـام القـائم عـدم التزامه بالشـريعة ، و ذلك لأن ابن تيمية اعتـبر الخـروج الحقيقي هو الخـروج على الشـريعة لا على الإمام ، وبـذل قصـارى جهـده لتحويل الأنظـار من شـخص (الإمـام) الى (الشـريعة) . ولم يكن (الإمـام) في نظـره يشـكل مركز الشرعية ، و إنما الشريعة هي المعيار لشرعية أي نظـام.

---

[127] - محمد بن عبد الوهاب: كتاب التوحيد ، باب تفسير التوحيد وشهادة ان لا اله الا الله

وقد اختلف بذلك مع عامة الفقهاء السنة السابقين الـذين كـانوا يضفون على الحـاكم نوعا من القدسـية و الشـرعية و يحرّمـون الخروج عليه . و قد كـان ابن تيمية يـرفض قتـال الخـوارج (أو الثوار إذا ثاروا) ، و ذلك بسـبب احتمـال اعتمـاد الخـوارج على التأويل . و ينفي وجود أي حـديث صـحيح يـأمر بقتـال الخـارجين على الإمام ، ويقول: إن الحـديث الوحيد الـذي يـذكره القـائلون بذلك ، هو حديث كوثر بن حكيم عن نافع ، و هو حديث موضـوع ، و أما الأحاديث الصحيحة التي جاءت في قتـال الخـارجين فهي تنص على قتال الخارجين عن الشريعة لا على الإمام . ويقول : " أما القتـال لمن لم يخـرج إلا عن طاعة إمـام معين فليس في النصوص أمر بذلك ، فارتكب الأولون ثلاثة محاذير :

الأول:قتال من خرج عن طاعة ملك معين و ان كان قريبا منه و مثله في السنة و الشريعة ، لوجود الافـتراق ، و الافـتراق هو الفتنة.

و الثاني: التسوية بين هؤلاء و بين المرتدين عن بعض شرائع الإسلام.

و الثالث: التسوية بين هؤلاء و بين قتال الخـوارج المـارقين من الإسـلام ، و لهـذا تجد تلك الطائفة يـدخلون في كثـير من أهواء الملوك و ولاة الأمور و يأمرون بالقتال معهم لأعدائهم بناء على انهم هل العدل و أولئك البغاة ".[128]

وبناء على ذلك فقد كان ابن تيمية يعترف أيضا بواقع التعددية السياسية في عصر الملك ، ولا يـؤمن بضـرورة وحـدة الخلافة ، كما يعتقد غالبية أهل السنة ، و يقول بجواز الخروج على الإمـام العـادل نظـرا لشـبهة أو تأويل كما خـرج معاوية بن أبي سـفيان على الإمام علي بن أبي طالب ، فضلا عن وجوب الخـروج على كل من يرفض تطبيق الشريعة الإسلامية و قتاله.[129]

---

[128] - ابن تيمية: مجموع الفتاوى ، ج4 ص 450 – 452

[129] - " قال شيخ الاسلام أبو العباس أحمد بن تيمية: كل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الاسلام الظاهرة المتـواترة فانه يجب قتـالهم حـتى يلـتزموا شـرائعه ، وان كـانوا مع ذلك نـاطقين بالشـهادتين وملـتزمين بعض شرائعه". أبو بطين ، عبد الله بن عبد الرحمن: (مجموع الرسـائل والمسـائل النجدية) ج2 ص 169

و إذا كان ابن تيمية قد توصل الى جواز الخروج و وجوب الثورة و استعمال القوة ضد من يمتنع عن الالتزام بالشريعة الإسلامية ، رغم عدم قوله بكفر الأمة ، فقد كان من الأولى بمحمد بن عبد الوهاب الذي قال بارتداد الأمة جمعاء ، أن يرفض أي التزام بوحدتها القائمة او الخضوع لإمام (الأمة الكافرة) ، و ان يقوم بالخروج على الدولة الإسلامية ، وأن لا يجد بالطبع في أحاديث وجوب الطاعة للإمام ، أي معنى . ولذلك لم يعد لديه أي التزام بالطاعة للدولة العثمانية ، أو المحافظة على الجماعة ، إذ أن الجماعة في مفهومه هي (جماعة التوحيد) الوهابية فقط ، وهم وحدهم: (أهل الحق و المسلمون) ، الذين يجب ان يدخل الآخرون في طاعتهم و جماعتهم.

و في الوقت الذي كان يفترض ان يتصدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بنفسه لقيادة الحركة أو الدولة الوهابية أو (الأمة الإسلامية الجديدة) التي كان يبنيها بيديه ، كما يفعل أي ثائر يجمع أنصاره ويقود الثورة ليؤسس النظام الجديد الذي يريد ، و يجعل نفسه قائدا لذلك النظام الثوري.. لكن الشيخ لسبب أو لآخر ، فضل الاتفاق مع بعض الأمراء المحليين في نجد ، و مبايعتهم بشرط النصرة .

وقد كان هذا الاتفاق واضحا في علاقة الشيخ الأولى بأمير العيينة (عثمان بن معمر) كما كان واضحا في اتفاق الشيخ مع أمير الدرعية محمد بن سعود ، الذي بايعه بمفرده فبنى بذلك أساس الدولة السعودية الوهابية.

إذ تقول الرواية التاريخية: إن الشيخ بعد ما طُرد من العيينة لجأ الى دار أحد أنصاره في الدرعية ، و هو الشيخ عبد الله بن سويلم ، على غير علم و لا رضا من أميرها (محمد بن سعود) ، ولكن اخوة الأمير : ثنيان و مشاري ، و زوجته (موضى) و ابنه عبد العزيز ، أقنعوا الأمير بالذهاب الى الشيخ في بيته ، ليرحب به ويعلن تأييده له ويقول له:"إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه ، فأبشر بالنصرة لك و لما أمرت به والجهاد لمن خالف التوحيد" . [130]

[130] - ووضع ابن سعود شرطين لنصرته هما: عدم مغادرة الشيخ للدرعية بعد الانتصار ، وقبوله بقانون ابن سعود على ثمار الدرعية كل عام. راجع:

فقال له الشيخ:" وأنا أبشرك بالعز و التمكين و النصر ، وهذه كلمة التوحيد الـــتي دعت إليها الرسل كلهم . فمن تمسك بها و عمل بها و نصرها ، ملك البلاد و العباد ، وأنت تـرى نجـداً كلها و أقطارها أطبقت على الشـــرك و الجهل و الفرقة و الاختلاف و القتـال لبعضـهم بعضـاً ، فـأرجو أن تكـون إمامـاً يجتمع عليه المسلمون و ذريتك من بعدك".

فطلب ابن سعود من الشيخ المبايعة ، فبايع الشيخ على ذلك ، و على أن الـدم بالـدم و الهـدم بالهـدم ، و على أن الشـيخ لا يرغب عنه إن أظهره الله.[131]

ويكاد هذا النص يكون واضحاً في بيعة الشيخ للأمير و بقاء الأمير على إمارته "إمامـاً يجتمع عليه المسـلمون" ، حيث قـدم الشيخ له فروض البيعة بشرط النصـرة ، و وعـده بملك نجد او الجزيـرة العربية ، وقـدم له الـدعم و أضفى صـفة "الشـرعية الدينية" على نظام حكمه القائم بالفعل .

وقد وافق الشيخ بالتعاون مع أي أمير مستعد لنصـرته بغض النظر عن طريقته في الوصـول الى السـلطة .إذ كـان يـؤمن أساســاً بشـــرعية إمامة المتغلب ، حيث يقـــول :"إن الأئمة مجمعون في كل مـذهب على أن من تغلب على بلد أو بلـدان ، له حكم الإمام في جميع الأشياء . و لولا هذا لما استقامت الدنيا ، لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد بن حنبل الى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد".[132]

ومع أن رواية ابن غنام كانت واضحة في بيعة الشيخ للأمير ، إلا أن المؤرخ المتأخر عثمان بن بشر يضفي نوعاً من الغمـوض على حقيقة الاتفـاق بينهما عنـدما يقـول :" إن الحل و العقد و الأخذ و العطاء و التقديم و التأخير كـان بيد الشـيخ ، و لا يـركب جيش و لا يصـدر رأي من محمد (ابن سـعود) و عبد العزيز ، إلا عن قوله و رأيه . فلما فتح الله الريـــاض عليهم و اتســـعت لهم

ابن غنام:تاريخ نجد ، ص 87 ، وعنوان المجد لابن بشر

[131] - - عثمان بن عبد الله بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج1 ، ص 42

[132] - وقد قال ذلك عندما أحتج البعض عليه بعد ان قام بـرجم زانية عنـدما كان قاضيا في (العيينـة) في ظل إمـارة ابن معمر ، بأنه لا يمتلك تفويضا من الامام الأعظم لتنفيذ العقوبة. ابن غنام : تاريخ نجد ، ص 454

الناحية و أمنت السبل و انقاد كل صعب من باد وحاضر ، جعل الشيخ الأمر بيد عبد العزيز و فوّض أمور المسلمين و بيت المال إليه ، و انسلخ منها بالكلية و لزم العبادة و تعليم العلم ، و لكن ما يقطع عبد العزيز أمراً دونه و لا ينفذ إلا بإذنه".[133] و هو ما يلقي بعض الغموض حول : من الذي بايع من؟ ومن أصبح الإمام الأعلى؟ هل هو الأمير الفعلي ابن سعود؟ أم الإمام الجديد ابن عبد الوهاب؟

ولكن على أية حال يمكن أن يقال : إن الشيخ قد احتل موقعاً توجيهياً أكبر ، مشابها لموقع (الولي الفقيه) الذي احتله الإمام الخميني في الجمهورية الإسلامية الإيرانية كمرشد أعلى من رئيس الجمهورية. أما الإمام الفعلي فقد ظل هو الأمير محمد بن سعود . بدليل ان ابن بشر يقول : إن الشيخ اعترف بالأمير ابن سعود "إماما يجتمع عليه المسلمون". و يؤكد هذا المعنى قدوم أمير (العيينة) عثمان بن معمر ، بُعيد الاتفاق بين الشيخ والأمير ، الى (الدرعية) و محاولته استعادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى قريته ، وتعهده بالنصر و التأييد له. ولو كان (الشيخ) قد أعلن نفسه إماماً رسمياً لخضع ابن معمر له و هو في قريته ، ولما كانت ثمة حاجة لنقل الشيخ الى (العيينة).

و هناك رواية أخرى يذكرها صاحب (لمع الشهاب) ، وهو كاتب مجهول الاسم غير وهابي، تتحدث عن عقد الشيخ صفقة صريحة مع الأمير محمد بن سعود ، حول تقاسم السلطتين الدينية و السياسية و الاتفاق على توارثهما معا في عائلتي الشيخ و الأمير. و ان الشيخ قال لابن سعود:" أريد منك عهداً على انك تجاهد في هذا الدين ، و الرياسة و الإمامة فيك و في ذريتك ، و ان المشيخة و الخلافة في الدين فيّ و في آلي من بعدي أبداً ، بحيث لا ينعقد أمر و لا يقع صلح أو حرب إلا ما نراه كذلك ، فان قبلت هذا فأخبرك : ان الله يطلعك على أمور لم يدركها أحد من عظماء الملوك و السلاطين " فقال الأمير ابن سعود : قبلت وبايعتك على ذلك.[134]

ويضيف صاحب (لمع الشهاب) بان الشيخ قد هيمن على آل سعود ، ويقول:"صارت الإمامة الكبرى و هي إمامة الدين

---

[133] - ابن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج1 ، ص 46

[134] - لمع الشهاب ص 30 –31

لمحمد بن عبد الوهاب ، و كذا ما يتبعها من مصالح الدنيا كتـدبير الحـروب و المصـالحة و العـداوة و ما يرجع الى آلة الحـرب.. و الحاصل انه صـار الأمر كله بيد محمد بن عبد الوهـاب بحيث كل شـيء أراده محمد بن سـعود أو أولاده رجعـوا به الى محمد بن عبد الوهاب ، فان ارتضاه ارتضوه و ان أباه أبَوه بلا كلام.

وكـانت العـادة جارية بـأن يـزوره محمد بن سـعود كل يـوم مــرتين صــباحا و مســاءا ، هو وابنه عبد العزيز و بقية أولاده ، وكانوا يجلسون عنده متئـدين صـامتين لا ينطقـون بشـيء ما لم يحادثهم به أولاً ، و يدرسون على يده علم التوحيد".[135]

وهذه الرواية تدل على تمتع الشيخ محمد بن عبد الوهـاب بمكانة عالية جدا في ظل إمارة آل سـعود. ومع إمكانية حـدوث ذلك ، إلا أن تلك الصـــــفقة المزعومة بتقاسم الســــلطتين السياسـية و الدينية ، ليست ثابتة تاريخيا ، و لا يبـدو ان الشـيخ الذي كان مطاردا لاجئا في (الدرعيـة) ، كـان في موقف يسـمح له بإملاء شروط على الأمير محمد بن سعود ، و إنما كــان يريد اقتنـاص الفرصة لإقنـاع الأمـير بالموافقة على وجـوده في ظل إمارته ، أولاً ، ثم تقــديم النصــرة والعــون له ، ثانياً. وقد تخلى الشيخ من أجل ذلك عن شـرط (القرشـية) في الإمـام ، الـوارد في بعض الأحاديث النبوية ، و الذي دأب أهل السنة والحـديث ، و خصوصا الحنابلة ، على الالتزام به.

بيد انه يمكن القـول ان الشـيخ أقـام فعلاً نظاماً ثنائياً مزدوجا يجمع بين الإمــــارة و المشــــيخة الدينية ، و اكتفى من النظـام السـعودي بـدعم المبـادئ الوهابية ، مع المحافظة على احترام دور رجال الدين ، الذين سيسيطر عليهم ، لقرون قادمة ، أبناء الشيخ و أحفاده تقريباً ، بما يشبه التحالف القبلي.

الولادة السلمية

[135] - المصدر ، ص 35

وكما لاحظنا فـان الـولادة الأولى للدولة الوهابية لم تكن عسكرية عنيفة و إنما كـانت ثقافية سـلمية ، وفي الحقيقة كـان للظـروف الجغرافية والسياسـية و الاجتماعية و الديموغرافية المحيطة بنجد ، أبـان انطلاقة الحركة الوهابية في منتصف القرن الثاني عشر الهجـري ، دور كبـير في طبيعة حركة الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب و ولادتها السـلمية ، حيث كـانت نجد تقع في عمق الصـحراء العربية وفقـيرة تعيش على هـامش الدولة العثمانية الـتي زهـدت فيها ولم تهيمن عليها عسـكريا و إنما اكتفت بالسيطرة على الأقـاليم المحيطة بها كالحجـاز و اليمن و الأحساء و العراق و الشام ، و هـذا ما أعطى نجـداً فرصة قيـام إمـارات متعـددة في كل قرية و مدينة و مضـرب قبيلة في الصحراء. و عندما بدأ عبد الوهاب يبشر بأفكـاره الإصـلاحية في (حُريملا) ، استطاع أن يكسب عددا من الأنصـار ، ولكنه تعـرض أيضا الى مضـايقات و محاولة للاغتيـال ، مما اضـطره لمغـادرة القرية و اللجوء الى قريته الأولى (العيينـة) و أميرها عثمـان بن معمر ، الذي سارع الى نصرته و تأييده ، فمكث في ظل حمايته بضع سـنين (من 1143 الى 1157). ، و اسـتطاع خلالها ان يكتسب المزيد من الأنصار و المؤيـدين ، بحيث قـام بتنفيذ بعض ما كانوا يدعو اليه كهدم عدد من القبور (كقبر زيد بن الخطـاب) و قطع بعض الأشجار الـتي كـان يلجأ اليها بعض الجهـال لقضـاء حوائجهم ، و إقامة الحد على امرأة زانية ، و ذلك بـدعم قـوي و مباشر من الأمير.

و لكن اتسـاع المعارضة للشـيخ محمد بن عبد الوهـاب في داخل نجد وخارجها ، و خاصة في الأحساء ، أجبر الأمـير عثمـان بن معمر على وقف دعمه للشيخ و الطلب منه مغادرة (العيينة) بسلام ، فاتجه الشيخ الى قرية أخرى هي (الدرعيـة) الـتي كـان عدد من أخوة أميرها محمد بن سعود قد تأثروا بأفكاره و مالوا اليـه. و نجح بسـرعة في كسب الأمـير الى جانبه و الانطلاق لتأسيس الدولة الوهابية الأولى.

و لو كانت هنالك وحدة سياسية في نجد ، شاملة و واسعة ، لما استطاع الشيخ عبد الوهاب ان يتنقل من إمارة الى أخـرى ، و ربما اضـطر الى اللجـوء الى العمل السـري او الهـرب في الصحاري و الجبال ، الا أن تعدد الإمارات في نجد و اختلافها ، و ربما تنافسها فيما بينها ، دفع الشيخ الى اعتماد سياسة التعـاون

و التحالف مع الأمراء بدل الثـورة عليهم و الخـروج ضـدهم. ولم تمض سـنوات قليلة حـتى نجح الشـيخ في ضم عـدد من القـرى المجاورة للدرعية اليها ، كمنفوحة و حـريملا و ضـرما و ثرمـدا و العيينة التي عاد أميرها ابن معمر فندم على طـرده للشـيخ منها و أعلن انضمامه الى الكيان الوهابي الوليد.

وقد تمت ولادة ذلك الكيان الأول بصورة سلمية ، لأنها كانت عبـارة عن تحـول ثقـافي لـدى أمـراء بعض القـرى و البلـدات النجدية في إقليم (العــارض) و انضــمام بعضــها الى بعض تحت قيادة الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب. ولم تشـكل الـولادة الأولى عملية خروج سـافرة على الدولة العثمانية ، لأن هـذه الأخـيرة – كما قلنا - لم تكن تهيمن عسكريا على نجد ، التي كـانت تخضع لسلطة الأمـراء المحلـيين المنتخـبين من قبائلها او المسـيطرين عليها بالقوة. ولم يكن يوجد فيها والٍ عثماني أو حامية عسكرية ، و إنما كانت تخضع لنفوذ أمراء الحجاز أو الاحساء الـذين كـانوا بـدورهم تـابعين للخلافة العثمانية ، و لـذلك كـان أئمة المسـاجد يكتفون بالدعاء للسلطان العثمـاني في خطب الجمعـة. وعنـدما قام الشـيخ عبد الوهـاب بحركته منع أئمة المسـاجد من الـدعاء للســـلاطين بحجة أن ذلك من الأمــــور البدعيــــة.[136] أو " ان السـلطان فاسق لا يجـوز تمجيـده".[137] ومع ذلك فـان المنع لم يشكل علامة كبيرة على الخروج ، حيث ظل الشيخ يحرص على إقامة علاقــــات طيبة مع شــــريف مكة و من ورائه الدولة العثمانية.[138]

---

[136] - ابن عثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية ص 37

[137] - ابن غنام: تاريخ نجد ،ج1 ص 272

[138] - المصدر ، ص 136

الفصل الثالث
ملامح التجربة السياسية الوهابية

1 – سياسة الاستبداد و القهر و الغلبة

لقد كان النظام السياسي في تلك الأيـام بصـورة عامة ، والبــدوي بصــورة خاصة ، يقــوم على القــوة و الوراثة و ليس الشورى و الانتخاب ، وكان يعاني من خلل كبير هو: التباس حق الخلافة في الإمارة عندما يموت الأمـير و ليس له ابن رشـيد ، أو ذو مقـدرة معـترف بها ليتـولى مقاليد الحكم ، إذ يقع الـنزاع المسلح على الخلافة بين المتنافسين من اخوة و أعمــام و أولاد الأعمــام ، فتقع نتيجة لــذلك سلســلة من الحــروب الداخلية لا تنتهي الا بدمار المجتمع وزرع مزيد من العداوة والبغضـاء فيه . وكان ينتظر من أي مصلح خاصة إذا كان يهـدف الى التجديد في الدين ، أن يحل هذه المشكلة المزمنة ليعيد الأمـور الى طبيعتها و يقيم نظاماً إسلاميا يقوم على الشـورى و الاختيـار و التبـادل السـلمي للسـلطة ، و لكن الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب الـذي كــان يركز على موضــوع إصــلاح العقيــدة الإســلامية و محاربة الشرك في الأمة ، لم يلتفت كثيرا الى مشكلة النظام السياسي ، و انخرط في النظام البدوي الـوراثي القـائم ، بل كـرس ذلك النظام و أعطـاه شـرعية دينية و بـايع الأمـير محمد بن سـعود بدلا من أن يأخذ البيعة من الأمير له.

وعلى أية حال فان اتفاق الشيخ مع الأمير ، لم يطـرح أي تصــور واضح عن العلاقة بين الحركة الوهابية وبين آل ســعود ، ولم يتضمن أي حديث عن نظام الشـورى او مشـاركة الأمة في انتخــاب الامــام ، ولم يشر الى أي دور له أو لذريته في تعــيين

الامام في المستقبل ، أو كيفية إدارة الدولة و اتخاذ القرارات المهمة فيها. كما لم يتحدث عن طريقة تبادل السلطة داخل الإمارة بين الأبناء و الإخوان من آل سعود ، و إنما ترك كل ذلك لما اعتاد عليه النظام القبلي و لإرادة الأمير الحاكم.

و هكذا اتخذت التجربة الوهابية السعودية الأولى التي قامت على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود عام 1158هـ صفة الحكم الاستبدادي المطلق ، وخلت من أي صورة من صور المشاركة الشعبية ، سواء في داخل الحركة الوهابية او بالنسبة للجماهير التي خضعت لحكم الدولة التي أقامتها باسم الوهابية [139].

وعلى رغم ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب عاش فترة طويلة في ظل إمارة آل سعود (حوالي أربعين عاما) ، و شهد نجاحها في السيطرة على تمام نجد ، الا انه مع ذلك لم يقدم تصوراً مستقراً و متكاملاً عن النظام السياسي او المشاركة الشعبية او العلمائية فيه ، ما عدا مشاركته هو و مشاركة أبنائه في إرشاد الأمراء بشكل شخصي ، او تقديم المشورة غير الملزمة لهم ، إذا استثنينا بالطبع الحالة الخاصة التي كان يهيمن فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب على السلطة في ظل إمارة محمد بن سعود و ابنه عبد العزيز.

وإذا كان أمراء آل سعود قد قاموا في بعض الأحيان ، بتشكيل مجالس استشارية ضمت عددا من رؤساء القبائل و حكام الأقاليم و أهل العلم ، و لكن عملية الاستشارة ،أو مجالس الشورى تلك، لم تكن لتلزم الأمراء ، الذين كانوا يتخذون القرارات بصورة فردية.

و للإنصاف لم يكن أحد يتوقع من الشيخ عبد الوهاب أن يقوم في تلك الأجواء الفكرية السائدة في العالم آنذاك ، و الظروف الموضوعية التي كانت تمر بها صحاري نجد ، بتغيير أسس

---

139 - يذكر عثمان بن بشر في (عنوان المجد في تاريخ نجد) ج1 ص 61 : ان أهل بلد العيينة ارتأوا عام 1163 بعد مقتل أميرهم عثمان بن معمر ، أن لا يتأمر عليهم أحد من رؤسائها (من آل معمر) خوفا من أن ينالهم منهم أذى ، فلم يوافقهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي استعمل عليهم مشاري بن معمر.

النظام الاجتماعي والسياسي البدوي الحـاكم واسـتبداله بنظـام الشورى المهمل منذ القرن الهجري الأول.

ونظرا لغياب نظام الشورى و عـدم وجـود آلية لمحاسـبة الأمـراء المتمـردين أو المخـالفين لأوامر القيـادة العليا ، لم يكن أمـام النظـام الوهـابي الجديد سـوى اللجـوء الى القـوة لحل الخلافات الداخلية. كما حـدث مع الأمـير عثمـان بن معمر الـذي كـان قد أصـبح قائـداً أعلى للقـوات الوهابية عـام 1161هــ ، والذي حاول أن يسلك طريق الصلح والسلام مع خصوم الـدعوة الوهابية وخصوصا مع أمير الرياض دهام بن دواس ، الذي دعـاه الى العيينة للحــــوار معه و أرسل الى الشـــيخ محمد بن عبد الوهاب وألـحّ عليه بالحضور ، ولكن الشيخ رفض الصلح واللقـاء بدهام.[140] و قرر بدلاً من ذلك تصفية عثمـان بن معمر اغتيـالاً ، فأرسل اليه من يقتله في المسـجد بعد أداء صـلاة الجمعة ، في منتصف رجب عام 1163هـ .[141]

وكان موضـوع تكفـير المسـلمين الـذين لا يؤمنـون بمبـادئ الوهابية ، و إعلان الحـرب عليهم ، موضع خلاف داخلي و تململ في صفوف الكيان الوهـابي الجديد في أيامه الأولى ، حيث ألّف الشيخ سليمان بن عبد الوهاب (أخو الشيخ محمد) ، الذي كـان يشغل منصب القضاء في حريملا ، كتاباً يرفض فيه بشدة عملية التكفير لعموم المسلمين .

وقد أدى انتشار ذلك الكتاب ورفض الشيخ محمد مبادرة الصلح الى حدوث تململ عام في كافة المدن والقرى الوهابية ،

---

140 - ابن غنام ، تاريخ نجد ، ص 100

141 - يقول الشـيخ حسـين بن غنـام:" لما تزايد شـرّ عثمـان بن معمر على أهل التوحيد ، وظهر بغضه لهم وموالاته لأهل الباطل ، وتبين الشــيخ محمد بن عبد الوهاب صدق ما كان يروى عنه ، وجـاءه أهل البلاد كافة وشـكوا اليه خشــيتهم من غـدره بالمســلمين قــال الشــيخ حينئذ لمن وفد عليه من أهل العيينة :"أريد منكم البيعة على دين الله ورسوله ومعاداة من عـاداه ومـوالاة من والاه ، ولو أنه أمـيركم عثمـان".. فلما انقضت صـلاة الجمعة قتلـوه في مصلاه بالمسـجد في رجب سـنة 1163هـ، فلما بلغ الخـبر الشـيخ محمد بن عبد الوهاب ركب الى بلد العيينة.. واسـتعمل فيها أمـيراً مشـاري بن معمر . ابن غنام: تاريخ نجد ص103 و- ابن بشر: عنوان المجد ، ج1 ص 60 - 61

فانشق أمـير ثرمـدا إبـراهيم بن سـلمان ، و قـام أمـير ضـرما ، إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن سنة 1164 بالتمرد ، و تبعه أهل حريملا بإعلان الاستقلال عن حكم آل سعود سـنة 1165 ، وإخراج الوهابيين من بلـدتهم ، وقتل أمـيرهم محمد بن عبد الله المبارك.[142] و هكذا فعل أهل (منفوحة) الذين طـردوا في السـنة التالية أميرهم محمد بن صالح وتمردوا على القيادة الوهابيـة.[143] وأرسل الشـيخ سـليمان رجلا من أنصـاره الى العيينة ، اسـمه (سـليمان بن خـويطر) وأعطـاه كتابه و أمـره ان يقـرأه في المحافل و البيوت ، فأثر في قلوب بعض أهل العيينة . كما تـأثر بعض أهل الدرعية نفسـها بفكر الشـيخ سـليمان ، المعتـدل و الرافض للتكفير.

وبدلا من فتح باب الحوار حول الموضوع ، أمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بإلقـاء القبض على (سـليمان بن خـويطر) بتهمة تـرويج كتـاب أخيه ، و أصـدر أمـرا بإعدامه ، فقتـل.[144] و قـامت مجموعة وهابية بالهجوم على أمـير ضـرما المتمـرد ابـراهيم بن محمد و قتله في مجلسه .[145] ولكن المعارضة لم تخمد ، وكادت أن تتحـول الى انتفاضة عامة ، فـأوعز الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب الى أمـير ضـرما الجديد محمد بن عبد الله بالتصـرف كيفما يشـاء معها ، فبـادر هـذا الى اعتقـال المشـكوك فيهم وإعدامهم صبراً.[146] و قامت القوات الوهابية بالهجوم على ثرمدا ، و قتل حوالي سبعين شخصا من أهلها "المرتـدين".[147] ثم قـام عبد العزيز بن محمد بن سـعود سـنة 1168 بمهاجمة حـريملا والقضـاء على حركة التمـرد الـتي اسـتمرت أربع سـنوات ، و إخضاع البلدة بـالقوة ، بعد أن قتل من أهلها مائة رجل . وصـادر أموال الناس الذين هربوا في الشـعاب والجبـال .[148] و قـام بعد

---

[142] - ابن غنام: تاريخ نجد ، ص 106
[143] - المصدر ، ص 106
[144] - المصدر ، ص 108
[145] - المصدر ، ص 104
[146] - ابن غنام: تاريخ نجد ، ص 108
[147] - ابن غنام ، تاريخ نجد ، ص 102
[148] - ابن غنام: تاريخ نجد ، ص 109

ذلك بمهاجمة (منفوحة) ومقاتلة أهلها و صـادر كثـيرا من الإبل و البقر و الحمير.[149]

الجذور التاريخية لنظرية القهر و الغلبة

من المعروف ان الفكر السياسي الإسلامي عموما انقسم ، منذ العصر الأول ، الى مدرستين رئيسيتين هما المدرسة السنية التي تقول بالشورى والمدرسة الشـيعية (الامامـية) الـتي تقـول بالنص والتعيين ، حيث قـالت المدرسة السـنية ، بصـورة عامة ، بنظرية الشــورى في الحكم ، و عــدم تعــيين الرســول الأعظم محمد (ص) لأي خليفة من بعــــده بــــالنص ، خلافا للمدرسة الامامية التي قـالت بـأن النـبي قد عين خليفته من بعـده ، و أنه قد حصر الخلافة في أهل الـــــبيت. و تبعا لــــــذلك فقد آمنت المدرسة السـنية بشــرعية خلافة أبى بكر و عمر و عثمــان و علي ، عن طريق البيعة و الانتخاب بالصـور المختلفة الـتي تمت بها .

وبغض النظر عن تحول الخلافة في العهدين الأموي و العباسي الى نظام وراثي قائم على القوة ، الا ان المتكلمين السنة ظلوا يتحدثون عن البيعة و الشـورى كأسـاس لشـرعية النظـام ، كما فعل الأشعري في (الإبانة) والباقلاني في (تمهيد الاوائل): حيث قـــال " إنما يصـــير الإمـــام إماما بعقد من يعقد له الامامة من أفاضل المسـلمين الـذين هم أهل الحل والعقد المؤتمـنين على هذا الشأن " .

ومع ان بيعة أهل الحل و العقد و أفاضل المسـلمين لم تكن دائما تمثل عمـوم المسـلمين ، الا انها كـانت تلـبي ، بدرجة ما ، طمـــوح أصــحاب نظرية الشـــورى و الراغـــبين بقيـــام الحكم الإسـلامي على أسـاس من الشــرعية الدسـتورية المبنية على الانتخـــاب و الشـــورى و رضا الأمة ، و ليس القـــوة و القهر و الغلبــة. ولكن هــذه الرغبة تــراجعت قليلا ، في القــرن الثـالث الهجري مع الإمام أحمد بن حنبل الذي اشتهر عنه القـول:" بـأن

---

[149] - ابن غنام ، تاريخ نجد ، ص 111

من غلبهم صـار خليفة و سُـمّيَ امـيرَ المؤمـنين ، ولا يحل لأحد يؤمن الله واليوم الآخر أن يبيت و لا يـراه إماما عليه ، بَـراً كـان أو فاجراً ، فهو أمير المؤمنين ". ثم جـاء أبو يوسف المـاوردي ، في القرن الخـامس الهجـري ، ليقبل في (الأحكـام السـلطانية) إمارة الاضطرار والاسـتيلاء ، الى جـانب عملية العهد من الامـام السابق الى اللاحق ، و اختيار أهل الحل والعقد.

ولكن الفكر السياسي الإسـلامي عـاد فـارتقى من جديد الى روح الشـــورى ، مع الفقيه الحنبلي أبي يعلى (458هـــ) الـــذي رفض عقد الخلافة الا ببيعة جمهـــور أهل الحل والعقد ، و رفض إمامة المعهـــود اليه الا بانعقادها بعد مــوت العاهد باختيــار أهل الــوقت. و فسر قــول الامــام أحمد (من غلبهم بالسـيف صــار خليفــــة) أنه أراد غلبة نظرائه ممن يطلب الأمر ، فـــإذا غلبهم فبايعه الناس بعد ذلك صار خليفة ، و لم يرد به أنه يصـير بنفس الغلبة خليفة.

ثم أصبح الفكر السياسي الإسـلامي (السـني) أكـثر واقعية و انعكاسا لطبيعة الأنظمة القائمة ، عنـدما أخذ الفقهـاء يعـترفون بصـراحة بشـرعية الطريق الثـالث القـائم على القـوة والقهر و الغلبة ، الى جانب اختيــار أهل الحل والعقد و ولاية العهد ، حيث اعترف الجويني في كتابه (الغياثى) بإمكانية غياب الامــام الحق ، و قرر إمامة المستولي غير المستجمع للشـروط ما دام متغلبا و مسـتبدا بالسـلطة، وسـماه (واليـاً) و اشـترط عليه مراجعة العلمـاء. وقـال ابن قدامة (630هـ) في (الكـافي – كتـاب أهل البغي) : " كل من ثبتت إمامته حرم الخروج عليه وقتاله سـواء ثبتت بإجمـاع المسـلمين عليه كإمامة أبي بكر الصـديق أو بعهد الامام الذي قبله كعهد أبي بكر الى عمر ، أو بقهره للناس حـتى أذعنوا له و دعوه إماماً كعبد الملك بن مروان". وأقر يحـيى بن شـــرف النـــووي (677هـــ) في (منهـــاج الطـــالبين) و (روضة الطـــالبين) : القهر و الغلبة كوسـيلة مشـروعة للاسـتيلاء على السـلطة ، حيث قـال بصـراحة:" تنعقد الامامة بثلاثة طـرق ... البيعة.. واستخلاف الامام من قبل و عهـده اليه .. و أما الطريق الثالث : فهو القهر والاستيلاء ، فإذا مات الامام فتصـدى للإمامة من جمع شـرائطها من غـير اسـتخلاف ولا بيعة ، وقهر النـاس بشوكته وجنوده انعقدت خلافته لينتظم شمل المسـلمين ، فـان

لم يكن جامعا للشـرائط بـأن يكـون فاسـقا أو جـاهلا فوجهـان: أصحهما انعقاده لما ذكرناه و ان كان عاصيا بفعله".

و هكذا قال البناني ، (1194هـ) ، المعاصر للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، في (حاشية البناني على شرح الزرقاني) : " اعلم أن الإمامة تثبت بأحد أمــور ثلاثــة: اما بيعة أهل الحل و العقد ، واما بعهد الامـام الـذي قبله ، و اما بتغلبه على النـاس ، و حينئذ فلا يشــترط فيه شــرط ، لأن من اشــتدت على النــاس وطأته وجبت طاعته".

بل ان فقيها مثل (ابن عابدين) اعتبر الإمامة مقرونة بالقوة و دائرة مدارها ، و سلب الشرعية من الامام الذي يبايعه النـاس و لا يملك القوة ، وقال : " يصير (الإمـام) امامـاً بـالتغلب و نفـاذ الحكم و القهر بـدون مبايعة ، او اسـتخلاف ، فـان بايعه النـاس ولم ينفذ حكمه فيهم لعجزه لا يصير اماماً ".

نظرية ابن تيمية السياسية

في هذا السياق من تدهور الفكر السياسي الإسـلامي و اعترافه بالأمر الواقع ، أو إضفاء نـوع من الشـرعية عليه ، و الاستسـلام لنظرية القـوة والقهر و الغلبة ، و الابتعـاد عن نظرية الشـورى ، جـاء الشـيخ أحمد بن تيمية ، الـذي قـام بمراجعة شـاملة للفكر الإسـلامي ، و دخل في مجـادلات صـاخبة مع جميع التيـارات و المـــدارس و الفـــرق الإســلامية المختلفة ، و انتقد كثـــيرا من الظـواهر السـلبية في المجتمع الإسـلامي ، فنظر الى المشـكلة السياسية من زاوية انسـجام الحكـام مع الشـريعة الإسـلامية أو عدم انسجامهم ، وطرح نظرية التوحيد في الألوهية ، أي عبــادة الله وحـده لا شـريك له ، تلك العبـادة الـتي لا تتحقق الا باتبـاع الشـــريعة الإلهية . وعلى رغم اقتضـــاء تلك النظرية للحـــديث بتفصـيل عن العدالة في الحكم و شــروط الحــاكم و صــفاته و كيفية وصـوله الى السـلطة بطـرق شـرعية ، الا إن الشـيخ ابن تيمية لم يبحث مشكلة السلطة من ناحية طرق الحصـول عليها ، ولم يجد أية ضرورة لبحث موضوع الشورى و اشتراط مجيء الحكام عبر أهل الحل والعقد ، أو حصولهم على رضا الأمة .

وقدم ابن تيمية نظرة واقعية الى موضوع السلطة شبيهة بنظرة المؤرخ الاجتماعي ابن خلدون ، إذ فصل مختلف الأنظمة السياسية التي مرت على العالم الإسـلامي ، عن خلافة النبـوة ، الـتي قـال انها اسـتمرت ثلاثين سـنة فقط ، و انها اختلطت بعد ذلك بالملك او تحـولت إلى ملك خـالص . و اعتمد ابن تيمية في تحليله التـاريخي لمســألة السـلطة على حـديث منسـوب الى الرسول الأعظم يقول فيه:

"تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها.

ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شـاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها.

ثم تكون ملكاً عضوضاً فتكون ما شـاء الله أن تكـون ، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها.

ثم تكون ملكـاً جبريا ، فتكـون ما شـاء الله أن تكـون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها.

ثم تكون خلافة على منهاج النبوة " ثم سكت.

وقال ابن تيمية : " إن شوب الخلافة بالملك جائز في شريعتنا ، ومعاوية قد شابها الملك ، وليس هذا قادحا في خلافتــه" وإن " انتقــال الأمر عن خلافة النبــوة الى الملك إما ان يكــون لعجز العبـاد عن خلافة النبـوة ، أو اجتهـاد سـائغ ، أو مع القـدرة على ذلك علماً وعملاً ، فان كان مع العجز كان ذو الملك معذوراً في ذلك... وان كان مع القـدرة علما وعملا ، وقـدّر أن خلافة النبـوة مســتحبة ليست واجبة و ان اختيــار الملك جــائز في شــريعتنا كجوازه في غير شريعتنا ، فهذا التقدير إذا فرض أنه حق فلا إثم على الملك العادل أيضا". [150]

و بينما كانت الخلافة عند عامة العلمـاء من أهل السـنة اما صـــــحيحة و اما باطلة ولا توسط بينهما ، وان معيـــــار الإمامة الشــرعية هو من جهة انعقادها أو توليتها ، لم يــذكر ابن تيمية في (السياسة الشــرعية) مسـألة تنصـيب الإمـام ، لأن الخلافة الراشـــدة انتهت في نظــره خلال الســنوات الثلاثين الأولى بعد

---

[150] - ابن تيمية: مجموع الفتاوى ، ج35 ص 25

وفاة الرسول الأعظم ، ولن تعود ثانية ، و أنها كـانت تسـتند الى نصوص ولم تقم على أساس الشورى.

إضافة الى أنه كان يعتقد أن إمامة الراشدين ذاتها كانت قائمة على الغلبة و السـيطرة ، إذ يقـول : إن " الامـام هو من يقتـدى به ، وصـاحب يد وسـيف يطـاع طوعا وكرهـا... و هـذان الوصفان كانا كـاملين في الخلفـاء الراشـدين".[151] ويقـول: " إن الامام الذي يطاع هو من كان له سلطان ، سـواء كـان عـادلاً أو ظالما".[152]

وقد توصل ابن تيمية من خلال ذلك التحليل الى جواز قيام الأنظمة السياسية على أسـاس القـوة والقهر و الغلبة ، و قـال: إن الإمامة " تثبت بموافقة أهل الشـــوكة عليها ، و لا يصـــير الرجل إماما حتى يوافقه أهل الشوكة الذين يحصل بطـاعتهم له مقصود الإمامة ، فان المقصـود من الإمامة إنما يحصل بالقـدرة و الســلطان... و أما نفس الولاية والســلطان فهو عبــارة عن القــدرة الحاصــلة ، ثم قد تحصل على وجه يحبه الله ورســوله كسلطان الخلفاء الراشدين ، و قد تحصل على وجه فيه معصـية كسلطان الظالمين".[153]

لقد كان ابن تيمية يعتقد ان الإمامة تقوم على أساسين هما: (القـوة والأمانة) بنـاء على نصـوص قرآنية و رد فيها ذكر القـوة قبل الأمانة مثل قوله تعــالى (إن خــير من اســتأجرت القــوي الأمين) وقول صاحب مصر ليوسف (ع): (انك اليوم لدينا مكين أمين) و قــول أحمد ابن حنبل : (أما الفــاجر القــوي ، فقوته للمســلمين ، و فجــوره على نفسه ، و أما الصــالح الضــعيف فصــلاحه لنفسه و ضـعفه على المسـلمين). ومن هنا فقد جمع ابن تيمية صــفات الولاية في صــفتين رئيســيتين هما القــوة و الأمانة ، وقد اختلف في هذا عن فقهاء أهل السنة و غـيرهم من الذين اشترطوا صفات عديدة في الإمام أو عينـوا طرقا محـددة لتولي السلطة ، حيث كانت القوة عنـده أهم وأكـثر ضـرورة ولا بد منها ، و الأمانة تــابع للقــدرة ، فهي حينئذ مكملة لها أو هي التي تضفي عليها المثالية ، و بتعبير آخر فان القدرة هي أسـاس الولاية الواقعي ، بينما الأمانة هي مطلوب الولاية الشرعي.

---

[151] - ابن تيمية: مجموع الفتاوى ، ج1 ص 135

[152] - المصدر ، ج1 ص 149

[153] - ابن تيمية:منهاج السنة النبوية ج 1 ص 141- 142

و بعد القبول بفلسفة القوة في السلطة كـان لا بد من الــتراجع عن كثــير من الأمــور المثالية والشــروط الــتي ذكرها العلماء السنة السابقون و أكـدتها أحـاديث نبوية عديـدة ، تتعلق بصفات الحـاكم الإسـلامي ، مثل شـرط "القرشـية" الـوارد في بعض الأحـاديث النبوية مثـل: (الإمامة في قـريش) أو (إن هـذا الأمر لقــريش ما أقــاموا الــدين) ، و الــذي دأب أهل الســنة والحـــديث ، و خصوصا الحنابلة ، على الالـــتزام به ، وكـــذلك التقوى و العدالة والعلم و الكفاءة ورضا الأمة أو بيعة أهل الحل والعقد.

وربما كان تخلي ابن تيمية عن مبـدأ الشـورى في الحكم ، يعود الى النظرة السـلبية الـتي كـان ينظر من خلالها الى (الأمة الإســلامية) بعد أن قــال بانحرافها و تــدهورها و ضــلال معظم فرقها و طوائفها ، وبغربة الإســـلام فيها ، اســـتنادا الى بعض الأحاديث التي تتحدث عن (غربة الإسلام) وعن أفضـلية القــرن الأول ثم الــذين يلــونهم ثم الــذين يلــونهم. فقد كـان ابن تيمية يعتقد أن الأمة الإسلامية ليست كلها على الحق ولا هي مضمونة النجــاة ، و إنما بعض منها وهم (أهل الحــديث) الــذين كــانوا يشـكلون (الفرقة الناجيـة).[154] و يقـول:" إن الله لم يكن ليجمع هذه الأمة على ضـلالة ، و إنه لا يـزال فيها طائفة ظـاهرين على الحق لا يضــرهم من خــالفهم و لا من خــذلهم ، و لا يــزال الله يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم فيه بطاعة الله".[155]

و من المعروف ان ابن تيمية قد أخرج معظم طوائف الأمة و فرقها حتى الأشاعرة (السنة) من أهل الحق. ولم يكن مفهـوم (الأمة) عنده بالمعنى المعروف المتبادر ، أي الجماعة الشـاملة التي تتخذ الإسلام دينا لها ، بكل فرقها ، وكما تكـونت وتطـورت في الواقع التاريخي ، بل كان معنى (الأمة) عنده هي: (الجماعة الجزئية) وهي : (أهل الحـديث) أو (أهل الحـديث والقـرآن) أو (أهل السنة والجماعة) كما يسميهم.[156]

وبما أن (أهل الحـديث) ، أو (أهل الحــق) لا يشــكلون - بالضرورة - الأغلبية دائما ، وخاصة في زمان "اغـتراب الإسـلام"

---

[154] - ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ، ج4 ص 235
[155] - المصدر ، ج4 ص 235
[156] - حسن كو نا كاتا ، النظرية السياسية عند ابن تيمية ، ص 132

فقد كــان من المســتحيل ان يحتكم ابن تيمية الى الشــورى و الأغلبية أو يشـترط حصـول الإمـام على رضا الأمة ، وكـان من الطـبيعي ان يميل الى نظرية القهر والغلبة ، و يضـفي نوعا من الشـــرعية على حكومــات الأمر الواقع ، بغض الطــرف عن الطريقة التي استولت فيها على السلطة.

ومن هنا كان من المتوقع جدا أن يلغي الشيخ محمد بن عبد الوهــــاب (الشـــــورى) من قاموسه السياسي ، وأن لا يفكر بالسماح للجماهير الواسعة بالمشـاركة في الحكم ، أو يشـترط رضاها أو رضا أهل الحل و العقد في تنصيب الإمـام ، وأن يعتمد على القـوة و العنف في توسـيع رقعة الدولة السـعودية الوهابية الأولى . ولم يكن يحتـاج لاسـتيراد الفكر السـلفي الـذي يـبيح استخدام القوة في الاسـتيلاء على السـلطة أو يعتـبر (الشـوكة) أساسـاً للحكم. و ذلك لأنه كـان يـرى نفسه منخرطا في عملية ثقافية جذرية ، أكبر من مجرد بنـاء نظـام سياسي ، و ينظر الى موقعه تماماً كموقع النــبي أمـــام أهل الجاهلية ، حيث لم يكن يوجد أي معـنى لمنحهم حق ممارسة الشـورى أو السـماح لهم بالمشاركة في بنـاء الدولة الإسـلامية أو اختيـار الإمـام أو اتخـاذ القرارات العسكرية و السياسية .
ولم يكن يملك ما يضيفه على الفكر السياسي الموروث من ابن تيمية ، أو يشكك فيه ، أو يقدم بديلا جديدا عنه ، وهو الـذي قام بحركة ذات صبغة فكرية عقدية ، أكثر منها سياسية.

الدعوة الى طاعة الإمام وتحريم الخروج عليه

وإضافة الى إيمان الشيخ محمد بن عبد الوهاب بشرعية الحاكم المتغلب والقاهر ، و رفضه للشورى، كـان يـدعو النـاس الى طاعة الإمــــام في ظل الدولة الوهابية و التســـليم له ، و يحرم الثورة عليه ، بغض النظر عن طبيعة سياسته وسلوكه ، إذ يقول:" أرى وجوب السـمع والطاعة لأئمة المسـلمين ، بـرهم و فاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله".[157] و" إن من تمام الاجتماع

[157] - عبد الرحمن بن محمد بن قاسم : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج1 ، ص 30 و 33

: السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبدا حبشيا".[158] ويقول:" من ولي الخلافة و اجتمع عليه الناس و رضوا به ، و غلبهم بسيفه حتى صار خليفة ، وجبت طاعته وحرم الخروج عليه".[159] وذلك ضمن السياق العام للموقف السني المدعوم بروايات كثيرة حول الموضوع.[160]

وعلى رغم وجود رأي لابن تيمية يجيز على ضوئه الخروج على أي حاكم ، بشرط الالتزام بالشريعة الإسلامية ، وعدم إدانته للخروج بصورة عامة الا إذا كان خروجا على الشريعة [161]،

[158] - المصدر ، ج1 ، ص 173

[159] - المصدر ، ج1 ، ص 30 و 33

[160] - مثل: "من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصيته ولا ينزعن يداً عن طاعة". و "من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات عليه الاّ مات ميتة جاهلية " و ما روي عن ابي سلام قال حذيفة بن اليمان قلت يا رسول الله: إنّا كنا بشر ، فجاء الله بخير، فنحن منه ، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال نعم، قلت: كيف؟ قال يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشيطان في جثمان انس؟ قال قلت كيف أصنع يا رسول الله إن ادركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأطع" وانه"سيليكم بعدي ولاة فيليكم البرٌ ببره ، ويليكم الفاجر بفجوره ، فاسمعوا لهم وأطيعوا في كلّ ما وافق الحق ، فأن احسنوا فلكم ولهم وأن أساءوا فلكم وعليهم " وما روي عن سليمة بن يزيد الجعفري أنه سأل رسول الله(ص) فقال: يا نبي الله أرأيت ان قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه ، ثم سأله ثانية فاعرض عنه ، ثم سأله في الثانية او في الثالثة فجذبه وقال: "اسمعوا واطيعوا فانما عليهم ما حمّلوا وعليكم ما حمّلتم" .

وبناء على ذلك قال الشيخ حسن بن الشيخ حسين ، حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب :".. والانقياد لمن ولاه الله عز وجل أمركم ، لا تنزع يدا من طاعة ولا تخرج عليه بسيف حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا ، ولا تخرج على السلطان ، وتسمع وتطع ولا تنكث بيعته ، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة ، وإن أمرك السلطان بأمر فيه لله معصية ، فليس لك أن تطيعه ألبتة ، وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقه"- عبد الرحمن بن محمد بن قاسم : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج1 ، ص 348

[161] - كان ابن تيمية يرفض بصورة أولية الثورة على الحكام المستبدين ويقول :" المشهور في مذهب اهل السنة انهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف ، وإن كان فيهم ظلم ، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي (ص).. لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم ، فيدافع أعظم الفسادين بالتزام الأذى ولا نكاد نعرف طائفة خرجت على ذي السلطان الا كان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي ازالته ". (ابن تيمية: الاستقامة ج1 ص 330)

فــإن الفكر السياسي الوهــابي ، بعد إقامة الدولة الســعودية ، غض الظــرف عن ذلك الــرأي و عــاد ليتمسك بــالرأي الســني القديم الذي يحرم الخروج على الحاكم بصورة مطلقة.

و كانت فكرة الطاعة المطلقة للإمام قد ارتبطت من قبل ، في الفكر السياسي الســلفي (الســني) ، بنظرية شــرعية إمامة المتغلب بغض النظر عن تحقيق العدالة الاجتماعية و المسـاواة أو الالـــتزام بالقـــانون ، وتهميش دور الأمة في عملية الإصـــلاح الاجتمـاعي أو المعارضة السياســية ، و تــرك المجـال السياسي للأمراء و الحكـام يتصـارعون فيه فيما بينهم حـتى يغلب أحـدهم على الآخر. و قد أضاف الفكر الوهابي الى ذلك وجوب التســليم والخضوع لأئمة الدعوة الوهابية من قبل أبناء الحركة ، فضلا عن عامة الناس . [162]

ولكن ابن تيمية لم يجعل الامـام مصـدر الشــرعية ، وانما العمل بالشــريعة ، ولذلك فتح نافذة واسعة على الثورة ، وكان يرفض الانجرار لقتال الخــوارج ، بسـبب احتمـال اعتمـاد الخـوارج على التأويل . وقد نفى وجــود أي حـديث صحيح يـأمر بقتـال الخـارجين على الامـام ، وقـال إن الحـديث الوحيد الـذي يــذكره القـائلون بــذلك ، هو حــديث كـوثر بن حكيم عن نـافع ، وهو حـديث موضوع ، و أما الأحاديث الصحيحة التي جاءت في قتال الخـارجين فهي تنص على قتال الخارجين عن الشريعة لا على الامـام . وقـال : " أما القتـال لمن لم يخرج الا عن طاعة امام معين فليس في النصوص أمر بذلك ". وكان ابن تيمية يقول بجواز الخروج على الامام العادل نظرا لشبهة أو تأويل كما خــرج معاوية بن أبي سفيان على الامام علي بن أبي طالب . (ابن تيميـة: مجمـوع الفتاوى ، ج4 ص 450 – 452)

[162] - وقد نظم الشيخ سليمان بن سحمان ، فكرة الطاعة المطلقة للأمراء في أبيات من الشعر قال فيها :

فيلــزمكم أن توفــوا بعهد إمــامكم على الكــره منكم والرضا والتحمد
وتعطونه في ذاك ســـمعا وطاعة كما جـــاء في النص الأكيد المؤيد
ولو جـــار في أخذ من المـــال واعتــدى بضـــرب وتنكيل عنيف منكد
فلا تخرجـــوا يوما عليه تعنتا تريـــدون كشـــفا للظلامة باليد

عبد الرحمن بن محمد بن قاسم : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج1 ، ص 587

وبناء على ذلك فان الشيخ لم يعط الأمة أو الحركة الوهابية الحق في المعارضة أو التمـرد والخـروج على النظـام الوهـابي. بالرغم من عدم وجود أي قانون للمحاسبة أو النقد أو التغيـير . وكان يرفض توجيه النقد للأمراء بصورة علنية. [163]

2 – العنف والإرهاب

لقد كان عامة المسلمين يرفضون التفسير الوهابي للتوحيد ، و يجادلون بقوة فيما إذا كان دعـاء الصـالحين و الاسـتغاثة بهم شركا بالله تعالى ، خاصة مع الإيمان بـأن الأوليـاء وسـائل فقط الى الله و ليس بأيديهم النفع أو الضر. وكان ذلك يشـكل مـبررا كافيا للتوقف في تكفـير المسـلمين لأنهم – على الأقل – آمنـوا بذلك عن جهل و شبهة [164]. ولكن الوهابيين لم يكونـوا يعـترفون بتلك المـبررات ، و كـانوا يصـرون على فـرض قـراءتهم الخاصة للتوحيد بـــالقوة على النـــاس ، و مقاتلة من لم يـــوافقهم على

---

[163] - يقول ابن غنـام في تـاريخ نجد (ص 352) :ـ إنه في ذات مـرة انتقد بعض أبناء الحركة الوهابية أميراً في منطقة سدير ، فرفض الشيخ محمد بن عبد الوهـاب توجيه الانتقـاد له علنا وكتب الى أهل سـدير وحرمة والمجمعة والغاط والزلفى بياناً ينهاهم فيه عن توجيه النقد العلني الى الأمراء حـتى لو كـانوا أمـراء منـاطق ، وقـال لهم:" اذا صـدر المنكر من أمـير أو غـيره ينصح برفق ، خفية ما يشـترف أحد ، فـان وافق والا اسـتلحق عليه رجلا يقبل منه بخفية ، فان لم يفعل ، فيمكن الانكار ظاهرا ، الا ان كان على أمـير ونصـحه ولا وافق واستلحق عليه ولا وافق فيرفع الأمر يمنا (إلينا) خفية".

[164] - يقول الشـيخ عبد الله بن الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب :" لا نكفر الا من بلغته دعوتنا للحق ، ووضـــحت له المحجة وقـــامت عليه الحجة ، وأصر مستكبرا معاندا ، كغالب من نقاتلهم اليـوم ، يصـرون على ذلك الإشـراك ... ونعتذر عمن مضى : بأنهم مخطئون معذورون ، لعدم عصمتهم من الخطأ.

فان قلت: فما القول فيمن حـرر الأدلـة، واطلع على كلام الأئمة القـدوة ، واستمر مصرا على ذلك حتى مات؟

قلت: لا مانع من ان نعتذر لمن ذكر ، ولا نقول : انه كافر ، ولا لما تقـدم انه مخطيء ، وان اسـتمر على خطئه ، لعـدم من يناضل عن هـذه المسـألة في وقته بلســانه وســيفه وســنانه ، فلم تقم عليه الحجة ولا وضــحت له المحجة". الــدرر السـنية والأجوبة النجدية ، ج1 ص 234 –ـ 235 وصـيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان ، لمحمد بشير السهسـواني الهنـدي ، ص 419

نظريتهم. و ذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعيــداً في عملية التكفير لتشمل المعارضين له و المحايدين و المترددين .

و قد صرّح بذلك في رسالة له الى شريف مكة ، الذي سـأله عما يقاتل عليه النـــاس؟ و عما يكفِّر به الرجل ، فقـــال :" أنه يكفّر ويقاتل أنواعا من الناس:

الأول: من عرف (التوحيد)[165] دين الله و رسـوله ، الـذي أظهرناه للناس ، و أقرّ أن هذه الاعتقادات في الحجر والشجر و البشر ، الذي هو دين غالب النـاس هي الشـرك بالله ، ومع ذلك لم يلتفت الى (التوحيـــــد) و لا تعلمه و لا دخل فيه و لا تـــــرك (الشرك) فهذا كافر نقاتله بكفره ، لأنه عرف دين الرسـول فلم يتبعه ، و عـــرف دين الشـــرك فلم يتركه ، مع انه لا يبغض دين الرسول و لا من دخل فيه ، و لا يمدح الشرك ولا يزينه للناس.

الثـاني: من عـرف ذلك كله و لكنه تـبيّن في سب (دين الرســول) مع ادعائه أنه عامل به ، و تـــبيّن في مـــدح من عبد يوسف و الأشقر ، و من عبد أبا علي و الخضر من أهل الكـويت ، وفضّـلهم على من وحد الله و تـرك الشـرك ، فهـذا أعظم من الأول.

الثـالث: من عـرف (التوحيـد) و أحبه و اتبعه ، و عـرف (الشـرك) و تركه ، و لكن يكـره من دخل (التوحيـد) و يحب من بقي على (الشرك) فهذا أيضا كافر.

الرابع: من سـلم من هـذا كله و لكن أهل بلـده مصـرون بعداوة (التوحيد) و اتباع أهل الشرك ، و ساعون في قتـالهم ، و يتعذر أن تركه وطنه يشق عليه ، فيقاتل أهل (التوحيـد) مع أهل بلده و يجاهد بماله و نفسه ، فهذا أيضا كافر".

---

165 - ويقصد به مفهومه الخاص عن التوحيد ، كما هو واضح

دوامة العنف

و نظراً لهذه العقيدة المتطرفة التي تكفر جميع المسلمين و تتهمهم بالشرك ، و تحاول إدخـالهم في "الـدين الإسـلامي" من جديد [166] ، لم تكن الدولة الوهابية تستطيع أن تقوم إلا بـالعنف ، و لم تسـتطع أن تسـتمر إلا في ظل السـيف ، فكـان لا بد أن تجابه بـــالقوة و العنف ، و تضـــطر هي الى ممارسة المزيد من العنف و الإرهـاب لفـرض سـيطرتها على المسـلمين ، و لـذلك فقد نشأ نــوع من الصــراع المحمــوم الــذي لا يهــدأ بينها وبين الجمــاهير المســلمة ، و هو إن خبا فــترة من الــزمن فلكي يعد أصــحابه العــدة لجولة جديــدة من الحــرب. و لم يكن هنالك أي مجال في ظل العقيــدة الوهابية ، لأي نــوع من الصـلح والسـلام

---

[166] - و قد عبر الأمير سعود بن عبد العزيز ، عن التزام الحركة الوهابية بالجهاد الابتدائي ، عندما دخل مكة المكرمة ، سنة 1218 هـ حيث أصدر بيانا قال فيه بعد أن شرح معنى الشرك بالمفهوم الوهابي:" .. هذا هو الذي ندعو النــاس اليه و نقــاتلهم عليه بعد ما نقيم الحجة عليهم من كتــاب الله وســنة رســوله (ص) و إجمــاع الســلف الصــالح من الأمة ، ممتثلين لقوله تعــالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) فمن لم يجب الـدعوة بالحجة و البيان قاتلناه بالسيف و السنان".[?]

وقال في مكان آخر:" قد قدمنا أننا لا نكفّر بالذنوب ، و انما نقاتل و نكفر من أشــرك بالله وجعل لله نــدا... فـإن لم ينته عن ذلك الا بالمقاتلة ، وجب قتاله ، حتى يجعل الدين كله لله...

وأما ان دمتم على حالكم هذه ، ولم تتوبوا من الشـرك الـذي أنتم عليه و تلـتزموا دين الله الــذي بعث الله به رسـوله ، و تـتركوا الشـرك و البـدع و المحدثات ، لم نزل نقاتلكم حتى تراجعـوا دين الله القـويم و تسـلكوا طريقه المستقيم. (وقاتلوهم حتى لا يكون فتنة ويكون الدين كله لله)".[?]

و أجبر سعود علماء مكة و المدينة على إصدار فتوى تقول**:" إن** من لم يدخل في هذا الدين ويعمل به و يوالي أهله و يعـادي أعـداءه فهو كـافر بالله واليوم الآخـر. و واجب على إمـام المسـلمين ، والمسـلمين ، جهـاده و قتاله حتى يتوب الى الله مما هو عليه ، و يعمل بهذا الدين".[?]

بين الحكومة الوهابية و القبائل و الشعوب و الطوائف الإسلامية المختلفة ، الا بالدخول في مـذهبها ، و مع ذلك فـان تلك القبائل و الطوائف لم تكن تســـلم من العنف و الاســـتبداد و الاتهـــام بالردة.

إن الحركة الوهابية ولدت في مجتمع إسلامي قائم يرفض الـــــدعوة الوهابية المكفـــــرة له ، و هو لا يمكن ان يخضع لها بسهولة و يقرها على ما جاءت به من تأويلات تعسـفية فيعـترف على نفسه بالشـرك و الكفر ثم يـدخل على يـديها الى الإسـلام من جديد.

وهذا ما يفسر دموية المعارك التي خاضها الوهابيون لفرض مـذهبهم ، أو الانتقـام من أعـدائهم ، سـواء في نجد [167]، أو في

[167] - يقـول المـؤرخ الوهـابي عثمـان ابن بشر ، وهو يصف هزيمة أهل الرياض سنة 1187: "ـ فَرَّ اهل الرياض ، الرجال والنساء والاطفال لا يلوي أحد على أحد هربوا على وجوههم الى البرية في السـهال قاصـدين الخـرج ، وذلك في فصل الصـيف ، فهلك منهم خلق كثـير جوعـاً وعطشا ... وتركوها خاوية على عروشـــها ، الطعـــام واللحم في قـــدوره والســـواني واقفة في المنــاحي ، وأبــواب المنــازل لم تغلق ، وفي البلد من الامــوال ما لا يحصر ، فلما دخل عبد العزيز الريــاض وجــدها خالية من أهلها الاّ قليلاً فســاروا في اثرهم يقتلون ويغنمون .." (عنوان المجد ، ص 120)

ويكمل ابن غنام المشهد ، فيقـول : " اسـتولى ابن سـعود على جميع ما في الرياض من أموال ونخيل فيئا من الله لأنه لم يوجف عليها خيل ولا ركــاب". (تاريخ نجد ، ص 138)

الأحســـاء [168]، أو في الحجـــاز [169]، أو في العـــراق و خاصة في كربلاء.

مجزرة كربلاء

وكان على رأس تلك المجـازر الـتي أقامها الوهـابيون في عهدهم الأول مجزرة كـربلاء الرهيبة ، الـتي شن فيها الوهـابيون بقيادة سعود بن عبد العزيز ، هجوما مباغتاً دون ســابق إنـذار أو دعـــوة لمـــذهبهم ، و إنما على حين غفلة من أهلها ، فأقـــاموا مجزرة رهيبة فيها ، و ذلك في شهر ذي القعدة من سـنة 1216 هـ (المصادف 20 نيسان 1802م)

يقول المؤرخ الوهابي عثمان ابن بشر في كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد):" إن سـعود سـار بـالجيوش المنصـورة و الخيل العتـــاق المشـــهورة ، من جميع حاضر نجد و باديها ، و

---

168 - يقـول ابن غنـام إنه في سـنة 1206 و 1207 هجم سـعود على القطيف والأحساء وقتل وأباد نحو ألف وخمسمائة رجل ، واقام مجازر رهيبة بحق السكان. (ابن غنام: تاريخ نجد ، ص 182- 183)

وفي سنة 1208- حاصر سعود بعض القرى في الأحساء وقتل منهم رجالا ونهب أموالا ، وأمر أهل القرين بـالجلاء. وكـان الأعـراب وأهل البـوادي ممن مع سعود في تلك الأثناء يدمرون في الاحساء ويقطعون النخيل . (ابن غنام: تاريخ نجد ، ص 187)

وقد صور المؤرخ الوهابي عثمان ابن بشر أحداث إحدى تلك الغـزوات الملطخة بالعنف والدماء ، وهي (وقعة الرقيّقة) التي حدثت عـام 1210هــ ، بقوله : " ثوّر المســلمون بنــادقهم دفعة واحــدة فــأرجفت الأرض واظلمت السماء وثار عج الدخان في الجو وأسقطت كثـير من الحوامل في الأحســاء. ثم نزل سعود في (الرقيقة) المذكورة . وأقام مدة أشهر يقتل من أراد قتله . ويجلي من أراد جلاءه ، ويحبس من أراد حبسه ويأخذ من الامــوال، ويهــدم من المحـال ، ويبـني ثغـورا ويهـدم دورا ، وضـرب عليهم ألوفـاً من الـدراهم وقبضـها منهم ، وأكـثر فيهم سـعود القتل ... فهـذا مقتـول في البلد ، وهـذا يخرجونه الى الخيام ويضرب عنقه عند خيمة سعود ، حتى افناهم الاّ قليلاً ، وحاز سـعود من الامـوال في تلك الغـزوة ما لايعد ولا يحصى " . ويقـول ابن بشر: ان ابن سعود قتل من أهل قرية واحدة هي (الفضول) ثلاثمائة رجل ، حتى صارت تلك القرية مضرب الأمثال. (عنوان المجد ، ص 216)

169 - يقول الجبرتي: أخذ البلدة الوهابيون واستولوا عليها عنوة وقتلوا الرجال وأسروا النساء والأطفال ، وهذا دأبهم مع من يحاربهم./ غالب ، محمد أديب : من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي ، ص 90

الجنوب و الحجاز و تهامة و غـير ذلك ، و قصـدوا أرض كـربلاء و نــازل أهل بلد الحســين ، فحشد عليها المســلمون و تســوروا جــدرانها ودخلوها عنــوة ، و قتلــوا غــالب أهلها في الأســواق والبيوت ، و هـدموا القبة الموضـوعة بـزعم من اعتقد فيها على قبر الحسين ، و أخذوا ما في القبة و ما حولها ، و اخذوا النصيبة التي وضعوها على القبر و كانت مرصوفة بالزمرد واليـاقوت و الجــواهر ، و أخـــذوا جميع ما وجـــدوا في البلد من الأمـــوال والسـلاح واللبـاس و الفـرش و الـذهب و الفضة و المصـاحف الثمينة و غـــير ذلك مما يعجز عنه الحصر ولم يلبثـــوا فيها الا ضـحوة و خرجـوا منها قـرب الظهر بجميع تلك الأمـوال ، و قتل من أهلها قـــريب ألفي رجل ، ثم إن ســـعودا ارتحل منها فجمع الغنائم و عزل أخماسها ، و قسم باقيها على **المسلمين** غنيمة للرجل سهم وللفارس سهمان " .[170]

و ربما كـان اعتمـاد الـدعوة الوهابية على العنف بـدلا من الحوار و الإقناع ، و تحـول الصـراع في نجد الى محاولة لفـرض ســلطان آل ســعود ، أكــثر منه محاولة لنشر مبــادئ الــدعوة الوهابية ، هو ما يفسر المعارضة الشـديدة الـتي لقيتها الـدعوة في نجد ، و الـتي اسـتغرقت حـوالي أربعين عاما ، و لـذا فـان الناس الذين كانوا يخضعون بالسيف لسلطة آل سعود فـترة من الزمن ، كانوا سـرعان ما ينفضـون عنهم و يتمـردون لمجـرد ما يتغير ميزان القوى لصالحهم.

و قد استمرت تلك الحقبة المضطربة المشحونة بالانتفاضات ، و اشتدت مع تسلم سعود بن عبد العزيز للقيادة العسـكرية في بداية عقد التسـعينات من القـرن الثـاني عشر الهجـري ، حيث حصل اضــطراب شــديد ، و تذبــذب كبــير في دخــول القــرى النجدية في طاعة آل ســعود و الخــروج منها ، و ذلك لما كــان يتسم به ســعود من عنف و دموية و إرهــاب ، فما أن يســيطر على بلد حـتى ينتفض بلد آخر ، وما أن يقمع قرية حـتى تتحـداه قرية أخرى.

---

[170] - ابن بشر: عنوان المجد ، ص 257 - 258

دعوة أهالي مكة الى الإسلام

بعد ان فرض سعود بن عبد العزيز سيطرته على نجد و الاحساء توجه لاحتلال الحجاز ، و هنا تغيرت لهجة الحركة الوهابية تجاه الحجازيين و الدولة العثمانية ، فبعد ان كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يتودد الى شريف مكة ويتظاهر بالولاء له و ينفي "تهمة التكفير بالعموم" أرسل سعود وفداً الى شريف مكة الأمير غالب بن مساعد ، بزعامة الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، و وجّه لأهلها اتهامات مباشرة و صريحة بوجود مظاهر الشرك في مكة ودعوة الأموات ، ولم ينفع إنكار أهل مكة لذلك .

وعندما اقتربت قوات سعود من مكة في نهاية عام 1217هـ ، و طلب أهل مكة منه الأمان ، أصدر اليهم بياناً يتضمن التشكيك بإسلامهم ، و يدعوهم الى "دين الله" حيث جاء فيه:

" بسم الله الرحمن الرحيم

من سعود بن عبد العزيز

الى كافة أهل مكة والعلماء والآغوات وقاضي السلطان

السلام على من اتبع الهدى

أما بعد: فأنتم جيران الله وسكان حرمه آمنون بأمنه. إنما ندعوكم لدين الله ورسوله (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا: اشهدوا بأننا مسلمون " فأنتم في أمان الله ثم في أمان أمير المسلمين سعود بن عبد العزيز وأميركم عبد المعين بن مساعد ، فاسمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله والسلام "[171].

ويتضح من خلال هذا النص ، أن سعوداً كان ينظر الى (الوهابيين) نظرة خاصة باعتبارهم (المسلمين) والى أهل مكة باعتبارهم (مشركين) ولذلك لم يسلم عليهم وانما وجه سلامه الى من اتبع الهدى ، ودعاهم الى كلمة سواء هي كلمة التوحيد.

---

[171] - ابن بشر: عنوان المجد ، ص 261

وعنـدما دخل سـعود مكة المكرمة في اليـوم الثـامن من محرم 1218هـ وطلب من الناس الاجتماع بالمسجد الحــرام ، خطب فيهم قائلا:" احمـدوا الله الـذي هـداكم للإسـلام وأنقـذكم من الشــرك. أطلب منكم أن تبــايعوني على دين الله ورســوله وتوالوا من والاه وتعادوا من عاده في السراء والضراء والســمع والطاعـة".[172] وأصـدر بيانــاً جـاء فيـه:" قد عمت البلـوى من حوادث الأمور التي أعظمها : الإشراك بالله والتوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء الحاجـات وتفـريج الكربـات الـتي لا يقـدر عليها الا رب الأرض والسـماوات... فـأخبر أن من جعل بينه وبين الله وســائط يســألهم الشــفاعة فقد عبــدهم وأشـرك بـه. وذلك ان الشـفاعة كلها لله .كما في الحـديث عنه (ص) أنه قــال: لا تقــوم الســاعة حــتى يلحق حي من أمــتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان...

فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل بهم الأمر الى أن كفرونا وقاتلونا واســتحلوا دمائنا وأموالنــا...حــتى نصــرنا الله عليهم وظفرنا بهم ، وهو الــذي نــدعو النــاس اليه ونقــاتلهم عليه بعد ما نقيم الحجة عليهم من كتــاب الله وســنة رسوله (ص) وإجماع السـلف الصـالح من الأمة ، ممتثلين لقوله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكـون الـدين للـه) فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قاتلناه بالسيف والسنان".[173]

ثم بادر الوهابيون لهدم القباب التي كانت على محل مولد النبي (ص) ومولد ابي بكر ومولد الامام علي و السيدة خديجة ، والــتي كــانوا يعتبرونها "أصــناما تعبد من دون اللــه" . وأرسل سـعود رسـالة الى السـلطان العثمـاني سـليم ، يخـبره فيها بأنه "قد هــدم ما هنالك من أشــباه الوثنيــة" .[174] و أمر مناديه أن ينـادي في مكة المكرمـة: (يا أيها الـذين آمنـوا إنما المشـركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا).

و وقف الشـيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهـاب في مكة قـائلا:" إن من قـال يا رسـول اللـه، أو يا ابن عبـاس ، أو يا عبد

---

[172] - عبد العزيز التويجري ، لسراة الليل هتف الصباح ، ص 49

[173] - غالب ، محمد أديب : من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي ، ص 94

[174] - عبد العزيز التويجري ، لسراة الليل هتف الصباح ، ص 46

القادر أو غـيرهم من المخلـوقين ، طالبا بـذلك دفع شر أو جلب خـير من كل ما لا يقـدر عليه الا الله تعـالى من شـفاء المـريض والنصر على العــــدو ، والحفظ من المكـــــروه ونحو ذلـــك: انه مشرك شركا أكبر ، يهـدر دمه ويـبيح ماله ، وان كـان يعتقد أن الفاعل المـؤثر في تصـريف الكـون هو الله تعـالى وحـده ، لكنه قصد المخلوقين بالدعاء متشفعا بهم ومتقربا بهم لتقضى حاجته من الله بسرهم وشفاعتهم له فيها أيام البرزخ".[175]

واستصدر الوهابيون عدة بيانـات من علمـاء الحـرمين ومن الشريف غالب بـالاعتراف بالـدين الجديد (الإسـلام) والتـبرؤ من دينهم السابق (الشـرك) والإفتـاء بكفر عامة المسـلمين – تحت

---

[175] - الدرر السنية والأجوبة النجدية ، ج1 ص 224 ورغم هذه الصراحة في تكفير عامة المسلمين الذين كانوا ولا يزالـون يطلبـون الشـفاعة من الأنبيـاء والأولياء ، فان الشـيخ عبد الله يشـكو في أمـاكن أخـرى من كـذب الخصـوم بإلصاق تهمة تكفير المسلمين بالعموم بالوهـابيين ، فيقـول في رسـالة لـه:" وأما ما يكـذب علينا سـترا للحق وتلبيسا على الخلـق... أنا نكفر النـاس على الإطلاق ومن بعد السـتمائة ، الا من هو على ما نحن عليه ، ومن فـروع ذلك أنا لا نقبل بيعة أحد حـتى نقـرر عليه بأنه كـان مشـركا ، وأن أبويه ماتا على الإشراك بالله... كان جوابنا عليه في كل مسألة من ذلك (سبحانك هذا بهتان عظيم). ولكنه يكمل فيقول: " فان قـال قائـل: يلـزم من تقريـركم وقطعكم في أن من قال: (يا رسول الله اسألك الشفاعة) أنه مشرك مهدر الـدم ، أن يقال: يكفر غالب الأمة ولا سيما المتأخرين ، لتصريح علمائهم المعتـبرين: أن ذلك مندوب ، وشنوا الغارة على من خالف في ذلك.

قلت: لا يلزم ، لأن لازم المذهب ليس بمذهب ، ونحن نقول فيمن مات : تلك أمة قد خلت ، ولا نكفر الا من بلغته دعوتنا للحق ، ووضـحت له المحجة وقـامت عليه الحجة ، وأصر مسـتكبرا معانـدا ، كغـالب من نقـاتلهم اليـوم ، يصـرون على ذلك الإشـراك .. وغـير الغـالب: انما نقاتله لمناصـرته من هـذه حاله ، ورضـاه به ، ولتكثـير سـواد من ذكر ، والتـأليب معه ، فله حينئذ حكمه في قتاله. ونعتذر عمن مضى : بـأنهم مخطئـون معـذورون ، لعـدم عصـمتهم من الخطأ.

فان قلت: فما القول فيمن حـرر الأدلـة، واطلع على كلام الأئمة القـدوة ، واستمر مصرا على ذلك حتى مات؟

قلت: لا مانع من ان نعتذر لمن ذكر ، ولا نقول : انه كافر ، ولا لما تقدم انه مخطيء ، وان اسـتمر على خطئه ، لعـدم من يناضل عن هـذه المسـألة في وقته بلسانه وسيفه وسـنانه ، فلم تقم عليه الحجة ولا وضـحت له المحجـة". الدرر السـنية والأجوبة النجدية ، ج1 ص 234 – 235 وصـيانة الانسـان عن وسوسة الشيخ دحلان ، لمحمد بشير السهسواني الهندي ، ص 419

تهديد السلاح بالطبع - فأصدر علماء مكة المكرمة البيان التالي :" نحن علماء مكة الواضعون خطوطنا في هذا الرقيم: ان هذا الدين الذي قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، ودعا اليه إمام المسلمين سعود بن عبد العزيز ، من توحيد الله ونفي الشرك الذي ذكره في هذا الكتاب ، أنه هو الحق الذي لا شك فيه. ولا ريب وان ما وقع في مكة والمدينة سابقا ومصر والشام وغيرهما من البلدان ، الى الآن ، من أنواع الشرك المذكورة في هذا الكتاب ، أنه: الكفر المبيح للدم والمال ، والموجب للخلود في النار. ومن لم يدخل في هذا الدين ويعمل به ويوالي أهله ويعادي أعداءه فهو عندنا كافر بالله واليوم الآخر. و واجب على إمام المسلمين ، والمسلمين ، جهاده وقتاله حتى يتوب الى الله مما هو عليه ، ويعمل بهذا الدين.

اشهد بذلك:

1- عبد الملك بن عبد المنعم القلعي والحنفي ، مفتي مكة المكرمة.
2- محمد بن صالح بن إبراهيم ، مفتي الشافعية بمكة.
3- محمد بن محمد عربي البناتي ، مفتي المالكية بمكة
4- محمد بن أحمد ، المالكي
5- محمد بن يحيى ، مفتي الحنابلة بمكة
6- عبد الحفيظ بن درويش العجيمي
7- زين العابدين جمل الليل
8- علي بن محمد البيتي
9- عبد الرحمن جمال
10- بشر بن هاشم الشافعي".[176]

وأصدر علماء المدينة المنورة كذلك بياناً مشابهاً ، جاء فيه:" نشهد بأن هذا الذي قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ودعانا اليه إمام المسلمين سعود من توحيد الله ونفي الشرك ، هو الدين الحق الذي لا شك فيه ولا ريب. وان ما وقع في مكة والمدينة سابقا والشام ومصر وغيرها من البلدان الى الآن من أنواع الشرك المذكورة في هذا الكتاب أنها : الكفر المبيح للدم والمال... وكل من خالف ما في هذا الكتاب من أهل مصر والشام والعراق وكل من كان دينهم الذي هم عليه الآن فهو كافر مشرك.

---

[176] - الدرر السنية والأجوبة النجدية ، ج1 ص 314

أشــهد بــذلك وأنا الفقــير بن حســين ، بالروضة الشــريفة ، وكتبه محمد صــالح رضــوان ، وشــهد بــذلك وكتبه محمد بن إسماعيل ، وكتبه الفقير الى الله حسن".[177]

وهكذا وقع الشريف غـالب بن مسـاعد على بيـان مشـابه يعترف فيه على نفسه بالكفر سابقا ، بالإضافة الى تكفــير الأمة الإسلامية جمعاء .[178]

إعلان تكفير الدولة العثمانية

وعندما حاولت الدولة العثمانية ان تتنازل قليلا لسعود بن عبد العزيز فبعثت له بعــدة وفــود و رســائل تطلب فيها الهدنة والصلح ، كتب في جواب ذلك رســالة مطولة الى يوسف باشا ، جاء فيها:" وأما المهادنة والمسابلة على غير الإسلام ، فهـذا أمر محال ، بحول الله وقوته ، وأنت تفهم أن هـذا أمر طلبتمــوه منا مـرة بعد مـرة ... وبـذلتم الجزية على أنفسـكم كل سـنة ثلاثين ألف مثقـــال ذهبا ، فلم نقبل منكم ولم نجبكم بالمهادنة ، فـــان قبلتم الإسلام فخيرتها لكم وهو مطلبنا ، وان تـوليتم فنقـول كما قال الله تعالى: (فـان تولـوا فإنما هم في شـقاق فسـيكفيكهم الله وهو السميع العليم).[179]

وقد احتج والي بغـداد سـليمان باشا ، على هـذه الرســالة العنيفة ، فأرسل اليه سعود رسالة يعلن فيها موقفه الصــريح من الدولة العثمانية ، التي أخذ يتهمها بالكفر والشـرك والـردة ، ويدعوها الى الدخول في الإسـلام . وقد جـاء فيهـا: " ذكـرتم أن كتابنا المرسل الى يوسف باشا ، على غـــــــــير ما أمر الله به ورسوله من الخطاب للمسلمين ، بمخاطبة الكفـار والمشـركين ، وان هذا حال الضالين وأسوة الجاهلين ، فنقــول : بأنا متبعــون ما أمر الله به ورسول عبـاده المؤمـنين. ومن تلـبيس إبليس أن يظن أن ما ذم الله به اليهــود والنصــارى والمشــركين لا يتنــاول

---

177 - الدرر السنية والأجوبة النجدية ، ج1 ص 317

178 - المصدر ، ج1 ص 316

179 - هامش عنوان المجد ، لابن بشر ، ج1 ص 323 ، نقلا عن الدرر السنية والأجوبة النجدية ، ج7 ص 261

من شابههم من هذه الأمة ... ما يفعله إخـوانهم من المشـركين اليوم عند طواغيتهم ، فاتبع هؤلاء سنن من كـان قبلهم وسـلكوا سـبيلهم.. وغلب الشـرك على أكـثر النفـوس ، لظهـور الجهل وخفاء العلم وصـار المعـروف منكـرا والمنكر معروفـا.. نشأ في ذلك الصغير وهرم عليه الكبير ، وطمست الأعلام واشتدت غربة الإسـلام وقلّت العلمـاء وغلبت السـفهاء وتفـاقم الأمر واشـتد البأس وظهر الفسـاد في الـبر والبحر بما كسـبت أيـدي النـاس. ولكن لا تـزال طائفة من العصـابة المحمدية بـالحق قـائمين ، ولأهل الشرك والبدع مجاهـدين ، الى أن يـرث الله الأرض ومن عليهـا... فـانظر الى تصـريح هـؤلاء الأئمة بـأن هـذه الأعمـال الشركية قد عمت بها البلوى وشـاعت في كثـير من بلاد الشـام وغيرها ، وان الإسـلام قد اشـتدت غربتـه.. وان هـذه المشـاهد والأبنية التي على القبور قد كثرت وكثر الشرك عندها وبها حتى صار كثـير منها بمنزلة اللات والعـزى ومنـاة الثالثة الأخـرى ، بل أعظم شـركا عنـدها وبهـا. وهـذا ما يبطل قـولكم إنكم على الفطرة الإسلامية والاعتقادات الصحيحة ، ويـبين أن أكـثركم قد فـارق ذلك ونبـذه وراء ظهـره وصـار دينه الشـرك بالله ودعـاء الأموات والاستغاثة بهم.

وأما قولكم: (فنحن مسلمون حقا ، وأجمع على ذلك أئمتنا أئمة المذاهب الأربعة ومجتهدو الدين والملة المحمدية).

فنقول: قد بينا من كلام الله وكلام رسوله وكلام أتباع الأئمة الأربعة ما يـدحض حجتكم الواهية ويبطل دعـواكم الباطلـة. وحالكم وحال أئمتكم وسلاطينكم تشهد بكـذبكم وافـترائكم في ذلك. وقد رأينا لما فتحنا الحجرة الشـريفة ، على سـاكنها أفضل الصلاة والسلام ، عام 22 رسالة لسلطانكم سليم ، أرسـلها الى ابن عمه الى رسول الله يستغيث به ويدعوه ويسأله النصر على الأعـداء من النصـارى وغـيرهم ، وفيها من الـذل والخضـوع والعبـادة والخشـوع ما يشـهد بكـذبكم ، وأولهـا: (من عُبيـدك السـلطان سـليم ، وبعد يا رسـول الله قد نالنا الضر ونـزل بنا المكـروه ن نسـألك النصر عليهم والعـون عليهم) . وقـال غـير واحد من العلمـاء: إن من أسـباب الكفر والشـرك : الغلو في الصالحين... فكل هذا شرك وضلال ، يستتاب صاحبه ، فان تـاب ، وإلا قتل.

وأما قــولكم: (وأما ما اعترينا من الــذنوب فلا يخرجنا من دائرة الإسلام ، كما زعمت الخوارج).

فنقول: نحن بحمد الله لا نكفر أحداً من أهل القبلة بـذنب ، وانما نكفــرهم بما نص الله ورســوله وأجمع عليه علمــاء الأمة المحمدية: أنه كفر ، كالشـرك في عبـادة الله غـيره ، من دعـاء ونذر وذبح ، وكبغض الدين وأهله والاستهزاء به.

وأما قولكم: (فكيف التجري بالغفلة على إيقاظ الفتنة بتكفير المسلمين وأهل القبلة ، ومقاتلة قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر ، واستباحة أموالهم وأعراضهم وعقر مواشيهم وحرق أقـواتهم ، من نواحي الشام...إلخ؟).

فنقول: قد قدمنا أننا لا نكفّر بالذنوب ، وانما نقاتل ونكفر من أشـرك بالله وجعل لله نـدا... فـان كنتم صـادقين في دعـواكم: (أنكم على ملة الإسـلام ومتابعة الرسـول (ص)) فاهــدموا تلك الأوثان كلها وسووها بالأرض ، وتوبوا الى الله من جميع الشــرك والبدع ، وحققوا قول : (لا إله إلا الله). ومن صرف أي نــوع من أنواع العبادة لغير الله من الأحياء والأمـوات ، فـانهوه عن ذلك ، وعرّفـوه أن هـذا منـاقض لـدين الإسـلام ومشـابهة لـدين عبـاد الأصنام ، فـإن لم ينته عن ذلك الا بالمقاتلة ، وجب قتاله ، حـتى يجعل الدين كله لله...

فـإذا فعلتم ذلك فـأنتم إخواننا لكم ما لنا وعليكم ما علينا ، يحرم علينا دماؤكم وأموالكم . وأما ان دمتم على حـالكم هـذه ، ولم تتوبوا من الشـرك الـذي أنتم عليه وتلـتزموا دين الله الـذي بعث الله به رسـوله ، وتـتركوا الشـرك والبـدع والمحـدثات ، لم نــزل نقـاتلكم حـتى تراجعـوا دين الله القـويم وتسـلكوا طريقه المستقيم.

(وقاتلوهم حتى لا يكون فتنة ويكون الدين كله لله).

حرر في اليـوم الرابع عشر من شـهر ذي القعـدة ، سـنة خمس وعشرين".[180]

إن إعلان تكفير الدولة العثمانية و رعاياها من المسلمين ، من قبل الحركة الوهابية بقيادة الأمـير سـعود بن عبد العزيز بن

---

[180] - الدرر السنية والأجوبة النجدية ، ج1 ص 287 و 304 – 313 راجع أيضا : رسائل أئمة دعوة التوحيد ، لفيصل بن مشعل آل سعود ، ص 55 - 79

محمد بن سعود ، الـذي اقـترن مع حملات عسـكرية عنيفة على اطرافها المختلفة ، واستعمال لدرجة عالية من الإرهــاب ، حقق لابن سـعود سـيطرة شـبه كاملة على الجزيـرة العربية ، ولكنه استفز الدولة العثمانية و العالم الإسلامي للقيـام بحملة مضـادة تمثلت في الإيعاز الى والي مصر محمد علي باشا بالهجوم على الحجاز و نجد و القضـاء على الدولة الوهابيـة. ولم ينفع بعد ذلك تراجع زعيم الوهابية الجديد الأمـــير عبد الله بن ســـعود عن التكفـير ، و لا إعلان الـولاء التـام للسـلطان العثمـاني محمـود الغازي والاعتراف بأنه " عبد من عبيد الباب العالي و من جملة الخدام". [181]

وبما أنه كان من الصعب جداً على عامة المسلمين القبـول بالدعوة الوهابية التي كانت تحتم عليهم الاعتراف على أنفسـهم بالشرك و الكفر و الـدخول في الإسـلام من جديد ، فقد كـانت تلقى منهم مجابهة واســعة و عريضة ، ولم يكن أمـــام الحركة الوهابية الا اســتخدام العنف و الإرهـــاب لإجبـــار النـــاس على الخضوع لهم و القبـول بعقيـدتهم ، و هـذا ما كـان يمهد الطريق للعمل من أجل مقـــــاومتهم و تحين الفـــــرص للتخلص منهم بالقوة.إذ أن السيف وحده لم يكن ليشـكل يوما أساسـاً لدولة ، وان الشعب الذي يخضع لحركة قوية قد يقبل بها مؤقتا ، ولكن رفض الشعب لها سيكون سـلبياً و عنيفـاً في المسـتقبل . وهو ما حصل بالفعل فقد كانت المواجهة قائمة على قدم وساق بين أغلب سكان المناطق في الجزيرة العربية و الجيوش السـعودية الوهابية الغازية، وكـان لهـذه المواجهـات العسـكرية المسـتمرة دوراً كبيراً في إفشال الدولة الوهابية الأولى .

و هذا ما ذهب اليه حافظ وهبة ، مستشار الملك عبد العزيز بن ســعود ، حيث قـــال ان الســـبب الأول لســـقوط الدولة السعودية الأولى : أنها كانت مستندة الى القوة العسـكرية أكـثر من اسـتنادها على القلـوب ، و ان الـدعوة لم تتمكن من قلـوب الناس ، و لذلك فان الثورات كانت تنشب من وقت لآخر لطرح الحكم السعودي ، لا سـيما في البلاد البعيـدة عن نجد كعسـير و عمـان.[182] و هو ما ذهب اليه أيضا الـدكتور عبد الله بن عـثيمين

[181] - عبدالرحيم عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ص392-393

[182] - كشك ، محمد جلال :السعوديون والحل الاسلامي ، ص 190-191

الــذي قــال :" كــانت الحــروب من أهم أســباب توسع الدولة السعودية الأولى ، كما كانت السبب الجوهري في نهايتها". [183]

3 - التذبذب بين المقاومة و الولاء للدولة العثمانية

قضى إبــراهيم بن محمد علي باشا على الدولة الســعودية الوهابية الأولى ، و دمر عاصمتها الدرعية
واعتقل و أباد و شتت كثـيراً من قادتها السياسـيين و الـدينيين ، من آل ســعود و آل الشــيخ ، و افتتح بــذلك عهــداً جديــداً من الهيمنة السياسية و العســكرية المباشــرة على نجد ، و لكنه لم يستطع القضاء على الحركة الوهابية التي أخذت تشــكل أرضــية المقاومة للهيمنة المصـــرية العثمانية ، و الـــتي عـــادت لتحقق انتصارات متعددة و تشكل حكومات مستقلة بين الفينة والأخرى ، الا انها لم تســتطع اســتعادة مجــدها الأول في دولتها الثانية ، حيث ظل أمراؤها على درجة أو أخـــرى من التبعية و الـــولاء الظاهر للدولة العثمانية. و بما أن عقيـدة الحركة الوهابية كـانت تعتبر الدولة العثمانية كافرة و مشركة ، وهو ما عبر عنه بوضوح الأمير سعود الكبير بعد احتلال الحجاز ، فان الـولاء و الخضـوع و التبعية لها أصبح يعتبر عملاً مناقضا للإيمـان و التوحيد و لمبـادئ الحركة الوهابية الــتي كــانت تكفر من يقف على الحيــاد تجاهها

[183] - ابن عثيمين:تاريخ المملكة العربية السعودية ، ص 177

فكيف بمن يحاربها و يجتـــاح عاصـــمتها ويأسر و يقتل قادتها و يبطش برجالهـــا؟ ومن هنا فقد انقســـمت حـــول الموقف من الدولة العثمانية بين معـارض و مـوالٍ ، أصـيبت بأزمة خطـيرة انعكست على علاقاتها الداخلية إذ أخذ المعارضـــون يكفـــرون المـوالين و المتعـاونين مع القـوات المصـرية و الدولة العثمانية "الكـافرة". فقد أفـتى الشـيخ سـليمان بن عبد الله آل الشـيخ والشـــيخ حمد بن عـــتيق بكفر و ردة من أعـــان جيـــوش "المشـركين" الـتي هجمت على أراضي نجـد.[184] و قـال الشـيخ سليمان:" إن الإنسان إذا أظهر للمشـركين الموافقة على دينهم خوفا منهم و مداراة لهم و مداهنة لدفع شرهم فإنه كـافر مثلهم ، و ان كـــان يكـــره دينهم و يبغضـــهم و يحب "الإســـلام والمسـلمين"، هـذا إذا لم يقع منه الا ذلك ، فكيف إذا كـان في دار منعة و اسـتدعى بهم و دخل في طـاعتهم و أظهر الموافقة على دينهم الباطل و أعانهم عليه بالنصـرة و المـال ، و والاهم و قطع الموالاة بينه و بين "المسلمين"، و صار من جنـود القبـاب و الشـــرك و أهلها بعد ما كـــان من جنـــود الإخلاص و التوحيد و أهله؟ فان هذا لا يشك "مسلم" أنه كافر من أشد الناس عـداوة لله و رسوله (ص) و لا يستثنى منه ذلك الا المكره ، و هو الـذي يستولي عليه "المشركون" فيقولون له : اكفر أو افعل كذا و إلا فعلنا بك وقتلناك ، أو يأخذونه فيعذبونه حتى يـوافقهم فيجـوز له الموافقة باللســـان مع طمأنينة القلب و الإيمـــان. و قد أجمع العلمـاء على أن من تكلم بـالكفر هـازلاً أنه يكفر ، فكيف بمن

---

184 - قال الشيخ حمد بن عتيق :انقسم الناس إلى أقسام أحـدها : ناصر لدين الإسلام وساعٍ في ذلك بكل جهده وهم القليلـون عـدداً الأعظمـون عند الله أجراً . القسم الثاني : خاذل لأهل الإسلام تارك لمعونتهم. القسم الثالث : خارج عن شريعة الإسلام بمظـاهرة حـزب المشـركين ومناصـحتهم. (مجموعة التوحيد 256ـ257).

وقـال أيضـا: ...الوجه الثـاني : أن يـوافقهم مع مخالفته لهم في البـاطن وهو ليس في ســـلطانهم، وإنما حمله على ذلك إما طمع في رئاسة أو مـــال أو مشحة بوطن أو عيال أو خـوف مما يحـدث في المـآل، فإنه في هـذه الحالة يكون مرتداً ولاتنفعه كراهته لهم في البـاطن وهو ممن قـال الله فيهم "ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهـدي القـوم الكـافرين" . (سبيل النجاة ـ مجموعة التوحيد ، ص 296)

أظهر الكفر خوفــاً و طمعــاً في الــدنيا ".[185] وطــالب الشــيخ سليمان بمقاطعة "المشركين" اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا.

وقال: " قد نهى الله سبحانه عن موالاة الكفار وشدد في ذلك ، وأخـــبر النـــبي (ص) أن من أحب قوما حشر معهم. ويفهم مما ذكرنا أمــور من فعلها تعــرض للوعيد بمســيس النــار ، أحــدها: التولي العام ، الثاني: المودة والمحبة الخاصة ، الثالث: الركــون القليل ، الرابع : مـداهنتهم ومـداراتهم، الخـامس: طـاعتهم فيما يتولــون وفيما يشــيرون ، الســادس: تقــريبهم في الجلــوس والدخول على أمراء الإسلام ، السـابع: مشـاورتهم في الأمـور ، الثـامن اسـتعمالهم في أمر من أمـور المسـلمين أي أمر كـان إمارة أو عمالة أو كتابة أو غير ذلك ، التاسع: اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين ، العاشر: مجالستهم ومزاورتهم والـدخول عليهم ، الحادي عشر: البشاشة لهم والطلاقة ، الثـاني عشـر: الإكـرام العــام ، الثــالث عشــر: اســتئمانهم وقد خــونهم الله ، الرابع عشــر:معــاونتهم في أمــورهم ولو بشــيء قليل كــبري القلم وتقريب الـدواة ليكتبـوا ظلمهم ، الخـامس عشـر: مناصـحتهم ، الســادس عشــر:اتبــاع أهــوائهم ، الســابع عشــر: مصــاحبتهم ومعاشــرتهم ، الثــامن عشــر: الرضا بأعمــالهم والتشــبه بهم والتزيي بزيهم ، التاسع عشر: ذكر ما فيه تعظيم لهم كتسميتهم سادات وحكماء كما يقال للطواغيت "السيد فلان" ، العشــرون: السكنة معهم في ديارهم كما قال (ص):" من جامع المشــركين وسكن معهم فانه مثلهم" رواه أبو داود.[186]

و قد اعتبر الشيخ سـليمان بن عبد الله بن الشـيخ من يشـير بكـــفّ "المســـلمين" – أي الوهـــابيين – عن "الكفـــار" – أي المصريين و الأتراك - " من أعظم الموالين المحبين للكفـار من المرتـدين و المنـافقين" و قـال : ينبغي أن تكـون الغلظة على المرتـدين أشد من الكـافر الأصـلي ، لان هـذا عـادى الله على بصـيرة و عـادى رسـوله (ص) بعد ما عـرف الحق ثم أنكـره و

---

[185] - سليمان بن عبد الله بن الشيخ ، الرسالة السابعة في حكم موالاة أهل الإشراك ، مجموعة التوحيد النجدية ، ص 247

[186] - راجع: سليمان بن عبد الله بن الشيخ ، الرسالة السادسة ، مجموعة التوحيد النجدية ، ص 240 –241 راجع أيضا : الرســالة الثامنة ، للشــيخ سـليمان ، في حكم السـفر الى بلاد الشـرك والإقامة فيها للتجـارة وإظهـار علامات النفاق وموالاة الكفار. ص 266

عاداه و العياذ بالله... و ما ظنك بمن يُسِرُّ الى الكفار بـالمودة و يُعلمهم أنه يحبهم ليواصلوه و يكرموه؟".[187]

و كرد فعل على تهاون بعض الوهابيين في علاقته مع الدولة العثمانية و قبوله بالتعـاون معها و التبعية لها ، صـعد الشـيخ عبد الــرحمن بن حسن بن الشــيخ من موقفه تجــاه الدولة العمانية التي اتهما بالشرك و حصر صفة الإسلام و المسلمين على أتباع الدعوة الوهابية ، و اصدر بيانا الى عامة بلدان نجد ، جـاء فيـه:" و بعد فالذي أوجب هذا الكتــاب ، ذكر ما أنعم الله به عليكم من نعمة الإسلام الـذي عـرّفكم به و هـداكم اليه ، و تسـمون به فلا يعني باسم المسلمين الا أنتم (!!!) وما أعطاكم الله تعــالى في هذا الدين من النعم أكـثر من أن تحصـى.. أولها : كـون الـدعوة الى دين الإسلام ما قـام في بيانها و الـدعوة اليها الا رجل واحد (هو محمد بن عبد الوهـاب).. و لا يُعـرف أن أحــدا دعا فيها الى توحيد الله و أنكر الشرك المنافي له ، بل قد ظنوا جــواز ذلك و اسـتحبابه ، و ذلك قد عمت به البلـوى من عبـادة الطـواغيت و القبور و الجن و الأشجار و الأحجار في جميع القرى و الأمصار و البوادي وغيرها...فـرحم الله هـذا الشـيخ الـذي أقامه الله مقـام رسله و أنبيائه في الدعوة الى دينه.

هذا ما نوصيكم به و ندلكم عليه عامة ، و العلماء و الأمـراء خاصة ، فيجب عليكم أن تكونوا صدراً في هذا الـدين (و يقصـد: الوهابية) بالرغبة فيه و الترغيب ، و أن تكونوا سـندا و عونا لمن أمر بالمعروف و نهى عن المنكر (من آل سعود) ".[188]

و عندما قـام محمد علي باشا باعتقـال الأمـير فيصل بن تركي سنة 1253هـ ، و تعيين الأمـير خالد بن سـعود واليـاً على نجد مكانه ، و قف الشــيخ عبد الـــرحمن معلنـــاً : أن مـــوالاة "المشـرك" و الركـون اليه ونصـرته و إعانته باليد أو اللسـان أو المال من الأمور التي تنقض التوحيد.[189] و أخذ يحث على مقاومة

---

[187] - سليمان بن عبد الله بن الشيخ ، الرسالة السادسة ، مجموعة التوحيد النجدية ، ص 242

[188] - ابن بشر:عنوان المجد ، ج2 ص 49

[189] - مجموعة الرسائل والمسائل ، ج4 ص 291

القوات المصرية "المشركة" و الجهاد ضدها حتى مع عدم وجود إمام.[190]

و عندما عاد فيصل بن تركي الى السلطة بعد سقوط خالد ، طلب منه الشيخ عبد الرحمن : " أن يجاهد من أبى أن يلتزم التوحيد و يعرفه ، من البادية والحاضرة ، و خصوصا آل ظفير المشركين الذين يجب جهادهم و دعوتهم الى الله".[191]

وتنفيذاً لتعليمات الشيخ عبد الرحمن و في محاولة لتعزيز الوحدة الداخلية الوهابية و تحصينها عقائدياً ضد الاختراق العثماني ، قام الأمير فيصل بإرسال كتاب الى أهل النواحي ، "يحضهم على التمسك بالتوحيد و الاستقامة عليه" و يقول لهم:" ان أكثر الناس في هذه الأزمنة و قبلها قد وقع منهم ما وقع من أولئك المشركين ، و هم يقرءون القرآن فعموا و صموا عن هذا (التوحيد) و أدلته".[192] و يضيف:" اعلموا أنه قد غلط في هذا طوائف لهم علوم و زهد و ورع و عبادة ، فما حصل لهم من العلم الا القشور ، و قد حرموا لبه و ذوقه ، و قلدوا أسلافا قد ضلوا من قبل و أضلوا كثيرا و ضلوا عن سواء السبيل ، فيا لها من مصيبة ما أعظمها و خسارة ما أكبرها ؟ فلا حول و لا قوة الا بالله. فلا غنى لكم عن تعلم (التوحيد) و حقوقه من فرائض الله و واجباته و أن يكون ذلك أكبر همكم و محصل علمكم ".[193]

أما الشيخ عبد الرحمن فقد اهتم كثيرا في السيطرة الثقافية و السياسية على المساجد و تعيين الأئمة الوهابيين فيها خوفاً

---

[190] - وقد ناقش المستسلمين الذين كانوا يحتجون بعدم وجود إمام ينظم مقاومتهم ، فقال مستنكرا:" بأي كتاب أم بأي حجة أن الجهاد لا يجب إلا مع إمام متبع؟ هذا من الفرية في الدين والعدول عن سبيل المؤمنين ، والأدلة على بطلان هذا القول أشهر من أن تذكر. من ذلك عموم الأمر بالجهاد والترغيب فيه ...وكل من قام بالجهاد في سبيل الله فقد أطاع الله وأدى ما فرضه الله ولا يكون الإمام إلا بالجهاد لا أنه لا يكون جهادا إلا بإمام". وقال بعد الاستدلال بقصة أبي بصير عندما كان في نفر يهجم على قريش وقوافلهم واستقلاله بحربهم : هل قال له رسول الله أخطأتم في قتال قريش لأنكم لستم مع إمام !. الدرر السنية ، ج 7 ص 97

[191] - ابن سحمان: منهاج أهل الحق ، ص 19

[192] - ابن بشر: عنوان المجد ، ج2 ص 216 و آل سعود ، فيصل: رسائل أئمة دعوة التوحيد ، ص 101

[193] - ابن بشر: عنوان المجد ، ج2 ص 218

من تســـرب التيـــارات المعتدلة الى القواعد الشـــعبية ، و قد استنكر تنصيب شـيخ حنبلي من أهل الأحسـاء ، إمامـاً في بعض المســـاجد ، من غـــير إذن الإمـــام (ابن ســـعود).[194] فكتب الى الشيخ عبد اللطيف بن مبارك ، ممثله في الأحسـاء ، يقـول:"إن شـــيخنا رحمه الله ، لما تـــبين بهـــذه الـــدعوة الإســـلامية ، وجد العلماء في الأحساء و غيرها لا يعرفون التوحيد من الشرك ، بل قد اتخـــذوا الشـــرك في العبـــادة دينا ، فـــأنكروا دعوته لجهلهم بالتوحيد و معنى (لا إله إلا الله).. ان العلماء ما عرفوا التوحيد و لا عرفوا هذا الشرك ، و لا عالم من علمـاء الأحسـاء أنكر هـذا ، بل قد صار إنكـارهم لإخلاص العبـادة لله وحـده . و من دعا الى الإخلاص كفّـروه و بـدّعوه ، و لا نعلم أحـدا من علمـاء الأحسـاء صدع بهذا الدين و عرفه و عرّفه".[195]

و يبدو ان حركة ثقافية معتدلة نشطت في الأحسـاء بقيـادة الشـيخ الحنبلي محمد بن فـيروز ، حفيد ابن فـيروز الخصم الألد للشـيخ محمد بن عبد الوهـاب ، وامتـدت الى القصـيم و عنـيزة بقيادة الشيخ داود بن جرجيس ، و كانت تـدعو الى الـتريث في تكفير المسلمين ، ونجحت في استقطاب بعض القواعد الوهابية ، حتى أحـدثت شـرخاً عميقـاً دفع البعض الى اعـتزال الجمعة و الجماعة في الأحســــــاء وتكفــــــير " مَن في تلك البلاد من المســلمين" ، يقولــون: أهل الأحســاء يجالســون ابن فــيروز و يخالطونه هو و أمثاله ممن لم يكفر بالطـــــاغوت ولم يصــــرح بتكفير جده الـذي رد دعـوة الشـيخ محمد و لم يقبلها و عاداهـا. قال: ومن لم يصرح بكفره فهو كافر بالله لم يكفر بالطــاغوت ، و من جالسه فهو مثله . و رتبـــوا على هـــاتين المقـــدمتين .. ما يترتب على الردة الصريحة من الأحكام حتى تركوا رد الســلام".[196] مما اضـطر الشـيخ عبد الـرحمن الى شن هجـوم على أهل الاحساء و علمائها والتشكيك بعقيدتهم ، كما جـاء في رسـالة له الى بعض علمــاء الأحســاء:" و أما أهل بلــدكم في الســابق ، و غيرهم ، فهم أشاعرة ، و الأشاعرة أخطأوا في ثلاثة من أصول الدين ، منها : تأويل الصفات.. و أخطئوا أيضا في التوحيد ، و لم

---

[194] - الدرر السنية والأجوبة النجدية ، ج1 ص 319

[195] - المصدر ، ج1 ص 324

[196] - ابن بشر: عنوان المجد ، ج2 ص 269

يعرفــوا من تفســير (لا إله إلا اللــه) الا معناهــا: (القــادر على الاختراع). فإذا كان العلماء في وقتنا هـذا و قبله ، في كثـير من الأمصار ، ما يعرفون من معنى (لا إله إلا الله) الا توحيد الربوبية ، اغتروا بقول بعض العلماء.. و علماء الاحسـاء ما عـادوا شـيخنا رحمه الله ، في مبـدأ دعوته الا من أجل أنهم ظنـوا: أن عبـادة يوسف و العيــــدروس و أمثالهما لا يســـــتفاد بطلانها من كلمة التوحيد".[197]

وقام الأمير فيصل بن تركي بإرسال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الـــرحمن الى الأحســـاء لتكـــريس العقيـــدة الوهابية ، و مناظرة علمائها في أصول الدين والعقائد.[198] و التصـدي لتـأليف كتب حول الموضوع.[199]

و فيما كـان الشـيخ عبد اللطيف يواجه المعتـدلين الـذين يرفضون التكفير بالعموم ، كانت هناك مجموعة أخـرى تنمو في الأحساء بقيـادة عبد العزيز الخطيب ، وتقف على يمين النظـام الوهابي القائم ، وتتهمه بالولاء للحكومة العثمانية "الكـافرة" ، و من ثم تقـــوم بتكفـــيره . و قد حـــاول الشـــيخ عبد اللطيف أن يردعهم عن الخـوض في هـذا الأمر و قـام باتهـامهم بالجهل و

[197] - الدرر السنية والاجوبة النجدية ، ج1 ص 320

[198] - هامش كتاب عنوان المجد ، للمحقق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ،ج 2 ص 278

[199] - قام الشيخ عبد اللطيف بالرد على الشـيخ داود بكتـابين هما : (منهـاج التقـديس في الـرد على داود بن جـرجيس) و(تحفة الطـالب والجليس في الرد على داود بن جرجيس). حيث حاول أن ينفي تهمة التكفير بالعموم التي وجهها ابن جـرجيس للوهابية ، فقـال:" أما القـول بأنا نكفر النـاس عموما ، ونوجب الهجـرة الينا على من قـدر على إظهـار دينه ، وأنا نكفر من لم يكفر ولم يقاتل ، فكل هذا من الكـذب والبهتـان الـذي يصـدون النـاس به عن دين الله ورســـوله ، ســـبحانك هـــذا بهتـــان عظيم". عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ ، ص 174

كما حاول ان يلطف من أقوال جـده ، فقـال:" ان الشـيخ محمد رحمه الله كـان من أعظم النـاس توقفا وإحجاما عن إطلاق الكفر ، حـتى انه لم يجـزم بتكفير الجاهل الذي يدعوا غير الله من أهل القبور ، أو غيرهم ، اذا لم يتيسر له من ينصـحه ويبلغه الحجة الـتي يكفر مرتكبهـا.. فانه لا يكفر الا من كفـره الله ورســوله وأجمعت الأمة على كفــره ، كمن اتخذ الآلهة والأنــداد لــرب العــالمين". عبد العزيز بن محمد العبد اللطيــف: دعــاوى المنــاوئين لــدعوة الشيخ ، ص 173

اتباع الخوارج. وأرسل الى أحدهم الرسالة التالية :" بلغنا عنهم : تكفير أئمة المسلمين بمكاتبة الملوك المصريين ، بل كفروا من خالط من كاتبهم من مشايخ المسلمين.. وبلغنا عنكم نحو من هذا ، وخضتم في مسائل من هذا الباب ، كالكلام في الموالاة والمعادة والمصالحة والمكاتبات وبذل الأموال والهدايا ونحو ذلك.

والكلام في هذا الباب يتوقف على معرفة ما قدمناه ومعرفة أصول عامة كلية ، لا يجوز الكلام في هذا الباب وفي غيره لمن جهلها وأعرض عنها وعن تفاصيلها ، فان الإجمال والإطلاق وعدم العلم بمعرفة مواقع الخطاب وتفاصيله ، يحصل به من اللبس والخطأ وعدم الفقه عن الله ما يفسد الأديان ويشتت الأذهان ويحول بينها وبين فهم السنة والقرآن.

وأما التكفير بهذه الأمور التي ظننتموها من مكفرات أهل الإسلام ، فهذا مذهب الحرورية المارقين الخارجين على علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ومن معه من الصحابة.

وقد أسأت في قولك: إن ما أنكره شيخنا الوالد من تكفيركم أهل الحق واعتقاد إصابتكم ، انه لم يصدر منكم. وتذكر أن إخوانك من أهل النقيع يجادلونك وينازعونك في شأننا ، وانهم ينسبونا الى السكوت عن بعض الأمور. وأنت تعرف انهم يذكرون هذا غالبا ، على سبيل القدح في العقيدة والطعن في الطريقة ، وان لم يصرحوا بالتكفير فقد حاموا حول الحمى" .[200]

كما حاول الشيخ عبد اللطيف أن يفسر معنى الولاء والبراء ، بما لا يخرج آل سعود من (الدين) بسبب تعاونهم مع العثمانيين ، فقال موجها حديثه للوهابيين المتطرفين المكفرين لهم: " قد بلغني أنكم تأولتم قوله تعالى في سورة محمد : (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما أنزل الله سنطيعكم في بعض الأمر) على بعض ما يجري من أمراء الوقت من مكاتبة أو مصالحة أو هدنة لبعض رؤساء الضالين **والملوك المشركين** ، ولم تنظروا لأول الآية وهو قوله: (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى) ولم تفقهوا المراد من هذه الطاعة ، و لا المراد من الأمر ، المعروف المذكور في هذه الآية

---

[200] - الدرر السنية والأجوبة النجدية ، ج1 ص 465

الكريمة ، و في قصة صــلح الحديبية و ما طلب المشــركون و اشترطوه".[201]

و برر الشيخ عبد اللطيف في رسالة أخرى حالة العجز عن إظهار العداوة "للمشركين" ، و ممارسة التقية مع "الكفـار" . و حاول ان يجد لها العذر ، فقال لمن سأله عن حكم من كـان في سـلطان "المشـركين" ، و عــرف التوحيد و عمل به و لكن ما عـاداهم و لا فـارق أوطـانهم: "إن هـذا السـؤال صـدر عن عـدم تعقل لصـورة الأمر والمعـنى المقصـود من التوحيد والعمل به ، لأنه لا يتصــــور أنه يعـــــرف التوحيد و يعمل به و لا يعـــــادي المشركين. و من لم يعادهم لا يقال لـه: (عـرف التوحيد و عمل بــه). و الســؤال متنــاقض .. و أظن مقصــودك : من لم يظهر العداوة ولم يفارق. و مسألة إظهار العـداوة غـير مسـألة وجـود العداوة ، فالأول يعذر به مع العجز والخوف".[202]

و فــرق الشــيخ عبد اللطيف بين الكفر العملي و الكفر الاعتقادي ، فقال : بأن الحكم بغير ما أنـزل الله و تـرك الصـلاة كفر عمل لا كفر اعتقاد ، و قد ســمى الله من عمل ببعض كتابه وتــرك العمل ببعض مؤمنا بما عمل وكــافرا بما تــرك العمل به (أفتؤمنــون ببعض الكتــاب وتكفــرون ببعض) فالإيمــان العملي يضــاده الكفر العملي ، و الإيمــان الاعتقــادي يضــاده الكفر الاعتقادي ، و كذلك الشـرك: شـركان ، شـرك ينقل عن الملة و هو الشـرك الأكـبر ، و شـرك لا ينقل عن الملة و هو الشـرك الأصغر.. وانه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر أن يسمى كـافرا ، وان كـان ما قـام به كفـر. و أما الشـعبة نفسـها فيطلق عليها اسم الكفر ، و لكنه لا يســــــــــتحق اسم الكفر على الإطلاق".[203]

وهكذا تذبـذبت الحركة الوهابية في الدولة السـعودية الثانية بين المعارضة والمقاومة للدولة العثمانية و تكفــير من يتعــاون معها او يخضع لها باعتبارها دولة كـــافرة ، و بين الـــولاء لها و الحكم باســـمها و تـــبرير ذلك باسم التقية والعجز عن إظهـــار العداوة للمشركين ، مما أفقد الحركة الوهابية صـدقيتها و مـزق

---

[201] - المصدر ، ج1 ص 478

[202] - ابن سحمان: منهاج أهل الحق ، ص 29

[203] - الدرر السنية والأجوبة النجدية ، ج1 ص 482 و484

وحــدتها و أبعد الجمــاهير عنها و أدى الى انهيارها و تلاشــيها بعد حين.

4 - **الصراع الداخلي على السلطة**

نتيجة لغياب الشورى و غياب نظـام واضح لتبـادل السـلطة اعتماداً على إرادة الأمة ، تَمَّ الخضـوع للنظـام البـدوي الـوراثي القـائم ، ولكن هــذا تــرك مصــير الدولة الوهابية السـعودية في مهب الريح و وضعها عرضة للانقسام و الصــراعات الداخلية بين الأمراء.

من المعـروف ان الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب أخذ البيعة لولاية العهد للأمير عبد العزيز في حياة والده محمد بن سـعود ، ثم أخذ البيعة لولاية العهد لابنه سعود في حيـاة أبيه عبد العزيـز. و عندما تـوفي سـعود احتل ابنه عبد الله مكانه بالوراثة ، و لكنه لم يسلم من منافسة أخيه و عمه عبد الله.

و بعد أن سقطت الدولة السـعودية الأولى.. و اخذ إبـراهيم باشا معظم رجال آل سعود أسارى الى مصـر.. انـبرى رجل من آل معمر (حكــام العيينة ســابقا) و هو (محمد بن مشــاري بن معمــر) ســنة 1234 لتنظيم المقاومة ضد القــوات المصــرية و نَصَّب نفسه إماماً للحركة الوهابية .[204] ولكن الأمير مشـاري بن سعود بن عبد العزيز ، استطاع الهروب من مصر و جاء الى نجد و أخذ يطالب ابن معمر بالزعامة ، فتنازل له هـذا في البداية ثم قتله .[205]

ولم يمض طويل وقت حـتى انـبرى تـركي بن عبد الله بن محمد بن سـعود في عـام 1236 ليعيد حكم آل سـعود و ينشئ

---

[204] - ابن بشر: عنوان المجد ، ج 1 ص 442

[205] - المصدر ، ج 1 ص 442

دولتهم الثانية ، فقتل من أجل ذلك أمـــير بلـــدة (ضـــرما) ناصر السياري ، في المسجد ، و اسـتولي على البلـدة ، ثم أخذ البيعة من أهلها بالقوة ، و احتل الريـاض و قتل محمد ابن معمر.[206] و اسـتطاع أن يفـرض هيمنته على نجد كلها بحلـول عـام 1241. وقد استند تـركي بن عبد الله ، في تثـبيت شـرعيته ، الى الفكر القــدري ، فقــال في بيــان الى عامة المســلمين: (إن الله ولاه أمرهم).[207]

و بـــالرغم من تمتع الإمـــام تـــركي بن عبد الله ، بجميع المواصفات الشرعية ، حسب الفكر السياسي الوهـابي ، و تأييد رجـال الـدين من آل الشـيخ له ، الا أن ذلك لم يمنع من اغتياله سنة 1249 ، على يد ابن أخته (مشاري بن عبد الرحمن بن مشاري بن سعود) الذي كمن له عند باب المسـجد وقتله غـدرا بعد خروجه من صلاة الجمعة ، و استولى على السلطة عنوة .

و مع أن مقتل الامام تركي أثار غضباً وامتعاضاً كبيرين لدى آل الشـيخ الـذين احتجـوا بالاعتصـام في المسـجد [208]، الا انهم سلّموا للأمر الواقع فيما بعد ، و بايعوا الأمـير الجديد مشـاري[209] ، فالســــلطة أولاً وأخـــــيراً هي لمن غلب ، و لا دور للأمة في انتخاب الامام ولا رأي حتى لعلماء الدين.

و لولا تمرد فيصل ابن تركي ، وعـدم استسـلامه للانقلاب ، لظل الأمـير مشـاري مسـتمراً في الحكم الى أن يشـاء الله ، و لربما ورّث السلطة الى أولاده و أحفاده. ولكن فيصل بن تـركي اسـتطاع بعد بضـعة شـهور أن ينتقم لوالـده ويقتل مشـاري ، و يستعيد السـلطة منـه. وما كـان من آل الشـيخ هنا الا أن عـادوا لنقل ولائهم الى المنتصر الجديد (فيصل).

و بعد ثلاث سنوات ، قرر والي مصر محمد علي باشا إعادة الحكم المصري الى نجد ، بواسطة أمير منافس من آل سـعود ، هـو: (خالد بن سـعود بن عبد العزيز بن محمد بن سـعود) الــذي

---

[206] - ابن بشر:عنوان المجد ، ج2 ص 28

[207] - المصدر ، ج2 ص 113

[208] - لما علم آل الشيخ بعملية الاغتيال ، جلسوا في المسجد فلم يخرجـوا منه حتى أرسل اليهم مشاري يدعوهم ، فأبوا أن يأتوا اليه الا بالأمان ، فكتب لهم بالأمان ، فـأتوا اليه وطلب منهم المبايعة ، فبـايعوه. كما يقـول ابن بشر في عنوان المجد ، ج2 ص 100

[209] - المصدر ، ج2 ص 100

استاء من استيلاء أبناء عمه على السلطة ، وكـان لا يـزال يتمتع ببعض الأنصــار الــذين لم يرضــوا عن انتقــال الإمامة من أولاد سـعود الكبـير الى أولاد عبد الله بن محمد [210]. فاسـتعان محمد علي بخالد سنة 1253هـ و أرسله الى الرياض مع قوة عسكرية مصرية ، وعندما اقترب الجيش المصري من الرياض اضطربت الأمـور على فيصل فهـرب منها ، وهـرب معه آل الشـيخ ، ولكن القوات المصـرية اعتقلت فيصـلاً وأعادته مـرة ثانية الى مصـر. وفي حين لم يجد معظم أهل نجد غضاضة بحكم خالد ، لأنه من آل سعود وهو الأقوى ، امتنع بعض أهلها من الخضوع له بسـبب تعاونه مع المصــريين "المشــركين" وخوفــاً من عــودة الحكم التركي المباشر.[211] وهو ما يشير الى قبولهم لأي حاكم قاهر ، و رفضهم للحكم التركي الذي كانوا يعتبرونه "كافراً ومشركاً".[212]

و بمجرد انسحاب القوات المصرية عام 1257 قام عبد الله بن ثنيان باقتحام الرياض و تنصيب نفسه حاكمـاً جديـداً عليها . وعندما حاول خالد أن يقـاوم ، قـال له مستشـاروه من رؤسـاء أهل الرياض :"ان هـذا ملك انفسخ منك و تـولاه غـيرك ، والأمر بيد الله ، ثم بيد من اسـتولى عليــه".[213] وهكــذا استســلم خالد دون مقاومة ، و أصبح عبد الله بن ثنيان أمـيراً ، فقـدم عليه آل الشيخ وبايعوه ، و تتابعت الوفود على بيعته.[214]

ولم تمض سنتان ، حتى هرب فيصل بن تركي ، من سجنه في مصر عام 1259 ، ليستعيد السـلطة بـالقوة من عبد الله ، ويلقي به في السـجن حـتى المـوت .[215] ورغم أن عبد الله كـان

---

[210] - الحصين ، أحمد: دعوة الامام .. سلفية لا وهابية ص 231

[211] - كتب أهل (الحوطة) الى خالد بن سعود :" ان كان الأمر لك ، ولا يأتينا في ناحيتنا عسكر من الـترك فنحن رعايا لكم ، وان كـان الأمر للـترك فنحن لهم محاربون".(ابن بشر: عنوان المجد ، ج2 ص 147)

[212] -"توحدت القرى النجدية وقامت ضده ثورات بزعامة عبد الله بن ثنيـان بن سعود ، تريد التحرر من حكم الأتراك والمصريين ، وتبغي المحافظة على الــدين الاســلامي الصــحيح على طريقة الامــام محمد بن عبد الوهــاب ". الحصين ، أحمد: دعوة الامام .. سلفية لا وهابية ، ص 233

[213] - ابن بشر: عنوان المجد ، ج2 ص 199

[214] - الحصين ، أحمد: دعوة الامام .. سلفية لا وهابية ، ص 233

[215] - ابن بشر: عنوان المجد ، ج2 ص 208

يحظى بـدعم آل الشـيخ ويتمتع بكامل الشـرعية ، الا ان منطق الغلبة للأقوى .. كتب تلك النهاية المأساوية لعبد الله بن ثنيان.

و ما أن توفي فيصل عام 1282هـ حتى عادت الصراعات الداخلية لتشتعل مـرة أخـرى بين أبنائه الأربعة عبد الله وسـعود ومحمد وعبد الرحمن والد الملك عبد العزيز ، حيث خرج سـعود على أخيه عبد الله بعد سـنة من توليه للحكم ، و دخل معه في معركة ، ثم هـرب الى البحـرين الـتي كـانت خاضـعة لسـيطرة الإنجلـيز ، ثم عـاد بـدعم منهم ومن أمـير البحـرين وسـلطان مسقط ، ليهاجم الأحساء و يعتقل أخـاه محمد الـذي كـان يقـود جيشا لمحاربته ، مما ألقى الـذعر في قلب أخيه عبد الله الـذي هرب من الرياض الى الصحراء ، فدخلها سعود عام 1288هـ و أخذ يطارد أخاه هنا و هناك.

و لم يجد عبد الله وهو في تلك الحالة مفراً من الاستعانة بـالقوات العثمانية ، متهمـاً أخـاه بـالثورة ضـدها و بالتعـاون مع الإنجلـــيز ، و أرسل الى والي بغـــداد مـــدحت باشا ، يطلب مســاعدته ، فهب لنجدته بإرســال حملة عســكرية من خمسة آلاف جندي .[216] و هكذا عاد عبد الله بن فيصل الى الريـاض بعد أن هرب منها سعود ، و لكن هـذا لم يلبث الا سـنتين حـتى عـاد مرة أخرى الى الرياض عام 1290هـ ليطـرد أخـاه عبد الله من السلطة.

و عندما توفي سعود عام 1291هـ (1875م) ورثه أخوه عبد الـرحمن فحكم لسـنتين ثم خـرج عليه أخـوه محمد الـذي كـان يكبره سنا ويدعي أحقيته بالحكم ، فـوقعت بينهما معـارك حـتى وافق الاثنان على ان يتولى الحكم أخوهما الأكبر عبد الله ، فعاد هـذا الأخـير من البادية و تـولى السـلطة عـام 1293هــ للمـرة الثالثة.

و لكن أبناء سـعود لم يقبلـوا بهـذه الصـفقة فخرجـوا على عمهم عبد الله عام 1305هـ واحتلوا الريـاض واعتقلـوا عمهم و تولى أحدهم و هو محمد بن سعود السلطة لبعض الوقت.

وهنا استنجد عبد الله ، من سجنه ، بـأمير حائل (الوهـابي): محمد بن الرشيد ، فقدم الرياض واحتلها و أطلق سراحه و قتل محمد بن ســعود ، ولكنه لم يعد الســـلطة الى عبد الله و إنما

---

[216] - الحصين ، أحمد: دعوة الامام .. سلفية لا وهابية ص 235

أخـذه "ضـيفا" الى حائل ، و عــيّن والياً من قبله على الريـاض. وســارعت القبائل النجدية بتقــديم الطاعة لمحمد بن رشــيد. و عنـدما تـوفي عبد الله ، بعيـدا عن السـلطة ، حـاول أخـوه عبد الـرحمن عـام 1308هـــ ان يقـوم بـانقلاب على ابن الرشـيد و يسـتعيد إمارته المفقـودة و لكنه فشل فلجأ الى الكـويت الـتي كانت لا تزال تخضع للحكم العثماني .

و هكــذا انتهى حكم آل ســعود في دولتهم الثانية نتيجة لصراعاتهم الداخلية المريرة القائمة على أساس القـوة و الغلبة ، وفي غياب الشورى أو أي دور للأمة أو لأهل الحل و العقد ، أو أي دستور ينظم طريقة توارث السلطة .[217]

[217] - يقول أحمد الحصين: " ومن الجـدير بالملاحظة أن آل رشـيد اسـتولوا على نجد وقضوا على حكم آل سعود من دون معركة ، وكان من أهم أسباب نجــاحهم النزاعــات الداخلية والحــروب الدامية بين أفــراد العائلة الواحــدة الطـامعين بالامامة ، مما أضـعف ولاء السـكان للـدعوة ورجالها". (دعـوة الامام .. سلفية لا وهابية ص 237)

الفصل الرابع

الدولة السعودية الوهابية الثالثة و الشورى

1- الاعتماد على الدعم الخارجي

إذا كـانت الدولة السـعودية الوهابية الأولى قد بلغت أوجها و طبقت مبادئها و أهــدافها على يــدي الأمــير ســعود الكبــير ، و سـقطت أمـام قـوة خارجية هي القـوة المصـرية العثمانية الـتي احتلت عاصـمتها الدرعية و أسـرت أميرها عبد الله بن سـعود و أعدمته ، فان الدولة السعودية الثالثة الـتي رفعت لـواء الوهابية و اســتعانت بها لترســيخ أقــدامها و مد ســلطانها على نجد و الأحســاء و حائل و الحجــاز ، هي الــتي انقلبت على الحركة الوهابية المتمثلة في (الإخــوان) و قضت عليهم ، و ذلك بســبب طبيعة العلاقة الاســتبدادية بين النظــام الســعودي و الحركة الوهابية ، و بـالطبع بينهما وبين عامة أبنـاء الشـعب . وإذا كـان النظـام السـعودي الأول قد ولد من رحم الحركة الوهابية ، فـان النظام الأخير قد ولد خارج رحمها واعتماداً على قوة أجنبية هي بريطانيا الـتي دفعت بعبد العزيز بن سـعود الى احتلال الريـاض والانقلاب على الدولة العثمانية.

وقد ابتدأت علاقة الملك عبد العزيز بن سعود مع بريطانيا في الكويت ، عندما كان يعيش فيها لاجئاً مع أبيه (عبد الــرحمن بن فيصل بن سـعود) آخر إمـام في الدولة السـعودية الثانية ، و ذلك عندما تمـرد حـاكم الكـويت (الشـيخ مبـارك الصـباح) على الدولة العثمانية و تحالف مع بريطانيا في بداية القرن العشــرين ، فأوعزت تركيا لأحد ولاتها وهو أمير حائل عبد العزيز بن رشـيد ، بالاسـتيلاء على الكـويت و تـأديب أميرها المتمـرد . وهنا قـام مبارك ضمن خطته لمواجهة أمير حائل ، بالاستعانة بابن سعود

الـذي كـان له من العمر يـوم ذاك حـوالي عشـرين عاما ، فقـاد كتيبة كويتية لاحتلال الرياض في ذي القعـدة 1318هــ - مـارس 1901 ، ولكنه مني بهزيمة منكرة اضطر إثرها للانسحاب ، فيما أخذت قوات ابن الرشيد تلاحقه حـتى أسـوار الكـويت ، ولم ينجُ من تلك القوات إلا عندما أوقفتها المدافع البريطانية .

و تعلم عبد العزيز من دفاع بوارج بريطانيا عن ابن الصباح وتثبيته على عرشه في الكـــويت و أبطالها لمفعـــول الفرمـــان العثماني ، درسـاً مهمـاً أقنعه بأهمية الاعتمـاد على بريطانيا في أية مواجهة مع الدولة العثمانية و حلفائها من آل الرشـيد ، وعـاد من العام القادم مع عصابة صغيرة من أتباعه و نجح في اقتحـام قصر الإمارة في الرياض في الأول من شـوال عـام 1319هــ - الخامس عشر من يناير عـام 1902م و قتل الأمـير بن عجلان ، عامل ابن الرشيد .

وكانت عملية استيلاء عبد العزيز بن سعود على الرياض حلقة من سلســـلة طويلة من الصـــراع على الســـلطة داخل الحركة الوهابية ، بعيداً عن إرادة الشعب ، و اعتمادا على منطق القــوة والقهر والغلبة. ومع ان الاستيلاء على الرياض بتلك الصورة كان يعتـــبر نوعا من التمـــرد والخـــروج على الســـلطة الشـــرعية (العثمانية) التي كان يعترف بها السعوديون في ذلك الوقت ، الا ان ابن سعود أعلن منذ اليوم الأول لاحتلاله للرياض بأنه سيحكم باسم السلطان العثماني ، و أعلم حاكمَ البصرة أنه يعتــبر نفسه والياً من ولاته.[218]

ولكن العملية في الواقع لم تكن بعيدة عن أعين بريطانيا و دعم حليفها أمير الكويت . إذ يقول مؤرخ الكويت المعاصر لتلك الفترة عبد العزيز الرشيد : إن الشيخ مبـارك الصـباح قـدم لابن سعود دعما اقتصادياً وعسكرياً حيوياً ، خاصة عنـدما حـاول ابن

---

[218] - وكــذلك فعل أبــوه الامــام عبد الــرحمن ، الــذي كتب في 5 صــفر 1320هــ عند خروجه من الكــويت ، كتابا الى الســيد رجب ، نقيب أشــراف البصــرة ، يــبرر فيه عملية الخــروج على ابن رشــيد ، ويؤكد فيه "اننا خــدام محسوبون على الدولة العليا. وانه لما صار علينا ما صار من غدر ابن الرشيد وخيانته لم نلجأ الى أحد إلا الله تعالى ثم الى عدالة أمير المؤمــنين أدام الله مجــده.. ونحن في كل مكــان وحــال من الأحــوال لا نــزال بحــول الله نــؤدي الخدمات لحضرة أمير المؤمنين بــاذلين الجد والاجتهــاد فيما يحصل به رضــاه منقادين الى أوامر الدولة العلية". الرشيد ، عبد العزيز ، تـاريخ الكـويت ، ص 179

الرشيد مهاجمة الرياض و استعادة سـلطته فيها في أوائل سـنة 1320هـ حيث هبَّ مبارك لنجدة ابن سـعود و أمر بشـحن جملة من السفن الكويتية أطعمة و ذخيرة ، و أصدر أمره الى الجيش بالمسير الى الريـاض لينقل منها ما يحتاجه[219]." وكـان مبـارك ، فوق ذلك ، يرسم الخطط الحربية له و هو في مدينته ، فانتصـار ابن سعود إذاً على ابن الرشيد ، هو انتصار لمبارك على خصـمه ، و تنفيذ لخططه التي رسمها".[220]

---

219 - المصدر ، ص 182

220 - المصدر ، ص 175

وفي ذلك الوقت كانت بريطانيا تعمل جاهـدة على فصل إقليم الأحساء عن الدولة العثمانية ، و إلحاقه بمشـيخات الخليج الخاضـعة للحماية البريطانية ، و قد بـذلت عـدة محـاولات مع أهـالي الأحسـاء لـدفعهم للتمـرد و الاسـتقلال وطلب الحماية البريطانيـة.[221] ولكنها بـاءت بالفشل مما دفعها لإعطـاء الضـوء الأخضر لابن سـعود لاحتلال الأحسـاء. [222] وقد قـام ابن سـعود بهذه المهمة في أكتوبر سنة 1913 في الوقت الذي كانت تركيا

---

[221] - " وكانت المحاولة الأولى عام 1899 عندما زار الممثل البريطاني في البحرين ، منصور باشا بن جمعة ، وعرض عليه نيابة عن بريطانيا المسـاعدة على الاسـتقلال وتقـديم الحماية البريطانية ضد أي إجـراء عسـكري تتخـذه الدولة التركيـة. ولكن منصـور باشا بـوازع من الحمية الدينية ووفـاءً للدولة الاسـلامية رفض العـرض البريطـاني جملة وتفصـيلا. وقد نمى الى علم السلطان عبد الحميد أمر هذه المحاولة ورفض ابن جمعة قبولها فـأنعم عليه برتبة الباشوية.

أما المحاولة الثانية فقد كانت عام 1905 مع حسين النصر عمـدة (سـيهات) وقد رفض النصر العـرض البريطـاني من جانبه ، ولكنه أحاله على منصـور باشا بن جمعة الذي أكد رفضه للمرة الثانية.

وفي سـنة 1907 تـولى المحاولة المقيم البريطـاني في الخليج المسـتر برسي كوكس الذي نزل ضيفا على منصور باشا في قصره المسـمى (بقصر الدرويشـية) بـالقطيف وطلب منه الموافقة على تقـديم مسـاعدة بريطانية للاستقلال بالأحساء دون التقيد بمعاهدة حماية بريطانية ، ولكن منصـور باشا أصر على أن شعوره الديني وحده يمنعه من التنكر للدولة الاسلامية ، وليس الحاجة للمعونة العسـكرية أو الحماية ، ولما أعيت بريطانيا الحيلة في الحصول على واجهـات وطنية لتـبرير تـدخلها المباشر في سـاحل الأحسـاء ، أرسلت سفينة حربية عـام 1908 الى رأس تنـورة بـالقطيف فركـزت علمها البريطاني هناك . ولكن ما كاد نبأ ذلك يصل الى مسامع أهل (صـفوى) حـتى بادروا الى انزال العلم البريطـاني وتمزيقه وتحطيم سـاريته ".ناصر الفـرج ، قيام العرش السعودي ، ص 15

[222] - ذكر بنوا ميشان: ان عبد العزيز أجرى اتصالات مع مبارك الصباح عام 1911 طلب منه جس نبض أصـدقائه الانجلـيز في امكانية احتلال الأحسـاء فرحبت بريطانيا بذلك .ناصر الفـرج ، قيـام العـرش السـعودي ، ص 27 وقد أكدت الوثـائق المحفوظة في دار الوثـائق البريطانيـة: ان بريطانيا هي الـتي طلبت من عبد العزيز ابن السـعود احتلال الأحسـاء ، حيث ورد في المجلد 2139 ما نصه:" وردت الى لندن برقية من نـائب الملك في الهند جـاء فيها ، يطلب من ابن السعود تعاونه في طرد الأتراك من الأحسـاء والقطيف ، وفي مقابل ذلك تعقـدون معه معاهـدة يعـترف فيها باسـتقلاله حاكما على نجد والأحساء مع ضمان عدم الاعتداء عليه من ناحية البحر". ناصر الفـرج ، قيـام العرش السعودي ، ص 35

تواجه زحف البلغار الى الأستانة و الصرب الى سالونيك ، و استيلاء الطليان على ليبيا.

ورغم أن ابن سعود تظاهر بعد احتلال الأحساء بالبقاء على ولائه للدولة العثمانية ، الا انه سرعان ما كشف عن انحيازه ضدها الى جانب بريطانيا عند اشتعال الحرب العالمية الأولى [223]، حيث أخذ يشارك في اجتماعات البصرة و الكويت و المحمرة التي كان يعقدها مبارك و خزعل و طالب النقيب ، تحت إشراف عملاء المخابرات البريطانية ، و حاول ان يجر عجمي السعدون زعيم عشائر المنتفك في جنوب العراق الى جانب بريطانيا و التعاون معها ضد الدولة العثمانية.[224] و قد ذكر مستشار عبد العزيز ، حافظ وهبة في كتابه (خمسون عاما في جزيرة العرب) : ان عبد العزيز عندما زار الكويت عام 1916

[223] - وجاء في الوثائق البريطانية المجلد رقم 2140 ما نصه:" في 5 اكتوبر 1914 وجهت وزارة الهند رسالة الى النقيب شكسبير بأن عليه ان يسافر بأسرع فرصة ممكنة ويتصل بابن السعود في الحال ، ويستخدم نفوذه للوصول الى هدفين ، أولهما: منع وقوع اضطرابات بين الأوساط العربية نتيجة للاجراءات التي ستقوم بريطانيا باتخاذها في الخليج والأراضي العربية التي تقع تحت النفوذ التركي ، وثانيهما: التأكد بأن لا يقدم العرب مساعدة للأتراك اذا ما قامت الحرب بينهم وبين بريطانيا.

وفي 2يناير 1915 بعث نائب الملك في الهند برقية الى وزارة الهند تعرب عن موقف ابن السعود ، فقد وصل الى المقيم البريطاني في الخليج يوم 31 ديسمبر 1914 رد من ابن السعود يعلن فيه انه في جانب بريطانيا وان من أهم أهدافه تحرير البصرة من حكم الترك"

وجاء في الوثيقة المحفوظة في المجلد 2479 بدار الوثائق البريطانية ما نصه:" ان الأخبار الواردة من ابن السعود تقول انه في طريقه لمهاجمة ابن الرشيد ويأمل ان يتغلب عليه في آخر يناير 1915 ، وسيبقى شكسبير معه ، والضمانات التي اعطيت لابن السعود كانت مشروطة بتعاونه مع شيخ الكويت والمحمرة لاحتلال البصرة. وفي حال فشلهم في ذلك يعملون على منع الامدادات التركية من الوصول الى البصرة".

وتقول مس بيل في كتابها (فصول من تاريخ العراق القريب):" أثبتت الصداقة الراسخة بيننا وبين أمير نجد أنها شيء لا يُثمَّن". ناصر الفرج ، قيام العرش السعودي ، ص 36

[224] - ذكرت المس بيل في كتابها (فصول من تاريخ العراق القريب) ان ابن سعود كتب الى عجمي السعدون يحرضه على الأتراك ويدعوه للانضمام الى الانجليز ، وقد أجابه السعدون بكتاب رفض فيه دعوته وأكد له سعيه من أجل حماية البلاد الاسلامية من دنس الكافرين . ناصر الفرج ، قيام العرش السعودي ، ص 32

اجتمع بكبــار أهلها وكــان حديثه معهم كله تشــديد النكــير على الأتراك والحطّ من شـأنهم والتنويه بأنه لو كـان في بدنه قطـرة دم تميل الى الأتراك لبذل كل وسيلة لإخراجها من جسمه.[225]

قبول الحماية البريطانية

و إضافة الى ذلك قام عبد العزيز بن سعود بتوقيع معاهدة حماية مع بريطانيا ، هي **(معاهدة دارين)** التي وقعها في 26 ديسمبر 1915 و التي اعـترف بموجبها باتبـاع نصـائح بريطانيا و بحقها في الإشراف على علاقاته الخارجية و عدم إقامة علاقـات مع أية دولة الا بعد الحصــول على موافقة الحكومة البريطانية ، و الاعـــتراف بالهيمنة الاســـتعمارية البريطانية على الإمـــارات المحتلة في الخليج ، في مقابل الاعــــتراف به من قبل بريطانيا وبضمان الحكم له ولذريته من بعده.

وقد جاء في البند الأول من المعاهدة: "ان الحكومة البريطانية تعـترف وتقبل بـأن نجـدا والأحسـاء والقطيف وجبيل وملحقاتها الـتي تعين هنا والمـرافئ التابعة لها على سـواحل خليج العجم ، كل هذه المقاطعات هي تابعة للأمير ابن سعود وآبائه من قبل ، وهي تعترف بـابن سـعود حاكما مسـتقل على هـذه الأراضي ، و رئيسا مطلقا على جميع القبائل الموجودة فيها ، وتعترف لأولاده وأعقابه الــوارثين من بعــده على ان يكــون خليفته منتخبــاً من الأمـــير الحـــاكم ، وان لا يكـــون مخاصـــما لإنجلـــترا بوجه من الوجوه".

وجاء في البند الثالث منها:" يتعهد ابن سعود ان يمتنع عن كل مخـــابرة او اتفـــاق او معاهـــدة مع أية حكومة أو دولة أجنبية ، وعلاوة على ذلك فانه يتعهد بـــإعلام الحكومة البريطانية عن كل تعرض أو تجاوز يقع من قبل حكومة أخرى على أراضيه".

وجــاء في البند الرابــع:" يتعهد ابن سـعود بصـورة قطعية ان لا يتخلى ولا يــبيع ولا يــرهن ، ولا بصــورة من الصــور يقبل بــترك قطعة أو التخلي عن الأراضي التي ذكرت آنفا ، ولا يمنح امتيـازا

---

[225] - المصدر ، ص 33

في تلك الأراضي لدولة أجنبية أو لتبعة دولة أجنبية ، دون رضا الحكومة البريطانية ، وانه يتبع نصائحها التي لا تضر بمصالحه".
وجاء في البند السادس:" يتعهد ابن سعود –كما تعهد والــده من قبل – بــأن يمتنع عن كل تجــاوز أو تــدخل في أرض الكــويت والبحرين وأراضي مشايخ قطر وعمان وسواحلها وكل المشـايخ الموجودة تحت حماية إنجلترا والذين لهم معاهدات معها".[226]

وتنفيذا لهذه المعاهدة زودت بريطانيا ابن سعود بالمشورة العســكرية خلال حملة قــام بها ضد أمــير حائل ابن الرشــيد ، وعينت النقيب شكسبير كمستشـار عسـكري له ، وقد قتل هـذا في المعركة وهو يساعد على حشو مدفع أثناء المعركة .[227]

ورغم ان انحياز ابن سعود الى جانب بريطانيا في الحـرب ضد المســلمين و الدولة العثمانية ، وتوقيعه لمعاهـــدة الحماية المشينة مع بريطانيا [228]، كان يشكل في منطق الوهابية وحسب شروط التوحيد الـتي قررها الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب ، من أكــبر نــواقض الإيمــان ، وهو الــولاء للكفــار. [229] خاصة في ذلك الوقت العصيب الذي كان فيه الإنجليز يخططـون لضـرب وحـدة المسلمين و تمزيق أوصال دولتهم العظمى (الدولة العثمانيـة) و ترسيخ جذور الاستعمار في المنطقة وإقامة الأنظمة التابعة لهم . الا ان ذلك لم يـــؤثر على علاقة ابن ســـعود بالحركة الوهابية التي نشطت في ظل حكمه وانخرطت في جيشه وكـانت تصف عامة المســـلمين بالشـــرك ، و لا تفـــرق بين المســـتعمِر و المستعمَر.

---

[226] - المصدر ، ص 59

[227] - المصدر ، ص 36

[228] - وصف فـؤاد حمـزة وكيل وزارة الخارجية السـعودية ، المعاهـدة بأنها "معاهدة جائرة". وقال عنها السـفير السـعودي خـير الـدين الـزركلي: " بأنها على غرار المعاهدات التي كان الانجليز يعقدونها مع امارات الخليج" ووصفها مستشـار عبد العزيز وسـفيره في لنـدن حافظ وهبة ، فقـال:" انها معاهـدة تضـعه تحت الحماية البريطانية كسـائر أمـراء الخليج ، فكـانت كل اتصـالاته برئيس الخليج الذي كان يقيم عادة في بوشهر".المصدر ، ص 85

[229] - يقـول الشـيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشـيخ : "التـولي : كفر يخــرج من الملة ، وهو كالــذب عنهم ، وإعــانتهم بالمــال والبــدن والــرأي ، والموالاة : كبيرة من كبائر الذنوب كبلّ الدواة ، أو بـري القلم ، أو التبشـبش لهم أو رفع السوط لهم" . الدرر السنية والاجوبة النجدية ، ج 7 ص201

2- علاقة ابن سعود مع (الإخوان) الوهابيين

مع عودة الحكم الى آل سعود في الرياض ، انطلقت الوهابية في حركة إحياء جديدة ، حيث قام أحد المشـايخ الوهـابيين و هو (عبد الكـريم المغـربي) ببنـاء خلية في واحة (الأرطاوية) و أقنع حـوالي خمسـين شخصا من البـدو بالاسـتيطان في الواحة ، أو القـــرى المحيطة بها ، في محاولة منه لاســتعادة تجربة الحركة الوهابية الأولى الــتي قــامت على يــدي الشــيخ محمد بن عبد الوهـاب قبل قـرن ونصف قـرن من ذلك الزمـان. ثم انتشـرت الفكـــرة في طـــول نجد وعرضـــها ، و أخذ الـــدعاة الوهـــابيون **(المطاوعة)** يطوفـون في قبائل نجد ، يـدعونهم الى الهجـرة والاستقرار في القـرى و الواحـات ، الـتي أطلقـوا عليها اسم : "الهجر" أو "اليثربيـات" نسـبة الى "يـثرب" مهجر الرســول الأعظم محمد (ص): المدينة المنــورة [230] ، واعتــبروا "الهجــر" داراً للإيمـان والهجـرة من دار الشـرك و الجاهليـة ، كما كـانت المدينة المنـــــورة في مطلع الإســـــلام ، حيث رأوا أن من آية الإخلاص لله ودينه و آية الإيمـان الصـحيح : التخلص من كل ما يشـتم منه رائحة الجاهلية ، فأخـذوا يـبيعون إبلهم و أغنـامهم و ينقطعــون في الهجر للعبــادة و تعلم القــراءة وحفظ القــرآن وسماع السيرة النبوية و غزوات الرسول وتاريخ انتشار الإسـلام في جزيرة العرب . وأطلقـوا على أنفسـهم اسم : **"الإخـوان"** تيمنا بآية: "فأصبحتم بنعمته إخواناً".[231]

و قد تفاعل البدو الذين اعتادوا على الغزو و النهب و القتل في الصحراء ، مع العقيدة الوهابية التي كانت تـبرر لهم ذلك بما تصوره لهم من أنهم وحـدهم "المسـلمون" و أن غـيرهم "كفـار

---

[230] - بناء على وجوب الهجرة الى يوم القيامة كما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه (الأصول الثلاثة).

[231] - محمد جلال كشك ، السعوديون والحل الاسلامي ، ص 556

ومشـركون" لا حرمة لـدمائهم و أمـوالهم و أعراضـهم ، و أنهم يمارسون في غزوهم ، الجهاد في سبيل الله .

ثم توسعت الحركة و أصبحت لها اليد الطولى في شـؤون نجد ، و اسـترعت انتبـاه الأمـير ابن سـعود في معركة احتلال الأحساء عام 1913م بما أبدت فيها من بسـالة عسـكرية كبـيرة وتفانيا شديدا في القتال. و بادر ابن سعود في عام 1916 الى التصدي لقيادتهم كزعيم روحي لهم ، واسـتغلالهم في مشـاريعه السياسية و العسكرية القادمة ، وكان أحوج ما يكـون إلى جنـود مطيعين كالإخوان ، فقرر أن يتولى قيادتهم .[232] و أصدر أوامـره بانخراط جميع القبائل العربية في صفوف "الإخوان" ، شاءوا أم أبـوا ، فتـألفت حوالي 220 مسـتوطنة (هجـرة) . و أوكل ابن سـعود إلى الشـيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف إدارة الهجر و تغذية البـدو الملتحقين بها بالأفكـار الوهابية و التركـيز على طاعة الله وطاعة الحـاكم و محاربة "الكفـار" ، والإيحـاء اليهم بأنهم فرسان التوحيد في مواجهة "المشركين".[233]

وقبل نهاية السنة وجد ابن سعود نفسه قائدا لجيش كبير من المتطوعين العقائديين يستطيع الاعتماد عليهم حـتى المـوت ، و أن يضمن بهم التفوق على أعدائه.[234] ولم تأت سنة 1920 حتى كانت الحماسة للحركة الوهابية بين البـدو قد بلغت حـدا كبـيرا ، بحيث أنه لم يبق أحد إلا و انضم إليها.[235]

وقد جعل عبد العزيز من "الإخوان" نواة جيشه الدائم الذي يخصه بالأسـلحة و الـذخائر ، لأنهم كـانوا يجمعـون بين سـطوة البدو و ثبات الحضر. وقال لفيلـبي مفتخـرا بهم : " إنه يكفي أن

---

[232] - ولم يكن تبني ابن سعود للإخوان بمعزل عن الإرادة البريطانية التي حاولت توظيف الحركة الوهابية في خدمة مخططاتها في المنطقة. إذ يقـول الجاسوس البريطاني جون فيليبي : إن عملية احيـاء الافكـار الوهابية كـانت من بين المهمات المكلف بها من أجل ايجاد انصـار لابن سـعود في كل بلـدة وقبيلة وقرية من انحاء جزيرة العرب . جون فيلبي ، تاريخ آل سعود 583

[233] - يقول أمين الريحاني : " أنهم يعتقدون ان من كان خارجاً عن مذهبهم ليس بمسلم فيشـيرون الى ذلك في سـلامهم بعضـهم على البعض:(السـلام عليكم يا الإخـوان حيا الله المسـلمين).واذا سـلم عليهم سـني او شـيعي فلا يردون السلام " .الريحاني ، معجزة فوق الرمال ، ص 64

[234] - كشك، محمد جلال ، السعوديون والحل الاسلامي ص 559-560

[235] - ديكسون: الكويت وجاراتها ، ج1 ص 252

أصدر النداء ليهب للقتال تحت رايتي ألوف من بيشة الى نجران و من رانية الى تثليث و غيرها ، ليس فيهم من لا يحب المــــوت في ســبيل العقيــدة ، وكلهم يؤمنــون بــأن الفــرار من الزحف يدخلهم النار".[236]

وأحدث تلاحم ابن سعود مع حركة الإخوان ، تحولا كبيرا في طبيعة الحروب التي كـان يشـنها من أجل توسـيع رقعة إمارته ، حيث اتخذت صفة الجهاد الديني ، بعد أن كانت مجرد نـزاع على السـلطة.[237] و هكـذا استطاع عبد العزيز أن يحتل بهم (حائـل) بعد الأحساء ، ثم يحتل الحجاز .[238]

ولكن عبد العزيز بن سعود ، كان يدرك أنه يسير في وادٍ ، ويسـير الإخـوان في وادٍ آخر ، فهو يعمل على خارطة محـددة و أهداف معينة و يرتبط باتفاقيات دقيقة مع بريطانيا ، بينما يعيش الإخوان على الآمال والأحلام والشـعارات والنظريـات المتطرفة التي تسببت في انهيـار الدولة السـعودية الأولى . ولم يكن هو يريد بالتأكيد إعــادة العــالم الإســلامي "المشــرك" الى عــالم التوحيد ، ولكنه كـــان يريد فقط أن يســـتغل الإخـــوان والحركة الوهابية لتحقيق انتصـارات عسـكرية وسياسـية ثم يعيـدها الى القمقم . ومن هنا كان ابن سعود يدرك جيداً خطر الوهابية على نظامه ، إذا خرجت من بين يديه. ولـذلك كـان يحـاول الإمسـاك بقرنيها بكل قــوة ، و ضــربها في الــوقت المناســب. وقد قــال للمقيم البريطـاني في الكـويت (هارولد ديكسـون) الـذي أبـدى قلقه من خطر "الإخوان" في المستقبل : "يا ديكسون لا تخف ، الإخوان هم أنا و لا أحد غيري".[239]

---

[236] - كشك ، السعوديون والحل الاسلامي ، 395

[237] - كشك ، السعوديون والحل الاسلامي ، 613

[238] - وكان الملك حسين قد شـعر بخطـرهم على دولته فطلب من الوكيل البريطاني في جـدة بتـاريخ 18/9/1918 :ـ ان تجـبر بريطانيـا ، ابن سـعود على إلغاء (الإخوان) " الجمعية السياسـية الـتي تتسـتر بـرداء الـدين" والـتي ينظمها لخدمة طموحاته السياســـية ، ورأى في الوهابية خطـــرا داهما على الأمن والسلام في الجزيرة العربية. المصدر ، ص 567

[239] - ديكسون: الكويت وجاراتها ، ج1 ص 252

علاقة الوهابيين مع عامة المسلمين

وقبل ان نواصل الحــديث عن علاقة ابن ســعود بالحركة الوهابية و "الإخــوان" و تطورها ، يجــدر بنا ان نتوقف عند علاقة الحركة الوهابية ببقية المســـــــلمين من مختلف الطوائف ومن عامة البدو بمن فيهم شرائح من الوهابيين. فنقول:

عندما استولى عبد العزيز بن سـعود على الريـاض في مطلع القــرن العشــرين ، لم يكن هنــاك أي حــديث عن تكفــير الدولة العثمانية التي أصبح ابن سعود والياً لها ، ولا عن تكفير الحجاز و شـرفائها الـذين أعلن لهم عن وده وتقـديره [240]. و لا عن تكفـير الكويت التي مضى فيها لاجئا عدة سنوات . وقد مضى أكــثر من عشر ســنوات قبل ان تنقلب الصــورة ، و ذلك بعــدما قــرر ابن سعود تبني الحركة الوهابية عام 1916 وإعداد جيش "الإخــوان" البدوي على أساسها ، حيث بدأت تتعالى نغمة التكفير من جديد ، والنظر الى سائر المسلمين على أنهم "كفار و مشركون". [241]

إذ قــال أحد المشــايخ الوهــابيين المســؤولين عن تعبئة "الإخوان" ، وهو الشــيخ ســليمان بن ســحمان ، عضو هيئة كبــار العلماء :" إن مَن في جزيرة العرب لا نعلم ما هم عليه جميعهم ، بل الظــاهر : أن غــالبهم و أكــثرهم ليســوا على الإســلام ، فلا نحكم على جميعهم بالكفر لاحتمال أن يكون فيهم مسلم . و أما مَن كان في ولاية إمام المسلمين فالغالب على أكثرهم الإسلام لقيامهم بشــرائع الإســلام الظــاهرة... وأما من لم يكن في ولاية

---

[240] - حرص عبد العزيز خلال السنوات العشر الأولى من حكمه على إظهار الولاء وتقبيل أيادي شـريف مكة. وفي رســالة رقيقة له وجهها الى الشـريف حسين بن علي ، رضي ابن سعود لنفسه أن يكون تابعا للعثمــانيين بواســطة شريف مكة. عبد الكريم الغرايبة ، قيام الدولة السعودية العربية ، ص 10

[241] - يقول أمين الريحاني : " أنهم يعتقدون ان من كـان خارجـاً عن مذهبهم ليس بمســلم فيشـيرون الى ذلك في سـلامهم بعضـهم على البعض: (الســلام عليكم يا الإخــوان حيا الله المســلمين).واذا ســلم عليهم ســني او شيعي فلا يردون السلام " .الريحاني ، معجزة فوق الرمال ، ص 64

إمـام المسـلمين فلا نـدري بجميع أحـوالهم و ما هم عليه ، لكن الغالب على أكثرهم ما ذكرناه أولا ، من عدم الإسلام.

فمن كان ظاهره الإسلام منهم فـيُعامل بما يُعامل به المسلم في جميع الأحكـام ، وأما مَن ظـاهره لا إسـلام ولا كفر ، بل هو جاهل ، فنقـول : هـذا الرجل الجاهل إن كـان معه الأصل الـذي يدخل به الإنسـان في الإسـلام فهو مسـلم .. و ان لم يوجد معه الأصل الذي يـدخل الإنسـان في الإسـلام فهو كـافر ، فمن كـان ظاهره الكفر فهو كافر".[242]

أما الشـيعة فقد كـان الوهـابيون ينعتـونهم بالرافضة ، ويعتبرونهم من أهل دين آخر غـير الإسـلام ، وقد اصـدر الشـيخ محمد بن عبد اللطيف (و أربعة عشر عالمـاً آخـر) في نهاية اجتماع عقد في شعبان سنة 1345 (17/1/ 1927) بيانا جاء فيه : "...أما الرافضة فقد أفتينا للإمـام ابن سـعود ان يلـزمهم البيعة على الإسلام ، ويمنعهم من إظهـار شـعائر دينهم الباطل ، و على الإمام ان يلزم نائبه في الاحساء ان يحضرهم عند الشيخ (ابن بشر) و يبايعوه على دين الله و رسوله... و يلـزمهم بتعليم (ثلاثة الأصـول) – وهو كتـاب للشـيخ عبد الوهـاب – و مَن أبى قبول ذلك ينفى من بلاد المسلمين...و أما رافضة العراق الذين انتشـروا وخـالطوا بادية المسـلمين فأفتينا الإمـام بكفهم عن الدخول في مراعي المسلمين و أرضهم ".[243]

و تحت شعارات التكفير هذه أمر ابن سعود قائده فيصل الـدويش (زعيم الإخـوان) بمهاجمة الجهـراء في الكـويت بنحو أربعة آلاف رجل سنة 1339 ، من أجل (دعوة أهل الكويت الى الإسـلام).[244] مما أحـدث صـدمة في نفـوس الكويتـيين و حـتى الحنابلة و السلفيين منهم.[245]

و من الواضح ان علاقة أية حركة تكفر المسـلمين سـتكون قائمة على العنف و القهر و الغلبة و الفتح والاحتلال ، ولن يكون

---

242 - ابن سحمان ، منهاج أهل الحق ، ص 79 - 80

243 - حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين 227 و أنور عبد الله : العلمـاء والعـرش ص 471 و التـويجري ، عبد العزيز ، لسـراة الليل هتف الصباح ، ص 367 - 369

244 - الرشيد، عبد العزيز ، تاريخ الكويت ، ص 23

245 - المصدر ، ص 258

فيها مجـــال لأي نـــوع من الاحـــترام أوالشـــورى أو الســـماح للمواطنين بالمشاركة السياسية و تقرير المصير.

علاقة الوهابيين الداخلية (التكفير البيني)

ولما كانت عجلة التكفير عنيفة و واسعة فإنها لم تـوفر حـتى بعض القواعد الوهابية ، حيث لم يكتف "الإخوان" بتكفير الشيعة و عامة المسـلمين ، و إنما أخـذوا يكفـرون بعض الوهـابيين من البدو و الحضر ، و خاصة الذين لم يلتحقـوا بهم ، أو لم يهـاجروا معهم ، أو لم يلـــتزموا بدقة بمثل ما كـــانوا يلـــتزمون ، كلبس العمامة التي اشتهروا بها.[246]

يقول الشيخ سليمان بن سحمان :" يجري على ألسنة كثير منهم من الأمـور الـتي أحـدثها و ابتـدعها مَن تجـاوز الحد ، و غلا في الدين و اتبع غير سبيل المؤمنين.

فمن ذلك قولهم: إنه لا إسلام لمن لم يهاجر من الأعـراب ، وان كان قد دخل في (الـدين)[247] وأحبه و والى أهله ، و تـرك ما كـــان عليه أولاً ، من أمـــور الجاهلية ، إلا أن يهـــاجر ، و من لم يهاجر فليس بمسلم عندهم.

و من ذلك أيضـا: أنه إذا مـرت قـافلتهم على بعض الأعـراب الذين ظاهرهم الإسلام و فيهم من تميّز بمعرفة الدين و الدخول فيه و تـرك ما كـانوا عليه من أمـور الجاهلية لم يسـلموا عليهم ابتداء و لا يـردون السـلام عليهم و لا يـأكلون ذبـائحهم لأنهم لم يهاجروا معهم".[248]

وكان "الإخوان" قد استعادوا أدبيات الحركة الوهابية الأولى ، و التي يكفر فيها مؤسس الحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أهل البادية بـــالعموم ، و اقتـــدوا به في الحكم على أهل البادية المعاصرين لهم عموما بالكفر. ولذلك توقف الشيخ ابن سحمان عند هذه النقطة فقال:" هنا مسألة أخذ بها هؤلاء المتـدينون من البدو "الإخوان" و هي أن من يقـرأ عليهم بعض عبـارات الشـيخ

---

[246] - راجع أيضا: حافظ وهبة ، جزيرة العـرب في القـرن العشـرين ص 312 و التويجري ، عبد العزيز : لسراة الليل هتف الصباح ، ص 247و257

[247] - أي الوهابية

[248] - ابن سحمان : منهاج أهل الحق ، ص 90

محمد بن عبد الوهاب في البدو ، مثل الموضع السادس من السيرة (انه ليس معهم من الإسلام شيء) ، و ما ذكره عن الأعرابي الذي يشهد أنه هو و سائر الناس البدو كفار ، و أن المطوع الذي ما يكفر البدو كافر ، و أمثال ذلك ، فإذا قرأه عليهم قالوا: هذا قول الشيخ في البدو.[249] " انهم كفروا البادية بالعموم ، وانهم لم يسلموا ولم يدخلوا في هذا الدين".[250]

انقلاب ابن سعود على "الإخوان"

لم يأبه الوهابيون و "الإخوان" كثيرا للطبيعة الديكتاتورية للنظام السعودي الجديد ، و القائمة على القوة و القهر و الغلبة ، فقد كان ذلك جزءا من تراثهم الفكري السياسي ، و لذلك لم يجدوا مانعا من التعاون مع ابن سعود و القتال الى جانبه و تعزيز سلطانه في مواجهة القبائل و الشعوب والحكومات و الطوائف غير الوهابية ، و لكن طبيعة النظام الديكتاتورية كانت الثغرة التي انقلب منها النظام عليهم و قضى عليهم و على الوهابية فيما بعد. و قد تمثل ذلك الانقلاب في التنكر للمبادئ الإسلامية كمبدأ الولاء و البراء ، و انتهاج سياسة التبعية و التحالف مع الاستعمار الإنجليزي في أحرج وقت كانت تمر فيه الأمة الإسلامية ، ثم الانقلاب على أهم قوة وهابية و هم "الإخوان" الذين استعان بهم في تثبيت أركان حكمه ، و القضاء عليهم.

---

249 - المصدر ، ص 14

250 - المصدر ، ص 88

وقد بدأ الانشقاق بين الطرفين مباشـرة بعد احتلال الحجـاز عام 1925 حيث وجد "الإخوان" نوعاً من التنـاقض بين الشـعار الـذي دفعهم ابن سـعود تحت ظله للحـرب وهو (تحرير الحجـاز من الكفـار و المشـركين) وبين سياسة المداهنة الـتي اتبعها مع الحجازيين و تأكيده لهم :"بأنه لا يريد حكم البلاد حكماً مباشــراً" وتقديم الوعود لهم بالسماح لهم بـإدارة أنفسـهم بأنفسـهم عـبر مجلس شورى[251]، و قد قال ابن سعود في خطابه أمام قيـادات مكــة:" لا أريد أن اســتأثر بــالأمر في بلادكم دونكم و إنما أريد مشاورتكم في جميع الأمور". و طلب من الحاضرين أن يجتمعوا لانتخــاب من يمثلهم في مجلس الشـــورى الأهلي، في محاولة منه لتسـهيل احتلال جـدة و المدينة المنـورة.[252] و ذهب الى حد طرح فكرة تـدويل الأمـاكن المقدسة .[253] و رغم ان ابن سـعود كان يستخدم تلك الوعود كوسيلة لتوطيد حكمه ومحاولة لتذليل العقبات أمام فتح سائر المناطق و المدن الحجازية ، الا انه أثـار مخــاوف "الإخــوان" الــذين وجــدوا في تعامله مع الحجــازيين كمسـلمين ، نوعا من التنـاقض مع صـفة الشـرك و الكفر الـتي كان يطلقها عليهم من قبل.[254] و فهموا الدعوة الــتي وجهها ابن سعود إلى عقد مؤتمر إسلامي لإدارة الحرمين[255]، على أسـاس

---

[251] - وأصدر بتاريخ 22 صـفر 1343-1924 منشـورا وعد فيه المسـلمين وأهل الحجاز بالخصوص بأن تكون الحجاز ومكة للمسـلمين عامة وأن يكـون أمر الحـرمين الشـريفين شـورى بين المسـلمين . وقـال : إنما أنا وكيل عن المسلمين في طرد الهاشـميين ليقـرروا مصـير الحجـاز بحرية.كشك ، محمد جلال ، السعوديون والحل الاسلامي ، ص 526-527

[252] - المصدر ، ص 516

[253] - و قوله للحجــازيين : " إن مكة للمســلمين كافة ، فــأمر إدارتها و تنظيمها يجب أن يكون طبق رغائب العـالم الإسـلامي .. إننا سـنجتمع بوفـود العالم الإسلامي هنـاك وسـنتبادل معهم الـرأي في كل الوسـائل الـتي تجعل بيت الله بعيدا عن الشهوات السياسية. إن الحجـاز سـيكون مفتوحا لكل من يريد فعل الخــير من الأفــراد والجماعــات". وقوله رداً على برقية الحــزب الوطني الحجازي : " إنا لا نطمع في امتلاك الحجاز أو التسلط عليه ، و لهـذا فهو يــترك للعــالم الإســلامي" كشك ، محمد جلال ، الســعوديون والحل الاسلامي ، ص 525 – 526

[254] - المصدر ، ص 620

[255] - رفع عبد العزيز بن سعود شعار المؤتمر الاسلامي أثنا ء احتلال الحجاز لأهداف تكتيكية ثم تراجع عنه و ألغاه ، كما رفض مناقشة المؤتمر الاسـلامي للقضـايا السياسـية أو التـدخل في الشـؤون الداخلية للحجـاز. المصـدر ، ص

أنها تفريط بالــدين و مداهنة للكفــار و المشــركين.[256] وقد زاد شـعور "الإخـوان" بـالمرارة رفض ابن سـعود لمطـالب قـادتهم فيصل الدويش و سلطان بن حميد بن بجاد اعتبار الحجـاز غنيمة حرب و تعيينهما أميرين على مكة و المدينة.[257]

و ربما كـان ابن سـعود يحـاول تهدئة العـالم الإسـلامي ، والإطلال عليه بوجه معتـدل ، او يخضع لضـغط حلفائه الإنجلـيز الــذين كــانوا يرفضــون ان يطبق نهجه الوهــابي المتشــدد في الحجاز.[258] ولكن سلوكه مع الحجازيين كـان يبـدو أشـبه بموقف مـــــتراجع عن الوهابية ، و ينم عن قــــــرار شخصي لا دور فيه للمقاتلين الذين فتحوا بسيوفهم ذلك الإقليم.

و بغض النظر عن صواب منطق أي طرف ، فان الملفت هو كيفية اتخــاذ القــرار داخل الحركة الوهابية و اســتبداد الإمــام و امتلاكه لصــلاحية الانعطــاف الى الــوراء دون الســماح لأي أحد بالاعتراض.

وفي هذا السياق استنكر "الإخوان" وقوف ابن سعود أمام اندفاعتهم لمواصلة الحرب ضد "الكفار" في المناطق المجاورة كالعراق والأردن و الكويت ، و عقدوا اجتماعا في شهر ديسـمبر عـام 1926م في هجـرة (الارطاوية) أكّـدوا فيه على الرغبة في مواصلة الحرب ، واستغربوا منع ابن سعود لهم من التجـارة مع الكويت ، فان رعاياها - كما كانوا يرون - إما كفـار يجب قتـالهم ، أو مسـلمين ليس للحــاكم أن يمنعهم من التعامل معهم.[259] و

---

535 - 534

[256] - المصدر ، ص 525 – 526

[257] - المصدر ، ص 622

[258] - يقول محمد جلال كشك ان لورانس وجه تحذيرا بريطانيا لابن سـعود بقوله : اذا كـان ابن سـعود يريد ان يتخلى عن الوهابية فنحن نـرحب باحتلاله للحجـاز ، واما اذا كـان يريد ان يحافظ عليها فاننا سـوف نـأتي بالمسـلمين الهنود لكي يخلصوا بلاد الحرمين منه ، اذا ما أصر على الوهابيـة. المصـدر ، ص 496

[259] - كـان موضـوع السـفر الى بلاد "المشـركين" الكويتـيين ، أحد مآخذ الإخوان في خلافهم مع ابن سعود ، حيث اتهموا المشايخ بنقض قرار وهــابي شهير بحرمة السـفر الى بلاد المشـركين ، وإباحته ، في الـوقت الـذي كـانوا يحرمون على (الإخوان) السـفر الى الكـويت و الاتجـار معهـا. (ابن سـحمان: منهاج أهل الحق ، ص 86). وكانت هذه تهمة خطيرة لمشايخ الوهابية الـذين هبــوا للــرد عليها و الــدفاع عن أنفســهم ، و تأكيد "حرمة الســفر الى بلاد المشركين". (المصدر ، ص 102). وقد حاول الشيخ سـليمان بن سـحمان

أخذوا على ابن سـعود السـماحَ لقبائل شـرقي الأردن والعـراق "الكافرة" بإرسال مواشيهم لترعى في ديـار "المسـلمين". كما أخذوا عليه تسـامحه مع الشـيعة في المنطقة الشـرقية ، الـذين كـان يجب بـرأيهم العمل على إدخـالهم في الإسـلام جـبرا ، أو طردهم من البلاد.

و طرحوا في اجتماعهم قضايا أخرى جزئية مثل إرسال عبد العزيز لابنه سـعود إلى مصـر" معقل الكفـر" ، و إرسـال ابنه الآخر فيصل إلى لنـدن ، و إدخـال التلفـون والتلغـراف إلى الحجاز.[260] ولكن الموضوع الرئيسي الذي كان يشـغل بـالهم هو موضـوع منعهم من مواصـلة الغـزو ، و هو ما عـبر عنه زعيمهم فيصل الـدويش في رسـالة له إلى عبد العزيز بن سـعود ، حيث قال : "... وقد منعتني من غزو البدو ، وهكذا أصبحنا لا مسلمين نحارب الكفار ولا أعرابـاً بـدواً يُغـير بعضـنا على البعض ونعيش على ما ينهبه كل منا من الآخر ، فمنعتنا من ديننا و دنيانا". [261]

أن ينفي تهمة إباحة السفر الى بلاد المشركين ، بقوله:"ان كـان مـراد هـؤلاء الـذين شـبهوا على عـوام المسـلمين بهـذه الشـبهات : ان السـفر الى بلاد الأحساء بعد أن أخرج الامـام الدولة الكفـارَ (الأتـراك) فهـذا لا شك فيه لأنها صارت دار إسلام ، بعد أن كانت دار كفر ، لجريـان أحكـام أهل الاسـلام على أهلها و الغلبة و الظهور فيها لأهل الاسلام على من كان فيها ممن ظاهر أهل الكفر من الروافض وغيرهم ، كما نص على ذلك العلماء قديما وحديثا.

و ان كان مرادهم أن السفر الى بلاد الأحساء و الى بلد الكويت مثلا مباح حال ولاية الكفار عليها ، و ان المشايخ إذ ذاك يبيحون السفر إليها ، فقد كان من المعلوم : ان المشايخ من أعظم الناس تحريما لهذا السـفر ، و ان ذلك عندهم من أكـبر الكبـائر و لا يـبيحون السـفر اليها ". المصـدر ، ص 101 – 102

[260] - وكان المفتي الأكبر الشيخ محمد بن عبد اللطيف وإخوانه من العلماء قد احتجوا من قبل في رسـالة لهم إلى عبد العزيز على اسـتعمال التلغـراف فقالوا:" وأما وضع البرقيات في الريـاض وغيرها من قـرى نجد ، وما يـترتب على ذلك ، فلا نـراه جـائزا ولا نفـتي به ونـبرأ إلى الله من الإفتـاء بشـيء يترتب عليه المفاسد... وان من لازم وضعه وجود الكفر ممن يتولاه والسعي في نقض هـــذه الـــدعوة الاســـلامية وإعـــادة الباطل في نجد كما كـــان وأعظم...وقد قـال (ص): (لايجتمع دينـان في جزيـرة العـرب)". 7 شـوال 1339هـ /1920

التويجري ، عبد العزيز : لسراة الليل هتف الصباح ، ص 273

[261] - كشك ، محمد جلال ، السعوديون والحل الاسلامي ص 680

وكان منع ابن سعود للبدو الوهابيين "الإخوان" من ممارسة الغزو (أو الجهاد حسب اصطلاحهم) قد أوقعهم في مأزق كبير ، إذ كان عليهم إما الالتزام بقرار ابن سعود وانتظار المـوت جوعا في الصحراء ، أو التمرد على القرار ومواصلة (الجهاد) و الفتوح و الحصـول على الغنـائم. وهـذا ما فعلـوه في مـؤتمرهم حيث قــرروا مواصــلة عمليــاتهم العســكرية ضد القبائل العربية "الكافرة" شمال الجزيرة العربية. في الـوقت الـذي كـان يقـوم عبد العزيز بن سـعود - حسب معاهـدة دارين 1915 و معاهـدة جـدة عـام 1927 - بالمحافظة على علاقـات الـود والسـلم مع الكويت والعراق والأردن والبحرين وقطر وساحل عمان ، وعدم القيام بأية هجمات مسلحة على المستعمرات البريطانية.

و بدا وكأن "الإخوان" لم يكونوا يعلمـون شـيئا عن تلك المعاهدات التي وقعها ابن سعود مع البريطـانيين و الـتي كـانت ترسم له خارطة التحـرك و"الجهـاد". وعنـدما واجهـوا الحقيقة تفجــرت أزمة عنيفة بينهم وبين إمــامهم ابن ســعود ، وحــدث الاصـطدام بين الفـريقين. ولما كـانت طبيعة النظـام السياسي السـعودي قائمة على القـوة و القهر و الغلبة ، و لا تتضـمن أي نــوع من الشــورى والمشــاركة السياســية ، فقد كــان على "الإخـوان" ان يـذعنوا لقـرار إمـامهم مهما كـان نوعـه. الا أن امتلاك "الإخوان" لقوة عسكرية هائلة لم يكن يسمح لابن سعود بفرض قراره عليهم بسهولة. وكان عليه ان يحـاورهم ، او ينـاور معهم، تمهيــدا لإقنــاعهم بقــراره أو فرضه عليهم في الــوقت المناسب. ومن أجل ذلك دعا عبد العزيز بن سـعود الى اجتمـاع عـام في الريـاض عـام 1927 ونجح في استصـدار فتـاوى من علماء الـدين بتخويله فقط حق اتخـاذ القـرار بـإعلان الجهـاد.[262]

---

[262] - اصدر الشـيخ محمد بن عبد اللطيف (وأربعة عشر عالمـاً آخـر) في نهاية الاجتمــاع ، بيانــاً يلــبي بعض مطــالب الإخــوان ، وخاصة فيما يتعلق بالتعامل مع الشيعة ، جاء فيه : "...أما الرافضة فقد افتينا للامـام ابن سـعود ان يلـزمهم البيعة على الاسـلام ، ويمنعهم من اظهـار شـعائر دينهم الباطل ، وعلى الامام ان يلزم نائبه في الاحساء ان يحضـرهم عند الشـيخ (ابن بشـر) ويبايعوه على دين الله ورسوله وترك دعاء الصالحين من أهل البيت وغيرهم و ترك سائر البدع من اجتماعهم على مآتمهم وغيرها مما يقيمـون به شـعائر مذهبهم الباطل ويمنعون من زيارة المشاهد.

وكذلك يلزمون بالاجتماع على الصلوات الخمس هم وغيرهم في المساجد ويـرتب فيهم أئمة ومؤذنـون ونـواب من أهل السـنة ، ويلـزمهم بتعليم (ثلاثة

وقد جاء في إحدى فتاواهم ما يلي:" من أعظم فرائض الإسـلام الـتي جـاء بها الرسـول (ص) : الجماعة ، وأخـبر (ص) : أنه لا إسلام بلا جماعة ، ولا جماعة الا بالسمع والطاعة. و قد مَنَّ الله في آخر هذا الزمان الذي اشتدت فيه غربة الإسـلام ، وظهر فيه الفسـاد في الـبر والبحر بفضـله وكرمه بهداية غـالب بادية أهل نجد ، خصوصا رؤســـاءهم ، وجعل الله لك حظا وافـــرا في إعـانتهم ، وانتشر الإسـلام في نجد جنوبا وشـمالا. ورأينا أمـراً يـوجب الخلل على أهل الإسـلام ودخـول التفرقة في دولتهم ، وهو الاسـتبداد من دون إمـامهم ، بـزعمهم أنه بنية الجهـاد. ولم يعلموا أن حقيقة الجهاد و مصالحة العدو و بذل الذمة للعامة ، و إقامة الحـــدود أنها مختصة بالإمـــام و متعلقة به ، ولا لأحد من الرعية دخل في ذلك الا بولايته .. و الـــــذي يعقد لنفسه راية و يمضي في أمر من دون إذن الإمـــــام و نيابته فليس من أهل الجهاد في سبيل الله. فالواجب عليك (يا عبد العزيـز) حفظ ثغر الإسلام عن التلاعب به وأنه لا يغزو أحد من الهجر إلا بـإذن منك و أمر منك و لو راعي مطية".[263]

ولكن "الإخوان" رفضوا فتـوى العلمـاء القائلة بـأن الإمـام وحده صاحب القرار في إعلان الجهاد ، فقاموا في السادس من نوفمـبر عـام 1927م بشن هجـوم على مخفر عـراقي قـرب الحـدود السـعودية و قضـوا على جميع أفـراده ، وحصـلوا على بعض الغنائم ، مما فتح شهية بقية القبائل البدوية الجائعة الـتي

الاصول) ، وكذلك ان كان لهم محال مبتنية لاقامة البدع تهدم ، ويمنعـون من اقامة البـــدع في المســـاجد وغيرها ، ومن أبى قبـــول ذلك ينفى من بلاد المسلمين.

وأما الرافضة من أهل القطيف فيلزم الامام الشيخ ابن بشر ان يسافر إليهم ويلزمهم بما ذكرنا.

وأما رافضة العراق الذين انتشروا وخـالطوا بادية المسـلمين فأفتينا الامـام بكفهم عن الدخول في مراعي المسلمين وأرضهم. وأما الجهـاد فهو موكـول الى نظر الامام وعليه أن يراعي الأصح للاسلام والمسلمين"

حرر في شعبان سنة 1345 –(1/17/ 1927)

حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشـرين 227 و أنـور عبد الله : العلماء والعرش ص 471 و التـويجري ، عبد العزيز ، لسـراة الليل هتف الصباح ، ص 367 – 369

[263] - التويجري ، عبد العزيز ، لسراة الليل هتف الصباح ، ص 279

تــدفقت على ابن ســعود تطلب الإذن بالجهــاد و فتح العــراق ، ولكن ابن سـعود رفض بقـوة كل تلك المطـالب وأعلن عصـيان زعيم الإخــوان (فيصل الــدويش) و وضـعه تحت الإقامة الجبرية في الأرطاوية .[264]

و أمام استمرار قيام الإخوان بغزواتهم على القبائل العراقية و الأردنية ، و هجومهم على مخفر البصية العـراقي ، لم يجد ابن سـعود الا دعـوة قـادة "الإخـوان" و شـيوخ العشـائر و أشـراف المــدن و علمــاء الــدين ، الى مــؤتمر عــام في الريــاض في 6 كـانون الأول 1928 حضره أكـثر من 800 عنصر منهم ، فوجه ابن ســـعود إليهم خطابـــاً اســـتعرض فيه إنجازاته وخدماته و فضائله وحقه عليهم بأنه الذي هـداهم للإسـلام وانه لا فضل لهم عليه في توســـيع مملكته ، و انتقد القبائل المخالفة له و اتهمها بمحاولة تمزيق المملكة .

وقال لهم مهدداً :" لاتظنـوا يا إخـوان ان لكم قيمة كبـيرة عندنا .. لا تظنوا أنكم سـاعدتمونا و أننا نحتـاج إليكم. قيمتكم يا إخـــوان في طاعة الله ثم طاعتنا فـــإذا تجـــاوزتم ذلك كنتم من المغضوب عليهم. أي والله ، لا تنسوا ان ما من رجل منكم الاّ و ذبحنا أباه وأخاه أو ابن عمه و ما ملكناكم الاّ بالسيف. و السيف لا يزال بأيدينا إذا كنتم يا إخوان لا ترعون حقوق النـاس. لا والله لا قيمة لكم عندنا في تجاوزكم. انتم عنـدنا مثل الـتراب..انتم ما دخلتم في طاعتنا رغبة بل قهـراً و إني والله اعمل بكم السـيف إذا تجاوزتم حدود الله " وقال لهم بصـراحة : " لقد بـنيت ملكي بعون الله وقوة ساعدي.. ولقد بلغني أن الكثير منكم غــير راض عني و عن حكومتي ، و لكني لست ممن يتخلون تحت الضـغط و القوة عن عروشهم .. " [265].

وبعد نقـاش طويل سـألهم الملك :- ما ذا تريـدون ؟ وقـدم استقالته لهم قائلا :" أنا مستعد للتنازل عن الحكم و التخلي عن جميع سلطاتي لأي رجل تختارونه بدلاً مني". ودعاهم "لانتخــاب ولي أمر لهم يسير بهم حسبما يجتمعون عليه أمرهم في الخطة التي يرونها" ملقيـاً اللـوم عليهم في ما وصـلت إليه الأمـور من تدهور.[266]

---

[264] - كشك ، محمد جلال ، السعوديون والحل الاسلامي ، ص 641

[265] - القحطاني، فهد: صراع الأجنحة في العائلة السعودية 278

[266] - عبد الله ، أنور : العلماء والعرش 261-263

ويبدو أن الاستقالة كانت أقرب الى الطابع المسـرحي منها الى الاســـتقالة الحقيقية ، و أنها كـــانت تهـــدف تـــأمين تأييد الحاضرين لسياسته واستنكار مواقف زعمـاء "الإخـوان"ـ[267] في الوقت الذي كانت تعبر عن وجود أزمة عميقة تعصف بعلاقة ابن ســـعود مع الجيش الوهـــابي "الإخـــوان"ـ و عـــدم قدرته على التوفيق بين الاتجــاه السياسي الــواقعي وشـعارات "الإخـوان"ـ الوهابيــة. ولــذلك فقد انفض الاجتمــاع بانسـحاب "الإخـوان"ـ و إصرارهم على موقفهم المتمرد ، حيث أعلنـوا التعبئة العامة ، و أعربوا عن عزمهم على مهاجمة العراق شاء ابن سعود أم أبى.

ثم أغاروا على قبائل مالك العراقية فجر يوم 21 يناير 1929 و قتلوا و نهبوا . [268]

ولكن ابن سعود رفض قرارهم بشـدة ، و بـادر الى اعتقـال بعض قـــادتهم ، و أصـــدر أوامـــره إليهم بإعـــادة ما نهبـــوه من غـــــزواتهم على القـــــرى العراقية ، فلم يعجب هـــــذا الأمر "الإخـوان" .[269] وقـامـوا بحملة دعائية واسـعة النطـاق ضـده ، مشـيرين الى أن قبوله بوجـود المخـافر على الحـدود العراقية دليل على أنه قد بــاع حقـوق بلاده الى البريطـانيين.[270] و " أن إمامهم قد أصبح أداة في أيدي الإنجليز.[271] و تولد لـديهم شـعور " بأن ابن سعود يبغي الدنيا و يوالى من حاد الله و رسوله" .[272]

و قد وجدوا في قرار ابن سعود يإعادة الغنائم التي حصـلوا عليها من الغزو ، تناقضاً صـارخاً مع مبـادئ الوهابية ، وقـالوا له بصـــراحة : " أنت كإمـــام كنت تـــدعو الى الجهـــاد ضد الكفـــار والمشـركين ، ولطالما دعـوت وكـررت الـدعوة الى أن العـراق كدولة شـيعية يجب أن يـدمر ، وان كل ما يؤخذ من أهله حلال ،

---

[267] - وذلك لأن ابن سـعود نفسه كـان قد قـال للإخـوان في وقت سـابق بتاريخ 19/10/1928 :ـ " لقد بـنيت ملكي بعـون الله وقـوة سـاعدي.. ولقد بلغـني أن الكثـير منكم غـير راض عـني وعن حكومـتي ، ولكـني لست ممن يتخلـون تحت الضـغط والقـوة عن عروشـهم .. ". القحطـاني ، فهـد: صـراع الأجنحة في العائلة السعودية 278

[268] - كشك ، محمد جلال ، السعوديون والحل الاسلامي ، ص 643

[269] - ديكسون: الكويت وجاراتها ، ج1 ص 295

[270] - المصدر ، ج1 ص 296

[271] - المصدر ، ج1 ص 307

[272] - كشك ، محمد جلال ، السعوديون والحل الاسلامي ، ص 645-647

ولطالما رددت قول القرآن الكريم لإثبات أن كل الأعمـال الـتي يقــوم بها المؤمنــون ضد الكفــار والمشــركين يجب أن يُكافــأوا عليها ، والآن و بــأمر من الإنجلـيز الكفـار أنفسـهم تـدعونا نحن فرسانك المختـارين سـيوف الإسـلام الى إعـادة ما أخـذناه لأنك تعتـبر ما فعلنـاه خطأ ، فإما أن تكـون أنت دجـال منـافق تحب ذاتك و تبحث عن منفعتك ، و اما ان يكــون القــرآن كتابــاً غــير صحيح ".[273]

و كحلٍ للأزمة طالبوا بالاحتكام الى علماء الشريعة ليبتوا في الأمر ، مما بث الرعب في قلب عبد العزيز بن سعود ، لأنه كان يعــرف أنه في الحقيقة هو الخــارج على مبــادئ الوهابية الــتي كانت تشجع على جهاد "الكفار و المشركين" و تستحل دمـاءهم و أموالهم. لقد كان ابن سعود في مأزق حقيقي فإما أن يعترف لجنده بأن شعاراته "الوهابية" كانت مخادعة و جوفــاء ومؤقتة و أنه كـــان انتهازيا ، وإما أن يســـتجيب لهم ويمضي معهم. ولما كـــانت معاهداته مع بريطانيا أقـــوى من التزامه بالشـــعارات الوهابية ، فقد كان عليه أن يطـوي بسـاط الوهابية ويقضي على "الإخــوان" ويــرفض أي حــوار. وقد ســاعدته على ذلك طبيعة النظـام السياسي السـعودي الاسـتبدادية المطلقة ، فكتب الى الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري ، الـذي كـان يقـوم بـدور الوسـاطة بينه وبين "الإخــوان" المتمــردين ، بتــاريخ 16شــوال 1347 (1928) رافضاً الصـلح معهم ومطالبـاً إيـاهم بالخضـوع والتســـليم :".. اني لأتمم ما أوجبه الله ورســـوله لهم علي و قررته أنت. وأما ما أوجبه الله لي من حق الولاية من الســـمع والطاعة و امتثـــال الأمر وعـــدم المنازعة ، وما أوجبه الله للمسلمين في أداء حقوقهم من أموال و رقاب وبغي وغيره مما تحرمه الشـــريعة على المســـلمين... والقبـــول من علمـــاء المسلمين وعدم مخالفتهم والامتثـال لنصـائحهم وعـدم التـدخل في أمر الولاية وأمر الرعية مما يخــالف بين المســلمين ويفسد الرعية على الراعي ، ويفرق بينهم

[273] - ديكسون: الكويت وجاراتها ، ج1 ص 314

وهنا قام رجال الدين الوهابيون بدور كبير في دعم سلطة ابن سعود وفرض الطاعة على "الإخوان" ورفض مبدأ المعارضة أو المشاركة في الأمـور السياسـية ، فأرسل الشـيخ عبد العزيز العنقري رسالة الى كافة "الإخوان" ، جاء فيها:" معلوم عندكم : ان الله مَنَّ على أهل نجد بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهـاب ، و سـاعده على ذلك حمولة آل سـعود ، و نصـروا هـذه الـدعوة الإسلامية ، وكلما ضـعفت أقـام الله منهم من يحييها و يجـددها. ومن أعظم من قـام بإحيائها في هـذا الزمـان الـذي كـثرت فيه الأهواء و البـدع وعَمَّ فيه الشـرك أكـثرَ أهل الأرض : الامـام عبد العزيـز. و بـذلك صـار له علينا وعليكم و على جميع المسـلمين من الحقـوق ما يجب مراعاته ، فـان السـمع و الطاعة لـولاة الأمـور دين من أعظم ما يـدان الله به ، و في الخـروج عليهم و منازعتهم الأمر وشق عصا المسلمين أعظم الفساد في الأرض ، فـان النـبي (ص) أمر بطاعة ولاة الأمـور و نهى عن معصـيتهم وقال: (اسـمع و أطع أمـيرك وان أخذ مالك و ضـرب ظهـرك) ، ولما ذكر (ص) أمراء الجـور قـال بعض الصـحابة : ألا نقـاتلهم يا رسـول اللـه؟ قـال (ص): لا ، ما أقـاموا فيكم الصـلاة. فكيف و إمامكم ولله الحمد متمسك بالشريعة الغراء حاد في نصرة هـذا الدين؟ فلا يجوز لأحد مخالفته ولا الاعتراض عليه في ولايته التي ولّاه الله تعالى إياه".[274]

ورفض ثمانية من كبار العلماء [275] فتح بـاب النقد و المعارضة السياسـية حـتى في داخل الحركة الوهابية و وقفـوا الى جـانب ابن سعود في صراعه مع "الإخوان" ، فقـالوا:" الرعية إذا انفتح لها بـاب في الطعن على الولاية وعلى من قـام بها بأسـباب لا تخرجه عن الإسـلام ولا تـوجب الطعن عليه ، بل هي مصـلحة للإسـلام و أهله و درء للمفاسد ، انفتح بـاب الشر ، و حـدثت الفتن التي هي غاية مرام الكفار ، وهي الفرقة بين المسلمين ، ولا يتمكن أعداء الدين الا بذلك.

ونحن في زمن غربة ، كما قـال ابن القيم وهو في القـرن السابع للإسلام : نحن في زماننا أغـرب منه في يـوم قوله (ص)

---

[274] - التويجري ، عبد العزيز ، لسراة الليل هتف الصباح ، ص 329

[275] - هم: الشـيخ عبد الله بن عبد اللطيف ، وحسن بن حسـين ، وسـعد بن حمد بن عتيق ، وسليمان بن سحمان ، وصالح بن عبد العزيز ، وعبد الله بن حسن ، وعبد الرحمن بن سالم ، وعبد الله بن محمد بن عتيق.

لعمر بن عنبسة لما قال له: من معك؟ قـال: حـرٌ و عبـد. فكيف بزماننا هـذا ؟ اشـتدت الغربة وقلّت البصـيرة وضـعفت القـوة ونطقت الرويبضة في أمر العامة ، و قلّت البصيرة في دين الله ومعرفة ما يجـــــــــــوز و ما يمتنع في حق من ولاّه الله أمر المسلمين".[276]

ان علاقة ابن سـعود مع "الإخـوان" لم تكن قائمة على الشورى و الرضا و الاختيار ، وانما كانت قائمة – كما هو واضح - على مبدأ القوة و العنف ، و قد عـبر ابن سـعود عن نظرته تلك بقولـه:" ان العشـائر لا يفهمـون إلا السـيف. و إلا فهم يركبـون على ظهر الحكومة و يسـوقونها و البلاد إلى مهـاوي الخـراب.. اشهروا السيف يرتدعوا و يتأدبوا".[277]

الهيمنة على الحركة الوهابية فكرياً و دينياً

و في خطوة مهمة من أجل السيطرة على "الإخـوان" قـام عبد العزيز بن سعود بالهيمنة على الحركة الوهابية فكرياً ودينيـاً ، و ذلك بتقييد حركة العلماء المعارضين وفرض هيئة من العلماء الموالين له عليهم ، فذهب إلى الأرطاوية و عزل إمام المسـجد المعارض ، و عزّر و أدّب عدداً من المطاوعة.[278] و أصدر أمـراً بمنع استقبال الهجر أي رجل دين وهابي من خارج إطـار الكـادر الرسمي. وصرف الموجودين منهم لديهم.[279] وأرسل رسالة إلى أهل القصـيم جـاء فيهـا:" قد بلغنا عن أنـاس يـدعون أنهم على طريقته (الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب) أمـوراً مخالفة لما هو عليه ، و هي أنهم يتجاسرون على الإفتاء بغـير علم ، و يطلقـون التكفـير و التضـليل بغـير علم ، بل بالجهل و مخالفة الـدليل ، و يتناولون النصوص على غـير تأويلها ، و يسـعون في تفريق كلمة المسـلمين و يتكلمـون في حق من لم يسـاعفهم على ذلك من علماء المسلمين بما لا يليق... إننا إن شـاء الله أنصـار لمن دعا إلى ما دعا إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، قـائمون بما قـام

---

[276] - التويجري ، لسراة الليل هتف الصباح ، ص 287- 293

[277] - القحطاني، فهد : صراع الأجنحة في العائلة السعودية 278 عن أمين الريحاني : ملوك العرب ص 555

[278] - التويجري ، عبد العزيز : لسراة الليل هتف الصباح ، ص 254

[279] - التويجري ، لسراة الليل ، ص 398

به أجدادنا الذين نصروه . و من خالف ذلك إما بتفريط أو إفراط فلا يلومَنّ إلا نفسَه. والله والله لأؤدبنه أدباً يتـأدب به الأولـون والآخرون ، ومن أنذر فقد أعذر".[280]

ثم أرسل ابن سعود رسالة عامة إلى كافة الإخوان و هددهم بقـوة قـائلا:" أنتم يا إخواننا صـار معكم جهل زايد ... فـان كـان أمركم هذا بحثاً عن علوّ في الأرض ، فلا حول ولا قوة إلا باللــه. وهو إننا نهينــاكم عن بعض هــؤلاء المــدعين الــذين يــأتونكم ويشــبّهون عليكم ، فلربما ان بعضــهم يخــرجكم من دينكم و تكونــوا في مفســدة أعظم مما كنتم عليه ســابقا ، من الغلو و التشـديد وإنـزال آيـات القـرآن وربطها على غـير ما أنـزل الله ، فهـذا أمر عظيم. فهـؤلاء مثل ما في الحـديث : قد يـأتي أقـوام تحقرون صلاتكم عند صلاتهم ، و عبادتكم عند عبادتهم يخرجـون من الــدين كما يخــرج الســهم من الرمية ، فــاقتلوهم أينما وجدتموهم . و بالحقيقة : ان بعض هؤلاء المتطـوعين مشـابهون لهم ، و نحن والحمد لله لســــــنا في شك من ديننا ... و أما الإنسـان الـذي يـرى أن ما على الـدين إلا هو ، أو ما انتهى إليه فقهه وليس مقلدا إلا كل صاحب شبهة و غلو فنبرأ إلى الله منه ، و هو خــارج من ذمتنا و ذمة المســلمين ، فهــذا نــدين الله بجهاده.

والذي ننهاكم عنه ثلاثة أمـور : الأول: لا تسـألوا و لا تمتثلـوا بــأمر أحد من طلبة العلم إلا بعد أن تراجعونا و نفيــدكم بما يسـركم لـدينكم و دنيـاكم ، ونظهر معكم الـذي نعلم منه النصح للإسلام والمسـلمين . أو فتـوى أحد يرضـاه علماؤنا الـذين نحن على حقيقة من أمـانتهم ونصـحهم للإسـلام والمسـلمين وهم : والدنا الشيخ المكرم عبد الله بن عبد اللطيف ، والشيخ سعد بن عــتيق ،والشــيخ محمد بن عبد اللطيف ، والشــيخ عبد الله العنقري ، والشيخ عبد الله بن سليم ، والشـيخ عبد الـرحمن بن سالم. فهؤلاء ما أفتوكم به فهو إن شاء الله حق وما رضـوا لكم من طلبة العلم يصير معكم لتتعلموا منه ، فأنا مجيز ما أجـازوا . ومن حط عنده طالب علم أو سأل غير هؤلاء المذكورين أو أحدا يجيزونه من طلبة العلم فأنا بــري الذمة منه ولا يــأمن العتب أيضا.

280 - المصدر ، ص 388

فأما الإنسان الذي قصده طاعة الله فهذا مدخل المسلمين يـدخل مـدخلهم و يـترك منه ما عـدا ذلك ، وأما الإنسـان الـذي يخالف هذا الأمر أو يتعدى ما ذكرنا فيكـون عنـده معلـوم أننا إن شاء الله نعاقبه عقابا ما ظن به و لا له عندنا حرمة ولا وقـار ، و من جنى فلا يجنى إلا على نفسه".[281]

وقال في رسالة أخرى:" من أشكل عليه شيء من الأمور فـيرده إلى طـالب العلم المسـؤول عنـدكم بـأمر الولاية و رضا المشايخ عنه ، و نحن إن شاء الله نرجو أن ليس عنـدكم شـيء يخـالف ذلك ، وان قصـدكم تحـري رضا الله ، ولشـفقتنا عليكم أحببنا أن نبين لكم إنذارا للمخالف والمتكلم بضـده ، فمن خالفه بقـــول أو فعل فـــذمتنا و ذمة المســلمين بريئة منه و لا يـــأمن البطش به و بحلاله ، و من أنذر فقد أعذر".[282]

ومع كل ذلك لم ينجح عبد العزيز في السيطرة الكاملة على (الإخوان) و تكميم أفواههم أو خنق أصواتهم الناقدة له. و نظـرا لأنه كان يعتمد على نظام استبدادي لا مجال فيه للشـورى ، و لا دور للشـعب أو القواعد الحزبية الوهابية ، فقد لجأ الى السـيف الـــذي أقـــام عليه مملكته . و اســتعان بفتــاوى رجــال الـــدين الوهـــــابيين الـــــتي أصـــــدروها ضد "الإخـــــوان" لكي يعتبرهم:**"متمـردين وخـوارج و غلاة"** و يخـرجهم من إطـار "المســلمين" ويجــرد غـــزواتهم من صـــفة "الجهـــاد" و يتهمهم بالتعصب و الانغلاق.[283] و ذلك تمهيدا لشن حـرب شـاملة عليهم سنة 1930

و لكن سـيف ابن سـعود لم يكن في ذلك الـوقت بـأقوى من سيف "الإخـوان" ، خاصة بعـدما لجئـوا الى الكـويت و العـراق ، وكـادوا يهـددون نظامه بالسـقوط ، لـولا تـدخل بريطانيا الـتي وقفت الى جانبه ضـدهم، و لعبت دوراً كبـيراً في إنقـاذ عرشه

---

[281] - التويجري ، عبد العزيز ، لسراة الليل هتف الصباح ، ص 476

[282] - المصدر ، ص 524

[283] - كتب الى مستشاره حافظ وهبة يتهممهم بأنهم غلاة يتشددون بالدين و مغرورين ، وانهم بين فرقـتين : إحـداهما تتعبد عن جهل ، والاخـرى لها بعض المقاصد السـيئة وتجعل الـدين لها حجـة. محمد جلال كشك : السـعوديون والحل الاسلامي ، ص660

من الانهيار[284]، حيث منعت حاكم الكويت من الوقوف الى جانب "الإخــوان" وقـدمت لابن سـعود أحـدث الأسـلحة ، و أرسـلت طائراتها لتهـــاجم مخيمـــات "الإخـــوان". و ألقت القبض على زعيمهم فيصل الدويش ، الذي لجأ الى الكـويت ، و سـلمته الى ابن سعود .[285]

وقد أصيب "الإخوان" بصدمة كبيرة من تأييد كبار رجـال الدين الوهـابيين لابن سـعود و إفتـائهم ضـدهم ، رغم أن موقف "الإخوان" كـان أقـرب الى منطق الوهابية من ابن سـعود ؛ مما دفعهم لاتهام المشايخ بالمداهنة في الدين وكتمـان الحق و دفن ملة إبراهيم.[286] و اتهام ابن سـعود باسـتغلالهم لأغراضه الخاصة وتوسـيع مملكته ، و التخلي عنهم و ضـربهم بعد ذلـك. و لـذلك شـعروا بـالألم والنـدم لأنهم اسـتخدموا كمطية ، فلم تعد لـديهم رغبة في الـولاء أو في الانـدفاع في الحركة الوهابيـة.وكـان كل همهم أن يُـتركوا و شـأنهم .[287] و تخلـوا حـتى عن لبس العمامة الاخوانية.[288]

وبعد القضاء على "الإخوان". وتنظيمهم القبلي العسكري ، لم يعد للوهابية وجـــــود حقيقي في نجد ، ولو أنها ظلت ممثلة بتيـار (آل الشـيخ) تـؤدي للنظـام السـعودي بعض الوظـائف الضـرورية في السـيطرة على المجتمع . إذ تحـولت من حركة عقائدية طامحة الى فتح العـالم الإسـلامي "المشـرك" و نشر التوحيد فيه ، الى مؤسسة دينية تابعة للدولة السعودية.

---

[284] - يقول المقيم البريطاني في الكـويت ، هارولد ديكسـون:" ان الفضل في انتشال ابن سعود من الوضع السـيء الـذي كـان فيه يعـود الى الحكومة البريطانية ، فلولا جهودها في إبقاء الكويت والعراق على الحياد ووضعها قوة كبيرة على حدود الكويت الجنوبية أجبرت الثـوار على الاستسـلام ، لما تمكن ابن سعود من سحق الثورة ، ولكان تعرض هو والـبيت السـعودي الى أخطر النتائج". الكويت وجاراتها ، ج1 ص 342

[285] - كشك ، محمد جلال ، السعوديون والحل الاسلامي ، ص 633-636

[286] - وهبة ، حافظ ، جزيرة العرب في القرن العشرين ص 312

[287] - ديكسون: الكويت وجاراتها ، ج1 ص 343

[288] - المصدر ، ج1 ص 344

علاقة ابن سعود برجال الدين

و كما فعل ابن سعود مع "الإخوان" الذين استخدمهم في فرض هيمنته على البلاد ثم ضربهم ، قام ابن سعود باستخدام رجال الدين في عملية ضرب "الإخوان" و فرض الهيمنة عليهم. إذ استخدمهم لتقوية نظامه و إضفاء الشرعية عليه ثم ضربهم سياسياً ، خاصة بعد اختلال ميزان القوى لصالحه بشكل كبير ، حيث عزلهم عن التأثير على الحياة السياسية أو المشاركة في الحكم أو ممارسة قانون الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، أو الاعتراض على السلطة المطلقة التي بنوها بأيديهم. وعلى رغم أن ابن سعود ظل يحرص لفترة طويلة على دعوة بعض العلماء أسبوعياً ، والاجتماع معهم لاستماع وجهات نظرهم ، الا أن عملية الاستشارة كانت فردية مزاجية و سرية فهو الذي كان يختار العلماء الذين يود استشارتهم ، و هو الذي كان يقرر العمل على ضوء ما يشاء . ولم تكن العملية ضمن مؤسسة دستورية واضحة و علنية معروفة ، ولا تمتلك آلية لفرض الرأي المصوب أو المجمع عليه. حيث كان ابن سعود يلف الاجتماعات بغطاء كثيف من السرية.[289] ولا يسمح لأي أحد بمعرفة ماذا يدور فيها وماذا يقدم له العلماء من ملاحظات وانتقادات ، وما هي الأسس التي تدفعه لقبول رأي أولئك العلماء بخاصة و عدم الاستماع إلى وجهات نظر العلماء الآخرين. ومن هنا فقد كانت نتائج تلك الاجتماعات عقيمة ، ولم تؤثر على سياسة عبد العزيز في أي اتجاه ، بل يمكن القول إنها لم تكن سوى غطاء لأعماله وتحركاته ، أو محاولة لخداع العلماء و إقناعهم بوجود دور كبير لهم في إدارة البلاد.

ونتيجة لعدم تقنين العلاقة بين العلماء و ابن سعود ، و تركها للمزاج الشخصي ، فان العلماء افتقدوا قوة الضغط التي تتيح لهم فرض آرائهم و اقتراحاتهم ، أو إلزام الملك والسلطة التنفيذية بما يقترحون. ولم يحدث خلال تاريخ الملك عبد العزيز أن استمع أو نزل عند إرادة العلماء سوى بضع مرات فقط و في قضايا شكلية ثانوية ، وذلك عندما احتج العلماء على

[289] - كان ابن سعود يقول للعلماء : " من رأى منكم شيئا مخالفا ، فليوضحه لي وليرشدني إلى الطريق الحق ، ولكن كما قال عمر بن الخطاب لمن أراد أن ينصحه : (فليكن ذلك بيني وبينك)" .

محاولاته للاحتفال بعيد العرش عــام 1930م و1950م ، بعد أن اعتبروا الاحتفال بذلك بدعة يجب الاستغفار منها ، فتنازل الملك وألغى الاحتفالات.[290]
و رغم أن رجال الدين الوهابيين كانوا في بعض الأحيان يدخلون في منافسة حـــــادة مع آل ســـــعود على احتلال ما تبقى من المصادر الشعبية الرئيسية للسـلطة ، الا انهم كـانوا أضـعف من فرض آرائهم بالقوة ، في ظل غياب أية مؤسسـات دسـتورية أو قانونية او قواعد شعبية او حزبية تسمح لهم بذلك.

3- علاقة ابن سعود بالشعب

إذن فقد أقام ابن سعود دولته علي القوة والقهر والغلبة و من هنا فقد أضفى عليها طابعاً شخصياً باعتبـاره فاتحا ومقـاتلا ومالكا للسلطة و البلاد والعباد ، وقد قال بصـراحة :" أما الولاية وبلدانها و أرضـها فهي لله ثم لي".[291] ولـذلك لم يؤسس أنظمة دسـتورية أو مؤسسـات عامة لإدارة السـلطة في البلاد ، فضلا عن توزيعها بين مراكز قوى متعددة ، أو السماح للشـعب أو لما تبقى من الوهابيين بممارسة الحق في المشاركة السياسية.
لقد أثرت الطريقة التي تم عبرها الوصول إلى السـلطة والمحافظة عليها ، في بنية النظام السـعودي وطبيعة علاقته مع الشـعب ، و بما أنها كـانت عــبر القــوة المســلحة و الاحتلال العسكري ، فان علاقة النظـام مع المواطـنين كـانت قائمة على القـــوة ، و بما ان النظرية الدينية الـــتي تم توظيفها في عملية التأسـيس كـانت هي "الوهابية" الـتي تكفّـر عامة النـاس ، فقد كانت علاقة النظام السعودي مع المواطنين قائمة على الشك و الإقصاء و رفض المشاركة السياسية. وقد انعكست هذه العلاقة

---

290 - كشك ، السـعوديون والحل الإسـلامي 78 و أنـور عبد الله ، العلمـاء والعرش 259 و261 و الزركلي، شبه الجزيرة العربية 744 ، وكذلك فعل ابنه فيصل سنة 1965

291 - التويجري ، عبد العزيز: لسراة الليل هتف الصباح ، ص 466

السـلبية – كما رأينا - حـتى على أفـراد الحركة الوهابية الـذين تعرضوا في وقت متأخر إلى عملية تصفية و تدجين و إقصاء عن الحياة السياسية.

و على رغم قيام الدولة السعودية الثالثة في أجـواء الحركة الدستورية و الديموقراطية التي عمت العالم الإسـلامي حينـذاك ، وأدت إلى سن الدسـتور في كل من الدولة العثمانية و إيـران عـام 1906 و 1908م ومتابعة الملك عبد العزيز لأنبـاء تلك الحركة الدستورية و وعوده بإقامة نظام الشورى [292]، فانه أقام دولته على أساس من الاسـتبداد الشخصي المطلق ، وجمع بين يديه كل السـلطات الدسـتورية والتشـريعية و القضـائية و التنفيذيـة.[293] مع انه كـان قد اعتـبر هـذا النـوع من العلاقة بين الحـاكم والأمة ، والـذي كـان معمـولاً به أيـام الدولة العثمانية ، نوعا من الاسـتعباد المرفـوض الـذي يتنـافى مع التوحيد .[294] ولكنه لم يجد مانعا من ممارسته مع رعيته.[295]

---

292 - أكد الملك عبد العزيز بعد دخوله مكة المكرمة عام 1343 لأهالي الحجـاز أن نظـام حكمه سـيقوم على تطـبيق الشـريعة وأن الأمر سـيكون شـورى بين المسـلمين. ابن بـاز ، أحمد عبد اللـه: النظـام السياسي والدستوري للملكة العربية السعودية ص 67

293 - بايع أهل الحجاز ابن سعود يوم 25 جمادى الثانية 1344 (10 يناير 1926) على أن يكون ملكا على الحجاز بشرط أن يكون الحجـاز للحجـازيين وان يكون أهله هم الذين يقومـون بـإدارة شـوؤنه ، وان تكـون مكة المكرمة عاصمة للحجازيين. كشك ، محمد جلال : السـعوديون والحل الإسـلامي ص 532

294 - فقد قال في استقبال الأمير وحيد الدين حفيد السلطان عبد الحميد ، في الرياض في 9 ذي الحجة 1349 هـ – 1931 : "إن أعظم من حاربنا هم أجداد هـذا الرجل ، ولم يقاتلونا إلا لأننا امتنعنا أن نقـول للسـلطان بأننا عبيد أمـير المؤمـنين ، لا .. لا .. لسـنا عبيـدا إلا لله تعـالى". كشك ، محمد جلال: السعوديون والحل الإسلامي 435

295 - يقول الكاتب النمساوي المسلم الذي رافق ابن سعود ، محمد أسد: "إن ابن سـعود لم يحقق آمـال العـرب والمسـلمين ، فبينما زادت قوته و توطدت ، و اتضح أن ابن سعود لم يكن أكثر من ملك يهـدف إلى ما هو ليس أسمى و أرفع من أهداف الكثيرين من الحكام مطلقي السـلطة من قبله في الشرق... و هو لم يفعل شـيئا بسـبيل بنيـان مجتمع تقـدمي عـادل. و عنـدما سـئل مـرة لمـاذا لم يحـاول أن يقيم دولته على أسس أقل شخصـية ليتمكن أبناؤه من أن يرثوا بناء حكوميا منظما ، أجاب:" لقد أسست مملكتي بسيفي و جهودي فليبذل أبنائي جهودهم الخاصة من بعدي". المصدر، ص 68

و كان من الطبيعي ان يتم احتكار السلطة في العائلة المالكة بشكل مطلق ، وان يرفض الاعتراف بحق الشعب في السلطة او في كونه مصدرا لها . حيث لم يعد موضوع "حق" آل سعود في الملك محلاً للنقاش أو التساؤل. بل ولا مدى صلاحيات الملك أو كيفية نصبه وعزله موضعاً للحوار بين الناس الذين يجب عليهم التسليم والطاعة. وبما أن عملية السيطرة على مختلف المناطق السعودية كانت قد تمت عبر الفتح والاحتلال العسكري ، فقد كان التعامل مع المواطنين يتسم بنوع من الاستعلاء والاستعباد والغرور ، الذي تمثل في إضفاء اسم العائلة (السعودية) الحاكمة على الوطن والمواطنين في نجد والأحساء وحائل و عسير والحجاز. وانتهاج النظام السعودي سياسة استبدادية مطلقة واعتبار الثروة الوطنية والبلاد والعباد ملكا شخصيا.[296]

وبالرغم من ذلك فان النظام السعودي ، ونظرا لشعاراته الإسلامية ، وانتشار المشاعر الديموقراطية في العالم ، كان يشعر بنقص كبير و أزمة شديدة في العلاقة بينه وبين المواطنين التواقين للحرية والعدالة والشورى والمشاركة السياسية.ولذلك كان يحاول ان يجاري تلك المشاعر وأن يضفي على نفسه مسحة ديموقراطية. وقد قال الملك عبد العزيز بن سعود : " يدعي البعض أن الحرية من أوضاع الأوربيين ، والحقيقة أن القرآن الكريم قد جاء بالحرية التامة الكافلة

---

296 - يكاد يجمع المؤرخون على أن عبد العزيز بن سعود كان يحكم المملكة العربية السعودية حكما شخصيا ويدير الأمور وكأنها شأنا من شؤونه المنزلية ، إلى أن توفي عام 1953م ، وكمثال على ذلك ، يشير المؤرخون إلى أسلوب تعاطي الملك مع الثروة الوطنية الهائلة التي كان ينظر إليها كثروة شخصية و لم يكن يفرق بينها وبين أمواله الخاصة . وكانت أول ميزانية قدمتها السعودية في عام 1958-1959 وقد خصص للعرش 17% من الميزانية لإنفاقها وفق رغبات الملك بالإضافة إلى 19% من الميزانية وضعت تحت بند (نفقات أخرى) لتنفق حسب الرأي الشخصي للملك. / أنور عبد الله ، العلماء والعرش ،ص 94 وكشك ، السعوديون والحل الإسلامي ص 72

وقد ذكر الأمير الوليد بن طلال لصحيفة نيويورك تايمز في 30/11/2001 أن الأمراء السعوديين يحصلون عند ولادتهم على مرتب سنوي قدره 180 ألف دولار .

لحقوق الناس جميعا ، وجاء بالإخاء والمساواة المطلقة الـتي لم تحلم بها أمة من الأمم". و " إن النــاس الــذين لا نشك أن الله عالم بقلوبهم ، وأنهم أعداء بعضـهم لبعض كما قـال الله تعـالى (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) قد بلغوا بالشورى مـراتب عالية في الدنيا ، ونحن المسـلمون أمرنا الله بالمشـورة ، والمشـورة لها أساس ، وهو النصح بالتزام الحق". و " أما السـير على غـير المشورة ، فهو مجلبة للنقص والهوى ، هوى النفس ".[297]

ولأن النظام السعودي كان يشعر في قرارة نفسه ان الارتكاز على القوة فقط ، يعطي الآخرين الحق في اللجوء اليها والعمل من أجل الإطاحة بالنظــام ، فقد كــان يحــاول أيضا ان يكتسب الشـــرعية الدســـتورية من خلال التظــــاهر بالعمل بالشــــريعة الإســلامية ، وأخذ البيعة من المواطــنين وإقامة بعض مظــاهر الشورى أو الديموقراطية ، أو الوعد بتحقيقها.

الشورى لأهل الحجاز

و قد قدم ابن سعود جـزءاً من تلك الوعـود الديموقراطية الى سـكان الحجـاز المرعـوبين من التطـرف الوهـابي ، قبيل و أثنــاء عملية الاجتيــاح ، حيث أصــدر منشــوراً بتــاريخ 22 صــفر 1343-1924 يعد فيه المسـلمين ، وأهل الحجـاز بالخصـوص ، بأن تكون الحجاز ومكة للمسلمين عامة وأن يكون أمر الحرمين الشـريفين شـورى بين المسـلمين . ويقـول :"إنما أنا وكيل عن المسلمين في طرد الهاشـميين ليقـرروا مصير الحجـاز بحريـة".[298]. ثم أصدر منشورا آخر في 24 ديسـمبر1925 – 1344 ، أكد فيـه: أن مسـتقبل البلاد لا بد لتقريـره من مـؤتمر إسـلامي يشــترك المســلمون فيه جميعا لينظــروا مســتقبل الحجــاز ومصالحه. وقال:" لقد أبرقنا لكافة المسلمين في سـائر الأنحـاء أن يرسـلوا وفـودهم لعقد مـؤتمر إسـلامي عـام يقـرر شـكل الحكومة الــذي يرونه صــالحا لأحكــام الله في هــذه البلاد المطهــرة".[299] ولكن ابن ســعود تراجع عن فكــرة المــؤتمر

---

[297] - كشك ، السعوديون والحل الإسلامي ، ص 37-38

[298] - المصدر ، ص 526-527

[299] - المصدر، ص 528

الإســلامي ، بعد فتح مكة ، وعين نفسه ملكاً على الحجــاز .[300]
ومع ذلك ظل يــدعو إلى عقد مجلس شــورى من أهل الحجـاز لإدارة بلادهم ، وقال في خطابه أمـام قيـادات مكـة:" لا أريد ان استأثر بـالأمر في بلادكم دونكم وإنما أريد مشـاورتكم في جميع الأمـور" وطلب من الحاضـرين أن يجتمعـوا لانتخـاب من يمثلهم في مجلس الشورى الأهلي . ثم قال في افتتاح مجلس الشورى الذي تم تشكيله بالفعل قبل أن تسقط مدينة جدة:" لقد أمــرت أن لا يُسَنَّ نظام في البلاد ويجري العمل به قبل أن يعرض على مجلسكم من قبل النيابة العامة وتنقحونه بمنتهى الحرية".[301]

ولكن تلك الوعــود الديموقراطية ســرعان ما ذهبت أدراج الريـــاح ، وتـــبين أنها لم تكن ســوى دعـــوات تكتيكية من أجل تطييب خاطر الحجازيين وتسهيل فتح بلادهم ، حيث لم يـفِ عبد العزيز بأي من وعوده بـأن يقـرر الحجـازيون مصـيرهم بحريـة، وبـأن يكـون أمر الحـرمين الشـريفين شـورى بين المسـلمين. وألغى المؤتمر الإسـلامي مباشـرة بعد احتلال مكة ، ولم يسـمح لمن حضر من الوفود المدعوة بالنظر في مستقبل الحجـاز ، ولا تقرير شـكل الحكومة في بلاد الله المطهـرة. وعيّن نفسه ملكا على الحجــاز . ومع أنه كــان قد طلب ، بعد ســقوط مكة ، من أعيـان الحجـاز تنظيم قائمة بأسـماء أعضـاء مجلس الشـورى ، وأنهم اجتمعوا بناء على ذلك وانتخبـوا ثلاثة عشر شخصا برئاسة الشـيخ عبد القـادر الشـيبي ، الا أن ابن سـعود لم يسـمح لـذلك المجلس بالانعقاد و لا مرة واحدة.

وبدلا من ذلك قام الملك عبد العزيز عام 1344هـ ، بتشكيل (مجلس أهلي) استشاري جديد بأعضاء معينين من قبله ، وحـدد لهم مهمـــاتهم في إطـــار الأمـــور البلدية والثقافية والتجارية والتنفيذية لمنطقة الحجــاز فقط ، مع عــدم التــدخل بالسياسة الخارجية للبلاد .وعيَّن ابنه الأمـير فيصل رئيساً للحكومة ومرجعا للــدوائر الرســمية تحت لقب (النــائب العــام لجلالة الملك في الحجاز)[302] اعتبارا من 28/6/1344 .

وبعد ذلك بعـام قـام عبد العزيز بتشـكيل مجلس آخر باسم (مجلس الشورى) برئاسة نائب الملك : الأمـير فيصل وعضـوية

---

[300] - المصدر، ص 69
[301] - المصدر ، ص 39

12 شخصا معينا . وأصـــــدر في 21/5/1345هـــــ (1926م) **(التعليمــات الأساســية للحجــاز)** لتكــون دســتورا للدولة الحجازية ، التي أصبحت ضمن الدولة السـعودية ، نصت المـادة الثانية منها على أن الدولة العربية الحجازية دولة ملكية شـــورية اسلامية مسـتقلة في داخليتها وخارجيتها. ونصت المـادة الرابعة على تشــكيل مجــالس شــورى في مكة والمدينة وجــدة. وفي التاسع من محرم 1346 اصدر ابن سـعود مرسـوما ملكيا يتعلق بنظـــام مجلس الشـــورى ويؤكد على ان المجلس يتـــألف من ثمانية أعضـــاء نصـــفهم تختـــارهم الحكومة بعد استشـــارة أهل الفضل والخـــبرة والنصف الآخر تختـــارهم الحكومة بمعرفتها ، ويكون برئاسة الأمير فيصل (النائب العــام) ، وللملك الحق في حل مجلس الشورى وتغيير أعضائه أو عزلهم. وفي عـام 1347 شـكل مجلس شـورى جديد مع تغيـير طفيف في عـدد الأعضـاء الذي أصبح مفتوحا بإرادة الملك. وهكذا شـكلت مجـالس أخـرى للشـورى في الحجـاز كل سـنتين حـتى عـام 1372 ولكنها كلها كانت أشبه بالحكومات المعينة منها بمجالس الشورى .

وعود ديموقراطية عقيمة

وعلى مستوى المملكة العربية السعودية أصدر الملك عبد العزيز في سـنة 1932 مرسـوما بتكليف مجلس من الـوكلاء لوضع نظــام أساسي (أي دســتور) للمملكــة، ونظــام لتــوارث العـرش ، ونظـام لتشـكيلات الحكومة وعرضـها عليه لاستصـدار أوامره فيها. وكان المرسوم يتضمن تشكيل جمعية منـدوبين.[303]

---

302 - ابن باز ، أحمد عبد الله: النظام السياسي والدستوري للملكة العربية السعودية ص 72

303 - يقول الدكتور أحمد بن باز: إن مجلس الشورى أقر في دورته لعام 1355هـــ مســـودة مشـــروع النظـــام الأساسي للمملكة وتم رفعه للملك للمصادقة عليه. ولكن الركود الاقتصـادي وأحـداث الحـرب العالمية الثانية لم يمكنا الحكومة من تنفيذ برامجها.. المصدر ، ص 96

وهو ما يعبر عن شعور النظام بالحاجة الى تشكيل قاعدة جديدة للشرعية الدستورية كبديل عن قاعدة القوة والقهر والغلبة. ولكن لم يتم ترجمة ذلك المرسوم الى واقع. وهكذا ظل النظام السعودي محافظاً على طابعه الاستبدادي المطلق.

وعندما توفي الملك عبد العزيز و ورثه ابنه الأكبر سعود أخذ يتصرف مثله كحاكم مطلق ، مما ولد أزمة في داخل العائلة المالكة ، ودفعهم للاختلاف فيما بينهم ، حيث انشق عدد من أبناء الملك عبد العزيز (فواز وبدر وعبد المحسن وسعد) بقيادة الأمير طلال عام 1958 وطالبوا بوضع دستور يحفظ الحرية والحقوق للمواطنين ، وإقامة مجلس للشورى في ظل الملكية.[304] فعين الملك سعود أخاه فيصلا رئيساً للوزراء ووضع نظاماً لمجلس الوزراء أعطاه دور السلطة التشريعية. وأعلن انه سيضع دستورا للبلاد ، وشكل لجنة حكومية لصياغته .[305] الا أن الأيام والسنون مرت دون أن ترى البلاد الدستور الموعود.

وعندما تولى الأمير فيصل رئاسة مجلس الوزراء للمرة الثانية ، أعلن في 3/6/ـ 1382 بأن الحكومة قد وضعت برنامجا إصلاحيا و قال :" إن الوقت قد حان لإصدار نظام أساسي للحكم مستمد من كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الراشدين ، يضع في وضوح كامل المبادئ الأساسية للحكم وعلاقة الحاكم بالمحكوم وينظم سلطات الدولة المختلفة وعلاقة كل جهة بالأخرى وينص على الحقوق الأساسية للمواطن ومنها حقه في التعبير عن رأيه في حدود العقيدة الإسلامية والنظام العام. وان نظام الشورى الإسلامي يجب أن يتم إحياؤه من جديد ليسهم أهل الحل والعقد في بناء الدولة ومراقبة أعمال السلطة ".[306] ولكن هذا الإعلان بقي مجرد حبر على ورق ولم يتم الوفاء به في ذلك الوقت.

---

[304] - القحطاني ، فهد: صراع الأجنحة ،ص92

[305] - المصدر ، ص 94

[306] - القحطاني ، فهد : صراع الأجنحة ، ص 237 راجع أيضا: ابن باز ، أحمد عبد الله: النظام السياسي والدستوري للملكة العربية السعودية، ص 97

ونظرا لغياب دستور واضح يحدد العلاقة بين الملك ورئيس الوزراء ، فقد كاد النظـام السـعودي يتفجر من الـداخل ويـدخل في حــرب أهلية ، وذلك عنـدما عين الملك سـعود أخـاه فيصلا نائبا عنه في فترة ذهابه للخارج للعلاج ، ولكن الأخ النائب رفض إعادة السلطة الى الملك بعد عودته الى الوطن ، مستخدماً لغة ديمقراطية جديـدة ، حيث قـال لـه:" ان هـذه السـلطات أمانة أودعتني إياها الأمة و أقـامتني أميناً عليها وإنها لن تكـون موضع مسـاومة ، كما إنـني لا أسـتطيع التخلي عنها الا إذا طلبتها الأمة صـاحبة الشـأن". وظل الأمـير فيصل في صـراع مع أخيه الملك سعود ، حتى اسـتطاع أن يجـرده من كل صـلاحياته ، بـدعم من رجـال الـدين وعلى رأسـهم آل الشـيخ الـذين أصـدروا في 16 شعبان 1383هـ فتوى تنص على حق فيصل بـإدارة جميع أمـور الدولة في غياب الملك وحضوره.[307] ثم قام الأمير فيصل أخيراً بالانقلاب على أخيه سعود وعزله من الملك سنة 1964.[308]

مجلس لأهل الحل والعقد

وقد أدت الأزمة الدستورية بين الملك سـعود ونائبه فيصل ، إلى قيـام مجلس غـير رسـمي وغـير معلن وليس منتخبا من أية جهة ، عرف باسم (مجلس أهل الحل والعقـد) وكـان يتـألف من حوالي 68 أميرا بالإضافة الى 12 شخصاً من كبار رجال الدين ، وهو الذي قام باتخاذ القرار بعزل الملك سعود.[309]

وقد كشفت الطريقة الـتي تم عـزل الملك سـعود فيها عن فوضى دستورية خطيرة ، حيث تمت عملية التغيـير اسـتنادا الى معـــادلات القـــوة في داخل العائلة المالكة ، وفي ظل غيـــاب

---

307 - القحطاني ، فهد: صراع الاجنحة ، ص 112 -113

308 - عبد الله ، أنور : العلماء والعرش ص 43 ملحق رقم 4

309 - وهو الآن يضم حوالي مائة أمير ينتمون الى آل عبد الرحمن آل سعود وعدد من ممثلي الفروع الصغيرة التابعة الى العائلة الحاكمة ، بالاضـافة الى خمسين عضـوا من العـائلات الأرسـتقراطية الـتي ترتبط بشـكل وثيق مع آل سعود ، مثل الجلوي والسديري وثنيان وآل الشيخ. وهناك أيضا بعض العلمـاء البارزين وبعض الأمراء الكبار المـؤثرين. ويبـدو أن معيـار العضـوية في "أهل الحل والعقد" يرتبط بكفـاءة الأصل والعمر والتمـيز والقيـادة حسب التقاليد البدوية. يماني ، مي: هويات متغيرة ، ص 67

دســتور واضح يحــدد صــلاحيات الملك ومســؤولياته ، ويرسم العلاقة بينه وبين الأمـراء والـوزراء ورجـال الـدين وعامة فئـات الشـعب ، ويعين الجهة الشـرعية الـتي تتـولى محاســبة الملك وعزله.

وبعد ان أصبح فيصل ملكاً قام بتعديل نظام مجلس الوزراء بحيث اصـبح كما يلي:" المـادة السـابعة: مجلس الـوزراء هيئة نظامية[310]، يرأســها مجلس الــوزراء وتصــبح قراراته نهائية بعد تصــديق جلالة الملك عليها".[311]ونظــرا لشــعور الملك فيصل بفقـدان النظـام للشـرعية الدسـتورية وَعَـدَ المواطـنين بإصـدار دستور يتضمن إقامة مجلس شـورى ويكفل الحقـوق الأساسـية للمواطنين .[312]

ولكن الملك فيصل قتل عام 1975 دون أن يقوم بأية خطوة في هذا الاتجاه.

وفي ذلك الوقت أعلن الأمير فهد ولي العهد ورئيس الوزراء ، عن إيمانه بالديموقراطية الإســلامية وقــال:"إن الشــورى هي إحدى أسس الديموقراطية الحقيقية". ووعد بقرب صدور نظـام مجلس الشورى.[313]

ولكن النظام السعودي استمر كما هو عليه ، إلى أن حدثت حركة جهيمان العتيبي في الحـرم المكي عـام 1979 ، فتـذكر الملك خالد موضوع الشورى وأمر بتشكيل لجنة لإعداد مشـروع الدستور.[314]

ثم عاد الملك فهد من بعـده ليصـرح عـام 1984 لصـحيفة (الصنداي تايمز) بعزمه على تأسيس مجلس الشورى خلال ثلاثة أو أربعة شــهور ، وان جميع أعضــائه ســيعينون مباشــرة من الحكومة ، وبعد ســنتين ســيعطي الشــعب حق انتخــاب نصف أعضـائه انتخابا مباشـرا عن طريق مجـالس المقاطعـات ، وفي مرحلة لاحقة ســيتم انتخــاب بعض أو معظم أعضــاء البرلمــان بالانتخاب المباشر من قبل المواطنين وسيكون المجلس برلمانا

---

[310] - أي تشريعية ، بالمصطلح السعودي
[311] - القحطاني ، فهد : صراع الأجنحة ، ص 142
[312] - الياسيني ، أيمن : الإسلام والعرش ، 166
[313] - مجلة الأسبوع العربي بتاريخ 12/5/1975
[314] - الياسيني ، أيمن : الإسلام والعرش ، 203

كغيره من برلمانات العالم ، وأنه سيكون أداة للتعبير عن الـرأي ووسيلة لمراقبة تنفيذ سياسة الدولة وضمانا لمسـاهمة الشـعب في الحكم.[315]

الأنظمة الثلاثة تكرس الحكم المطلق

ومضت شـهور وسـنوات لم يحـدث خلالها شـيء إلى أن حدثت مناسبة عاصفة وهي حرب الخليج الثانية عـام 1991 وما أعقبها من حـدوث امتعـاض ومعارضة داخل السـعودية ، تمثل بتقديم مذكرات للنصيحة من قبل بعض المواطنين الى الحكومة ، فقام الملك فهد بتاريخ 1 / 3 / 1992 بالإعلان عن الأنظمة الثلاثة : (النظـام الأساسي للحكم، ونظـام مجلس الشـورى، ونظـام المنـاطق أو المقاطعـات). وتشـكيل مجلس للشـورى مؤلف من 60 عضوا معينا.

وقد نصت غالبية بنود النظام الأساسي على إعطاء صلاحيات واسـعة للملـك، بحيث يصـبح هو المحـور الأول والأخـير للحيـاة السياسية وصاحب الدور المطلق فيها من خلال:

1 ـ اختيار وإعفاء ولي العهد (المادة 5).

2 ـ رئاسة السلطات الثلاث، التنفيذية، والتشريعية، والقضائية ، (المادة 44).

3 ـ تعيين وإقالة القضاة و تنفيذ الأحكـام القضـائية (المـادة 50 والمادة 52).

4 ـ رئاسة مجلس الوزراء وتعيين وإقالة الوزراء، وحل وتشكيل الوزارة (المادة 56 و 57).

5 ـ تعيين وإقالة أعضاء مجلس الشورى، وحل المجلس، وتعيين بديل له (المادة 68).

6- إصدار الأنظمة والمعاهدات، والاتفاقيات الدولية والامتيازات وتعديلها أو إلغائها (المادة 70).

7- إصدار الميزانية العامة للدولة (المادة 76).

---

[315] - القحطاني ، فهد : صراع الأجنحة ، ص 234

8- الإنفاق من الأموال العامة خـارج المقـرر في ميزانية الدولة (المادة 73).
9- تعديل النظام الأساسي (المادة 83).
10- الفصل في الخلاف بين مجلس الشـورى ومجلس الـوزراء (المادة 17 ـ نظام مجلس الشورى).
11- تعـيين أمـراء المنـاطق ونـوابهم ومحـافظي المحافظـات وأعضاء مجالس المناطق وعزلهم (المادة 4 ، 10 ، 16 ، 20 ، نظام المناطق).

وفي الــوقت الــذي أعطى النظــام الأساسي للملك تلك الصــلاحيات الواســعة ، لم يشر أبــدا إلى واجباته ، ولم يســمح بإخضـاعه لأي نظـام محاسبة أو مسـاءلة . مما كـرس الانفـراد المطلق للملك في الحيـــاة السياســـية ، وحافظ على صـــيغة النظــام الملكي المطلق الــتي كــانت قائمة فعلا منذ تأســيس النظام السعودي في مطلع القرن العشرين. ولم يوضح النظـام الأساسي طريقة عزل الملك في حـالات العجز أو سـوء التـدبير أو الانحراف ، حتى من قبل العائلة المالكة أو مجلس أهل الحل والعقد ، في حين كـــان يفـــترض بالنظـــام الأساسي الجديد أن يوضح طريقة العــزل والجهة المســؤولة للقيــام به ، كــأن يكل الأمر إلى مجلس الشــــورى ، كما هو الحـــال في معظم دول العـالم ، أو مجلس أهل الحل والعقد ، أو حـتى العائلة المالكـة. ولكن النظام الأساسي أهمل الحديث عن هذا الموضوع الحيوي وتركه لمعادلات القوة في المستقبل.

ومع انه نص في المادة الثامنة على أن يقـوم الحكم على أسـاس الشـورى ، وصـدر نظـام خـاص بـذلك ، الا ان المجلس الذي تمخض عنه كان مجلساً معيناً وليس منتخباً . ومع ذلك فان النظـام لم يعطه حق التشـريع وإنما التوصـية بـالقوانين فقـط. كما جاء في المادة السابعة عشـرة من نظـام مجلس الشـورى التي تقول : "ترفع قـرارات مجلس الشـورى الى رئيس مجلس الــوزراء ويحيلها الى مجلس الــوزراء للنظر فيها ، فــان اتفقت وجهـات نظر المجلسـين صـدرت بعد موافقة الملك عليها ، وان تباينت وجهات النظر فللملك إقرار ما يراه".[316]

---

316 - ابن باز ، أحمد عبد الله: النظام السياسي والدستوري للملكة العربية السعودية، ص 322

ولا يضمن نظام مجلس الشورى أية حصانة سياسية لأعضاء المجلس ، وإنما يلحقهم وظيفياً بنظام الخدمة المدنية، الأمر الذي يسمح للسلطة باتخاذ إجراءات إدارية ضد أي أحد منهم ، ومحاكمتهم ومعاقبتهم ، مما يفقد المجلس الحرية والاستقلالية والقدرة على التصدي للسلطة التنفيذية أو محاسبتها.[317]

وفي الوقت الذي يطلب نظام الحكم من المواطنين مبايعة الملك على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره (المادة 9) ، ويدعو إلى تربية الأبناء على طاعة الملك (المادة التاسعة) فانه لا يعطي الأمة الحق في انتخاب الملك ولا عزله بالطبع ، كما يتجنب الاعتراف الصريح بالحقوق الأساسية للمواطنين ، خصوصا حرية العقيدة وحرية الرأي والتعبير ، وحقهم في المشاركة السياسية عبر تشكيل الأحزاب أو النقابات.[318]

وفي مقابل ذلك ينص النظام الأساسي على إلحاق وسائل الإعلام المحلية بالدولة، ويفرض عليها الالتزام بسياساتها (المادة 39) . مما يعني مصادرة حرية المواطنين في التعبير عن آرائهم في القضايا التي لا تنسجم مع السياسات الحكومية.

ويؤكد النظام الأساسي أن لا دور للشعب في تعديل أية مادة من مواد النظام ، وإنما يجري ذلك بنفس الطريقة التي تم بها إصداره ، أي بالإرادة الملكية. كما هو صريح المادة (83) .

---

317 - يقول الدكتور أحمد بن باز: تنص المادة السادسة من نظام مجلس الشورى على أنه :" إذا أخل عضو المجلس بواجبات عمله ، يتم التحقيق معه ومحاكمته وفق قواعد وإجراءات تصدر بأمر ملكي". وقد صدر أمر ملكي يحدد قواعد التحقيق والمحاكمة لعضو مجلس الشورى وإجراءاتها ، وينص على معاقبته بإحدى العقوبات التالية: أ- توجيه اللوم كتابة. ب – حسم مكافأة شهر. ج – إسقاط العضوية. مع امكانية رفع الدعوى العامة أو الخاصة على العضو. المصدر ، ص 228

318 - كانت قد صدرت في عام 1965 م عدة مراسيم ملكية تحرم تشكيل الأحزاب والجمعيات السياسية والتظاهر والإضراب عن العمل ، وتعتبر الانتماء إلى أي حزب أو الدعوة إليه جريمة ضد أمن الدولة ، وتنص على معاقبة كل من يثبت بحقه ارتكاب الجرائم الموصوفة بعقوبات تتراوح بين السجن والنفي والإعدام.

و لقد تكرر في النظام الأساسي النص على استناد الحكم إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله كما في المادة (1 ، 5 ، 6 ، 7) وغيرها من المــواد ، ولكنه لم يوضح النصــوص الــتي يســتند إليها في طبيعته الوراثية وحصر الحكم في العائلة الســـعودية ، كما جاء في المادة رقم (5).

ومع كل ذلك فقد وصف الملك فهد النظام الأساسي والنظام الجديد لمجلس الشــورى ، بأنه يقــوم على أســاس الإســلام ويشكل اسـتجابة لقـول الله عز وجـل: (وأمـرهم شـورى بينهم) وأنه تحـــديث وتطـــوير لما هو قـــائم " ولقد ذكرنا من قبل في مناسبات كثيرة أن البلاد شهدت قيام مجلس الشورى منذ وقت طويل ، وخلال هـذه المـدة اسـتمرت الشـورى في البلاد بصـيغ متعددة متنوعة ، فقد دأب حكام المملكة على استشارة العلماء وأهل الـــرأي ، كلما دعت الحاجة الى ذلـــك... ومن رحمة الله بالناس : أنه تعالى لم يشرع شكلاً واحداً لتطـبيق الشـورى ، بل جعل الشــورى وصــورتها لاجتهــاد المســلمين في كل زمــان ومكان".[319]

وعلى أية حال لم يفلح النظام الأساسي الـذي قدمه الملك فهد ، في تلبية حاجة المواطـــنين للديموقراطية ، وخاصة لجهة الانتخابات المباشرة لأعضاء مجلس الشورى .[320] وكان أشـبه ما

---

[319] - آل سعود ، فيصل : رسائل أئمة دعوة التوحيد ، ص 178 ـ 179 وقد صدق الملك في ذلك فان الله تعالى لم يشـرع شـكلا واحـدا للشـورى ، وقد اختلف الفقهاء المسلمون تاريخيا حول الزامية الشـورى للحـاكم أو عـدمها ، ولكن المشـــكلة تكمن في مصـــادرة الحكـــام لحق الأمة وحق الفقهـــاء في الاجتهاد ومحاولة فرض آرائهم على الجميع بالقوة ، ورفض مشاريع الشـورى الحقيقية الـتي تجمع عليها عامة المسـلمين ، بالاضـافة الى التشـكيك بهوية المسلمين واتهامهم بالكفر والشرك وحصر صفة (التوحيد والاسـلام) في فئة صغيرة من الناس.

[320] - فقد دعا الأمير الوليد بن طلال ، في حوار أجرته معه صحيفة نيويورك تايمز ، بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، إلى إجراء انتخابات لمجلس الشورى السـعودي ، مشـيرا إلى انه " كلما تم ذلك بسـرعة كـان أفضل ، بالنسـبة للمملكة. وأنه إذا سمح للنـاس بالحـديث بحرية و المشـاركة بقـدر أكـبر في العملية السياسية ، فسيكون بالإمكان احتواءهم وجعلهم جـزءا من العمليـة". وقـال الوليد إن فكـرة الانتقـال التـدريجي إلى ديمقراطية محـدودة تطـرح للحـوار العلـني داخل دوائر الأسـرة المالكـة، رغم أنها لا تطـرح للنقـاش في وسائل الإعلام السعودية من صحف أو تلفزيون، التي تخضع لرقابة الدولة أو ملكيتها.

يكـــون بالمنحة المحـــدودة القابلة للســـحب في أية لحظة [321]، وذلك بسـبب إيمـان النظـام السـعودي بحقه المطلق باحتكـار السلطة التي اسـتولى عليها بقـوة السـيف ، ورفضـه الاعـتراف بحق الشـعب في السـلطة أو كونه مصـدرا لها . ولـذلك فقد تم اسـتبعاد أية فكـرة للتصـويت على النظـام الأساسي من قبل الشـعب عـبر الاسـتفتاء العـام أو مناقشـته عـبر مجلس شـورى منتخب . ولا يزال النظام السـعودي يـرفض إجـراء أية انتخابـات برلمانية او رئاسية أو أخذ رأي الشعب في تعيين الملك القادم ، ويواصل اسـتمراره على أسـاس القـوة والقهر والغلبة ، مع أخذ البيعة من الناس بشكل صوري لا يقدم ولا يؤخر.

ولا حاجة للقول إن الفكر الوهـابي السياسي يتبـنى بشـكل كامل النظـــام الســـعودي كما هو ، ويتفق في إعطـــاء الحـــاكم الصـلاحيات المطلقة على حسـاب الشـعب الـذي يشـكك في الهوية الإسلامية للكثـير من أفـراده وطوائفه وتياراته وأحزابه ، وإنه يرفض المس بهيكلية النظام الأساسية لجهة توزيع السلطة خوفا من فقـــدان الســـلطة الـــتي تم إحرازها عن طريق الفتح والقهر والغلبة.

---

321 - يقـول الـدكتور أحمد بن بـاز:"ان اسـلوب نشـأة النظـام الأساسي للحكم يشبه الى حد كبير أسلوب المنحة".المصدر ، ص 98

الفصل الخامس
المؤسسة الدينية الوهابية و الشورى

تشكيل المؤسسة الدينية الوهابية

أثبتت تجربة "الإخوان" أن الفكر الوهابي التكفيري كما يمكن ان يكون سلاحاً بيد الحاكم ضد الشعب كذلك يمكن ان يكون سلاحاً بيد الشعب او قطاع منه (كالحركة الوهابية) في مواجهة الحاكم ، خاصة إذا انحرف عن الشريعة الإسلامية او "كفر" و "ارتد" و "أتى بناقض من نواقض الإيمان و التوحيد" ، الا إذا تمت السيطرة على ذلك الفكر ولجمه بقوة. ورغم ان ابن

سـعود دخل في مواجهة صـعبة مع "الإخـوان" كـاد يفقد فيها عرشه ، ورغم أن الوهابية ظلت تشكل مصدر إزعـاج كبـير لابن سعود ، الا انه لم يقرر تصـفيتها نهائيا ولا وإلغاءها تماما ، و ذلك نظـرا لأنها كـانت لا تـزال تشـكل سـلاحا مهما ضد المجموعـات السـكانية المختلفة الـتي قد تطـالب بحقوقها الديموقراطية أو تتطلع للمشـاركة في صـنع القـرار السياسي ، وذلك بما كـانت تـوفره من تشـكيك بهوية تلك المجموعـات الإسـلامية ، ودعـوة لطاعة الحـاكم طاعة مطلقـة. وكـان ابن سـعود واثقاً من السـيطرة على الحركة الوهابية وقدرته على الاسـتفادة منها لخدمة أغراضه السياسية وبناء نظام استبدادي مطلق.

ومع أن الوهابية الأولى كانت ترفض التقليد وتنادي بفتح باب الاجتهـاد والعـودة الى فضـاء الإسـلام الـرحب ، وعـدم التقيد بقنـوات المفسـرين والمجتهـدين السـابقين الضـيقة ، فـان ابن سـعود وجد أن من الخطـورة تـرك الحبل على غاربه لكل من يريد تفسير الإسلام أو تفسـير الوهابية أو حـتى نصـوص الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب و تنزيلها على الواقع ، و علم أن ذلك سيجر عليه بابا من الفتنة و الشر ، ولذلك قام بمأسسة الوهابية ، أو تأسيس مؤسسة دينية تشبه "المرجعية الدينية الشيعية" أو "الفاتيكان" أو "اللجنة المركزية في الحزب الشيوعي اللينيني". ولكن مع فـارق كبـير هو تعـيين المؤسسة الدينية الوهابية من فـوق ، وعـدم انتخابها من القواعد الشـعبية. وأصـدر تعليماته القاطعة بضـرورة التبعية للمؤسسة الدينية الـتي أنشـأها ، أو بعبـارة أدق لخط مدرسة آل الشـيخ في تفسـير الوهابية و الإسلام ، وتحريم أي نشاط فكري إسلامي حر خارج هذا الإطـار حتى لو كان وهابياً.

وفي هذا الإطار وجه عبد العزيز بن سعود رسالة الى جميع العلماء ، جاء فيها :" .. ما هو بخافيكم (بخافٍ عليكم) أولاً نشأة هـذا الأمر وتقويمه من الله ، ثم أسـباب الشـيخ محمد بن عبد الوهاب و أوائلنا رحمهم الله تعـالى ، وما جـرى على المسـلمين من اختلاف ولايتهم مـراراً ، وكلما اختلف الأمر و شـارف على نقض دين الله و إطفـاء نـوره أبى الله فـأخرج من الحمولتين[322] من يقوم بذلك...

[322] - (آل الشيخ وآل سعود)

ثم بعد ذلك تفهمـون : أن أسـباب الشر كثـيرة و لا بد أن يحصل من النـاس بعض اختلاف آراء ، أحد يبحث عن المخالفة ، و أحد يبحث عن الـــترؤس و أحد جاهل يريد الحق ولكنه خفي عليه سبيله فاتبع هواه ، وهذا كله مخالف للشرع.. وتفهمون أنه منذ أظهر الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قـرن أطيب من وقتنا و رجال أطيب من رجالنا وعلماء أطيب من علمائنا فسـدد الله به و قـام بهـذه الكلمة وجـدد الله به أمر هـذا الأصل وأنقذ بأسبابه الناس من الضلالات ، فبـان أمـره لأولي البصـائر وخفي ذلك على كثـير من النـاس.. وقبل هـذا الحق و رضـيه آباؤنا وأجـدادنا وعلمـاء المسـلمين فيما أتى به من الأصل والفـرع ، ويتعين علينا وعليكم إن شاء الله أن نقتدي بما اقتدوا به. وليس بخـافٍ عليكم حـال هـذا الزمـان وكـثرة الطـالب والسـائل وقلة البصيرة والفهم ، وليس بخافٍ عليكم اختلاف العلمـاء في أمـور الفروع...

والآن يكـون الأمر على مثل ما ذكر المشـايخ أعلاه ، فمن أفـتى أو تكلم بكلام مخـالف لما عليه الشـيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده: عبد الله وعبد الـرحمن وعبد اللطيف وعبد الله بن عبد اللطيف ، فهو متعـرض للخطر في دينه و دنيـاه ، لأنا نعـرف أنه لا يخـالفهم إلا إنسـان يريد الشر والفتنة بين المسلمين.

فأنتم جميعا – علماء المسلمين – التزموا بذلك وقوموا على من خالفه وسـمعتم منه مخالفة في قليل أو كثـير ، ما قـدرتم عليه نفذوه ، وما لم تقدروا عليه ارفعوه إلينا. إلا إن كـان هنـاك إنسان عنـده في مخـالفتهم دليل من الكتـاب والسـنة فلا يتكلم حتى يعرض أمـره على علمـاء المسـلمين ونعـرف حقيقته ، أما المعترض من غير ذلك فذمتنا وذمة المسلمين بريئة منه ويكـون معلوما عنده أنه على خطر".[323]

وكان ابن سعود قد منع "الهجر" من استقبال أي عالم حتى لو كـان وهابيا الا ضـمن المؤسسة الدينية الموالية لـه.[324] وحـرم الإفتـاء أو تفسـير القـرآن ، أو تأويل النصـوص الا في إطـار تلك

---

[323] - التويجري ، عبد العزيز ، لسراة الليل هتف الصباح ، ص 520

[324] - المصدر ، ص 398

المؤسسة ، وهــدد الــذين يخــالفون بأشد العقــاب .[325] وحــذر "الإخوان" من أن بعضهم يحـاول إخـراجهم من الـدين ، ونهـاهم عن سؤال أحد من العلماء الا الذين يعينهم هو من أمثال: الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ، والشــيخ ســعد بن عــتيق ، والشــيخ محمد بن عبد اللطيف ، والشيخ عبد الله العنقري ، والشيخ عبد الله بن سليم ، والشيخ عبد الرحمن بن سالم. وقـال لهم: " من حط عنـده طـالب علم أو سـأل غـير هـؤلاء المـذكورين أو أحـدا يجيزونه من طلبة العلم فأنا بـــري الذمة منه ولا يـــأمن العتب أيضا".[326]

وهكــذا تشــكلت المؤسسة الدينية الوهابية حسب إرادة الحاكم ، انطلاقا من مبدأ وجوب الطاعة المطلقة للإمـام ، ولم تنبثق من إرادة الأمة أو الحركة الوهابية الشــــعبية ، وقد دأب حكام آل سعود على اختيـار رجـال من آل الشـيخ محمد بن عبد الوهــاب ، لرئاسة المؤسســات الدينية والتعليمية والقضــائية ، وحصر مهمة الفتــــوى فيهم التزاما بالتحــــالف التــــاريخي الاستراتيجي بين البيتين (آل سعود وآل الشيخ). وذلك منذ قيـام الدولة السعودية الأولى و الى اليوم [327]. ولم يشـذوا عن ذلك الا

---

325 - المصدر ، ص 388

326 - المصدر ، ص 476

327 - فقد ورث الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، أبناءه عبد الله (الذي كـان مرجعا في عهد عبد العزيز وســعود وعبد اللــه) و حسن ، ثم ورث هــذا ابنه عبد الرحمن (الذي اصبح مرجعا للدولة السعودية الثانية ، أيام تــركي بن عبد الله وفيصل بن تــركي)، ثم ورثه ابنه عبد اللطيف (الــذي أصـبح مرجعا دينيا لفيصل) ، ثم ورثه ابنه عبد الله ، (الذي أصبح مرجع الدولة السعودية الثالثة من عــام 1902 الى وفاته عــام 1921) ، ثم ورثه الشــيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ الذي أصبح مرجعا للدولة من عام 1922 الى عــام 1932 ثم ورثه الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ الـذي أصـبح مرجعا أعلى حـوالي أربعين عاما من عام 1932 الى 1969 م

وقد كـان هـذا الشـيخ يتـولى 18 منصـبا دينيا وقضـائيا وتعليميا واداريا من الافتــاء الى رئاسة الكليــات والمعاهد الدينية والتعليمية الى رئاسة المجلس الأعلى للقضـاء ، ويعينه أبنـاؤه ابـراهيم وعبد العزيز واخوانه عبد الملك وعبد اللطيف وابن عمه الشيخ عمر بن حسن والشيخ عبد الـرحمن بن عبد العزيز والشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ .راجع: أنور عبد الله ، العلماء والعــرش 346

عندما عين الملك فيصل بن عبد العزيز ، بعد وفاة الشـيخ محمد بن إبــراهيم ، هيئة من 17 عضــوا من كبــار العلمــاء ، برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز ، وعندما توفي هذا الشـيخ عـام 1998 عاد الملك فهد الى القاعدة القديمة وعين الشـيخ عبد العزيز آل الشيخ مفتيا أكـبر ، رغم وجـود من هو أعلم وأكـبر منه ، التزاما منه بالتقليد السعودي القديم القاضي بحصر الرئاسة الدينية في آل الشيخ.[328]

التبعية للسلطة السياسية

ولأن الحاكم هو الـذي يعين العلمـاء في مناصـبهم وهو الـذي يــرحب بمن يريد ويطــرد من يريد ، وهو الــذي ينفق عليهم ، ولأنهم كانوا يؤمنون بوجـوب طاعة ولي الأمر في كل الأحـوال ، فقد افتقدوا حريتهم في النشاط الفكري والاجتهاد ، وغدوا أشبه بــالموظفين الــذين يتلقــون الــرواتب والتعليمــات من الحكومة ويقومــون بما يوكل اليهم من أعمــال ، وفقــدوا الاســتقلالية المحدودة التي تمتعوا بها من قبل ، وأصبح وضـعهم ونشـاطهم العـام محكوما بأهـداف الحـاكم . وفقـدوا القـدرة على ممارسة القيــادة والتوجيه للســلطة السياســية أو فــرض آرائهم عليها وإجبارها على احترام كلمتهم.

وبالرغم من أن العلماء الوهابيين (وعلى رأسهم آل الشيخ) كـانوا يشـكلون المظلة الشـرعية للعـرش السـعودي ، إلا انهم أصبحوا مجرد جماعة ضغط هامشـية تمـارس نفوذها على بعض النشاطات الحكومية ، و لا تتمتع بدور مستقل و قوي. حيث كان لزاما عليهم أن يــؤدوا دورهم وفقا لحاجــات الملك ابن ســعود وأهدافه السياســية. وإذا كــان لــديهم رأي معــارض فيجب أن يوجهوه إليه سراً وبشكل طلب شخصي غير ملزم بتاتاً.[329]

---

[328] - يبلغ عدد أمراء آل سعود حوالي 6000 رجل ، وكذلك عدد رجال آل الشيخ ، ويشكلون معا النخبة الحاكمة وهم مرتبطـون ببعضـهم عـبر علاقـات الزواج وصلات النسب . يماني ، مي: هويات متغيرة ، ص 66 – 67

وقد تجلى ذلك في الثلاثينات والأربعينات ، عندما فتح الملك عبد العزيز أبواب مملكته للأمريكان "الكفار" وسمح لهم بإنشاء قواعد ومنشآت عسكرية في الظهران ، مما أغاظ رجال الدين الوهابيين جدا ، ودفع بعضهم للاحتجاج العلني ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يغيروا من السياسية شيئا. فقد وجه المفتي الأكبر الشيخ محمد بن عبد اللطيف رسالة للملك عبد العزيز يعارض فيها سياسة الانفتاح على أمريكا قائلا :" الموجب لهذا هو النصيحة لكم، لأن الله تعبدنا بذلك و أوجبه علينا وحرم علينا الغش والسكوت عن البيان ، وهو أن الله مَنَّ عليكم بهذه الولاية الإسلامية الدينية التي نشأتم عليها وعشتم في ظلها بانتسابكم اليها ، ولكن يا محب.. الواجب عليك حفظ هذه الولاية و رعايتها وإحاطتها عما يشينها ويوجب زوالها.. ولكن دوران هؤلاء الأجانب في ولاية المسلمين بقولهم (معادن) وغير ذلك .. وتمكينهم من التماس المعادن بزعمهم لا يؤمن مكرهم... فالله الله يا إمام المسلمين في حياطة هذه الولاية والقيام بحفظها باطنا وظاهرا لأن الله مستدعيك وسائلك عن رعيتك...

كذلك دوجان (أي: جولان) هؤلاء في نجد تشمئز منه نفوس كل من كان في قلبه رائحة إيمان. والمعهود من أوائلكم رحمهم الله الامام فيصل ومن قبله أئمة هذه الدعوة ، إذا قدم عليهم أجانب تحفظوا منهم وجعلوا في كل مكان عندهم خداما ولا يدوجون (يجولون) في البلد ولا يدخل عليهم أحد.
22/ربيع الأول/ 1355 – 1936 ".[330]

ولكن الشيخ محمد لم يملك أية وسيلة لحمل الملك على تغيير سياسته ، وهو إن أشار عليه بشيء فمن باب الشورى غير الملزمة. وربما كان حال الشيخ محمد أفضل من حال إمام مسجد الرياض الذي أحسَّ بالملك عبد العزيز يصلي خلفه ذات صباح ، فاستغل الفرصة لكي يوجه له نقداً خفياً ويعرّض بعلاقته

---

[329] - دأب عبد العزيز بن سعود على دعوة بعض العلماء أسبوعيا ، والاجتماع معهم لاستماع وجهات نظرهم بصورة سرية .وكان يقول لهم : " من رأى منكم شيئا مخالفا ، فليوضحه لي وليرشدني إلى الطريق الحق ، ولكن كما قال عمر بن الخطاب لمن أراد أن ينصحه : (فليكن ذلك بيني وبينك)" .

[330] - التويجري ، عبد العزيز ، لسراة الليل هتف الصباح ، ص 378

مع الأمريكـان ، فقـرأ في صـلاته هـذه الآية :" ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم . قل إن هدى الله هو الهـدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ، مالك من الله من ولي ولا نصـير" . ولم يكمل الإمـام صـلاته حـتى هجم عليه الملك وأطبق بيديه على عنقه و راح يتلو بصوت مرتفـع:" قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبـدون ، ولا أنتم عابـدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبــدتم ، ولا أنتم عابــدون ما أعبد ، لكم دينكم و لي دين". [331]

أما الشيخ عبد العزيز بن باز ، فقد كاد يقدم عنقه ثمنا لكلمة قالها ضد علاقة الملك عبد العزيز بالأمريكـــان ، عنـــدما كـــان قاضـيا و واعظا في الخــرج سـنة 1364هــ (1944م) ، حيث قام بالتعبير عن رأيه في خطبة أمام النـاس ، وقـال:" إن الملك خان الأمانة و باع الوطن للأجنـبي ، وقد رأيت بعيـني الأمريكـان يستولون على الأرض و يزرعونها في الخرج ويسـخرون العمـال السعوديين ويشقون الطرق ويستعملون الماء النفيس كما يحلو لهم ... فهل من حق الملك أن يـــبيع بلادنا ومـــيراث أجـــدادنا للمشركين؟".

فأرسل إليه الملك واستقبله محاطاً بالأمراء ورجال البلاط والمستشارين والحرس والعلماء وأعضاء محكمة الشــرع العليا ، وقال له:

- إذا كان لديك ما تعترض عليه فقله علانية (أي: أمامي) ، لأن الإســلام يطلب مواجهة الحــاكم لا توجيه الاتهامــات من خلف ظهره.

فوقف الشيخ وقال أمام الجميع: إن الملك يبيع البلاد والناس للكفار وهـذا يخـالف التزاماته كحـاكم مسـلم وحـامي الحـرمين والمشاعر.

ثم قال له الملك: هل قلت كل ما عندك؟ فأجاب بالإيجاب ، عندها نزل الملك عن العرش وتقدم فوقف إلى جانبه قائلا:

- أنا لست الآن إلا مجرد مسلم أطلب أن يحكم بيننا بالشرع ، أنا عبد العزيز أطلب من القضاة والعلماء أن يفصـلوا فيما بيننـا. ثم التفت للعلماء وقال:

- أفتوني.. هل استخدم النبي غير المسلمين من أهل الكتـاب والمشركين؟

---

[331] - كشك، محمد جلال ، السعوديون والحل الإسلامي ، ص 429

ثم استعرض الملك الحالات التي وردت في السيرة ، فرد العلماء بالإجماع.. إن الملك صادق فيما قال. فعاد الملك يسأل: فهل خرجت أنا على الشرع ، إذا اتبعت سنة رسول الله ، واستخدمت خبراء أجانب للعمل لحسابي تحت توجيهاتي لزيادة موارد البلاد ، ويستخرجون لصالحنا المعادن والنفط و الماء وما سخره الله من خير لبلادنا؟

فرد العلماء: انه لم يخطئ

فسأل الملك الشيخ : هل رضيت؟

قال الشيخ: أنا أطيع قرار العلماء ولكن لم يطمئن قلبي

قال الملك: لقد احتكمت للشرع ، وقرر علماء الشرع أنني على حق وأنت المخطئ.. فإذا لم تعتذر خلال 24 ساعة فسوف أقطع عنقك.

وأخذ الشيخ تحت الحراسة. وانفض المجلس.[332]

ان القضية لم تكن قضية استعانة ببعض الخبراء الأجانب ، ولكنها كانت قضية تبعية وتحالف استراتيجي مع الغرب والولايات المتحدة الأمريكية بالخصوص ، ولذلك كانت تستثير المعارضة والاحتجاج من قبل العلماء الوهابيين قبل غيرهم. ولكن لم يكن هناك مجلس للشورى يستطيع العلماء فيه محاسبة الحاكم بصورة قانونية أو يفرضوا عليه سياسة معينة ، وبالتالي فان علاقتهم مع الحاكم كانت شخصية و مزاجية ، ولذلك افتقد العلماء قوة الضغط التي تتيح لهم فرض آرائهم واقتراحاتهم ، أو إلزام الملك والسلطة التنفيذية بما يقترحون ، واضطروا لقبول استثناء آل سعود من سلطة الشريعة الإسلامية.[333]

---

332 - المصدر ، ص: 64-65

333 - لم يحدث خلال تاريخ الملك عبد العزيز أن استمع أو نزل عند إرادة العلماء سوى بضع مرات فقط وفي قضايا شكلية ثانوية ، وذلك عندما احتج العلماء على محاولاته للاحتفال بعيد العرش عام 1930م و1950م ، بعد أن اعتبروا الاحتفال بذلك بدعة يجب الاستغفار منها ، فتنازل الملك وألغى الاحتفالات. المصدر ، ص 78 و أنور عبد الله ، العلماء والعرش 259 و261 و الزركلي، شبه الجزيرة العربية 744) ، وكذلك فعل ابنه فيصل سنة 1965 ، وقد قبل رجال الدين الوهابيون استثناء العائلة المالكة من تطبيق الشريعة الاسلامية ، حيث لم يطبق أي حكم شرعي عليهم منذ حادثة الأمير ناصر بن عبد العزيز ، أمير الرياض في الأربعينات ، الذي أقام حفلا مسكرا في بيته ، في شهر حزيران عام 1947 فمات سبعة أشخاص بالتسمم

الاعتزال السياسي

ولم يكن علماء المؤسسة الدينية الوهابية يتدخلون في الحياة السياسـية العامة الا عنـدما يطلب النظـام منهم ذلك لحمايته أو الدفاع عنه ، وقد جرت العادة أن يمنحهم الحاكم دوراً بـارزاً في الظروف الحرجة عندما يحتاج الى الشـرعية الدينية ، و يـدفعهم الى الهـامش عنـدما يسـتغني عنهم أو يتعـارض مـوقفهم مع موقفـه. ولــذلك كـان يغلب عليهم طـابع التبعية والتسـليم ، والانسـحاب السياسي وتـرك الأمـور للحـاكم يفعل ما يشـاء ، انطلاقا من مقولة:(من السياسة ترك السياسـة) و (أنه ما دام الشـرع مطبقاً والملك محافظاً على الأركـان الخمسة للإسـلام والعلماء قائمين بأمور الدين كما ينبغي دون مضايقات او تهـاون فلا تجوز محاسبة إمام المسلمين لئلا تكون فتنة) .[334]

الكحولي ، فطالب رجال الدين بتطبيق القصاص على الأمـير الشـاب ، ولكن الملك توصل معهم الى الحل التالي وهو إعفاء الأمير ناصر من منصب إمارة الريـاض او أحتلال أي منصب رسـمي داخل الدولة أو اعتلاء العـرش في المسـتقبل ، وطلب الملك من كبـار العلمـاء عـدم إحالة أبنائه الى محـاكم القضـاء كبقية العامة من النـاس حفاظا على هيبة الحكم وسـمعة الأسـرة المالكة ، وإخضاعهم لمحـاكم ملكية خاصة تحت إشـراف الملك نفسه أو من يمثل العائلة المالكـة. ويبـدو ان العلمـاء وافقـوا على أن يتـولى الملك هـذه المهمة في ما يخص عائلته أو من يمت له بصـلة القـربى. أو في الحقيقة قبلوا باستثناء العائلة المالكة من قـوانين الشـريعة الاسـلامية وتعطيل حـدود الله ، كما يـدل على ذلك التسـاهل مع الأمـير مشـاري بن عبد العزيز الـذي اعتدى على زوجة نائب القنصل البريطـاني وقتل زوجها عـام 1951 واختبائه في بيت أخيه فيصل حتى وفاة أبيه عام 1953 ، وكذلك قيام الأمـير محمد بن عبد العزيز بقتل حفيدته الـتي هـربت مع خطيبها ، خلافا للنصـوص الشـرعية الـتي تـأمر فقط بجلد الزانية غـير المحصـنة ، لأن الأمـيرة لم تكن محصـنة عند هروبها مع خطيبها . ومع ذلك قتلت هي وخطيبها علنا وعلى الطريقة الجاهلية (غسل العار) ولم يعـترض العلمـاء على هـذا الحكم الجـائر التزاما منهم بالاتفاق التاريخي الـذي يعفي آل سـعود من تطـبيق الشـريعة الاسلامية.(عبد الله ، أنور : العلماء والعرش ، ص 270 و 295 – 297)

[334] - وقد برر الشيخ ابن باز استعانة المملكة العربية السـعودية بـالقوات الاجنبية (الامريكية والبريطانية وغيرها) لمحاربة العـراق قـائلا :" أما ماحصل من الحكومة السـعودية لأسـباب الحـوادث المترتبة على الظلم الصـادر من رئيس دولة العـراق لدولة الكـويت ومن اسـتعانتها بجملة من الجيـوش الـتي حصلت من أناس متعددة من المسلمين وغـيرهم لصد العـدوان والـدفاع عن البلاد فـذلك جـائز بل تحكمه الضـرورة ، فهي معـذورة في ذلك ومشـكورة

وعلى رغم احتلال رجال الدين الوهابيين مكانة واسعة في صـــفوف الشـــعب من خلال إمامة الجمعة و الجماعة في أحد عشر ألف مســـجد في المملكة العربية الســـعودية ، ودوائر القضــاء والتعليم الــديني ، وقــدرتهم على حشد الجمــاهير ضد سلطة آل سـعود أو سياسـاتهم الاسـتبدادية و المنحرفة ، إذا ما أرادوا ، الا انهم ظلوا دائما محافظين على ولائهم للنظــام . وقد مـرت على السـعودية فـترات كـان يمكنهم فيها ان يلعبـوا دورا كبـيرا في إصـلاح النظـام أو تغيـيره وإحـداث ثـورة جذرية فيه ، ولكنهم اصطفوا الى جانب النظام ودافعوا عنه بقـوة ، بـدءا من حادثة تمــرد (الإخــوان) في العشــرينات من القــرن الماضي ، ومــرورا بحادثة احتلال الحــرم المكي في نهاية الســبعينات[335] ،

على مبادرتها".(مجلة إقرأ ، العدد 779 بتاريخ 23/8/1990) وكذلك أصـدر مجلس هيئة كبار العلماء بيانا يؤيد ما اتخذه "ولي الأمر" من استخدام قـوات أجنبية.(عبد الله، أنور ، العلماء والعرش ، ص 392)

ووقف كبار رجال الدين في السعودية موقفا صامتا من ضـرب حركة طالبان في أفغانستان ، بواسطة قوات التحـالف الـدولي عـام 2001 ، بعد لجــوء أســامة بن لادن اليها ومباركته لعملية الهجــوم على مبــنى التجــارة الامـريكي ووزارة الـدفاع الامريكية في 11 أيلـول من ذلك العـام ، بينما لم يعارض ذلك سوى الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي الـذي أدان الهجـوم على أفغانستان وطالب بنصرتها واعتـبر تأييد الهجـوم الأمـريكي عليها ردة وكفـرا بالله ، مما دفع الحكومة الســعودية الى إخراجه من هيئة كبــار العلمــاء ومطالبته بالكف عن الإفتاء.

335 - أصدر الشيخ ابن باز بيانا مهما حسم تردد الكثـير من أفـراد القـوات المسلحة في التصدي لحركة جهيمـان العتيـبي الـذي احتل المسـجد الحـرام عام 1979 ، جاء فيه:"كيف يجـوز له الخـروج على دولة قائمة قد اجتمعت على رجل واحد وأعطته البيعة الشرعية ، فيشق عصاها ويفرق جمعهـا؟ وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما صح عنه: (من أتـاكم وأمـركم جميع يريد ان يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه كائنا من كان) خرجه مسـلم. ولما بايع النبي (ص) أصـحابه بـايعهم (ان لا ينـازعوا الأمر أهله ، الا ان تـروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان) وهذه الدولة بحمد الله لم يصــدر منها ما يوجب الخروج عليها. ويحتج في هذا المقام بحديث : (من رأى من أمـيره شـيئا من معصـية الله فليكـره ما يـأتي من معصـية الله ولا يـنزعن يـدا عن طاعة ، فان من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهليـة) وبـذلك تدخل هذه الطائفة تحت قوله عز وجـل: (ومن أظلم ممن منع مسـاجد الله ان يـذكر فيها اسـمه وسـعى في خرابها ، أولئك ما كـان لهم ان يـدخلوها الا خـائفين لهم في الـدنيا خـزي ولهم في الآخـرة عـذاب أليم) ويحتج بحـديث: (من حمل علينا السـلاح فليس منـا) لتجـريم (الاخـوان) لأجل اطلاقهم النـار على رجال الأمن الذين أرادوا حماية المسـلمين من شـرهم". مجلة البحـوث

وحـرب الخليج الثانية في بداية التسـعينات ، وانتهـاء بقضـية ابن لادن والهجـوم الأمـريكي على أفغانسـتان و حركة طالبـان عـام 2001، حيث كان للقاعدة الوهابية في كل تلك القضايا مواقف تختلف كثيرا عن مواقف النظام السعودي ، وكان يمكن للعلمـاء ان يقـودوا الجمـاهير في مواجهة النظـام أو يجـبروه على اتخـاذ مواقف مسـايرة لهم ، ولكنهم آثـروا دعم المواقف الرسـمية والتنديد بمخالفيها ، مما قلص مهمة العلمـاء الدينية الى القيـام بدور الحاضن و الخادم للنظام والمخدر للأمة.[336]

الاسـلامية ، السـعودية (العـدد الاول من المجلد الثـاني) بعنـوان : (حـادث المسجد الحرام وأمر المهدي المنتظر).

[336] - دعا المفتي العام الشيخ عبد العزيز بن بـاز ، في كلمة له ألقاها في الحفل الختامي للدورة الشرعية الخامسة للدعاة العـاملين بمكـاتب الـدعوة بالمملكة ، والتي تشرف عليها وزارة الشؤون الاسـلامية والأوقـاف والـدعوة والإرشاد الى قمع حركة المعارضة السعودية ، حتى على المسـتوى الإعلامي ، وسمى الذين ينتقدون النظام بدعاة الهـدم والضـلالة ، وحـذر منهم قـائلا:" أوصي بالحـذر من دعـاة الهـدم ، من دعـاة الضـلالة ، مثل (المسـعري) وأشباهه ومن يتعاون معه على التخريب والفساد وتضـليل النـاس ، هـذا شر عظيم وفسـاد كبـير ...فيجب القضـاء على هـذه النشـرات ، والتحـذير منها ، وإتلافها مهما كانت" وطالب بدلا من توجيه النقد لولاة الأمور ، التعاون معهم في الخـير والـدعاء لهم بالهداية والتوفيق وأن الله يعينهم على الخـير وأن يهديهم ويصلح لهم البطانة وأن يوفقهم لإقامة الحق. وقال:"هكذا المصـلح .. يدعو لهم بالخير ويشكرهم على الخير ، يشكرهم على ما بـذلوه من الخـير ، يدعوهم إلى الاستقامة ، وإلى صلاح البطانة والحذر من أهل السوء ، ويـدعو إلى إزالة المنكرات ، يدعو إلى إزالتها ، بالكلام الطيب ، والأسلوب الحسن ، والنصـيحة لـولاة الأمـور والعلمـاء ، مع الـدعاء لهم بـالتوفيق ، يقـول لهم : تواصوا ، تناصحوا في ذلك ، أرشدوا النـاس جـزاكم الله خـير ، وفقكم الله . هكـذا تكـون النصـيحة ..بـالكلام الطيب ، بـالرفق ، والـدعاء لهم بـالتوفيق ، والدعاء لهم بحسن العاقبة ، والدعاء لهم بالفقه في الـدين وصـلاح البطانة". وأكد توصـياته ثانيـة:" من الـواجب على الرعية مسـاعدة الدولة في الحق والشـكر لها على ما تفعل من خـير والثنـاء عليها بـذلك . يجب عليهم معاونة الدولة في إصلاح الأوضاع فيما قد يقع فيه شيء من الخلل بالأسلوب الطيب وبالكلام الحسن لا بالتشـهير وذكر العيـوب في الصـحف وعلى المنـابر ولكن بالنصـيحة وبالمكاتبة والتنبيه على ما قد يخفى حـتى تـزول المشـاكل وحـتى يحل محلها الخـير والإصـلاح وحـتى تسـتقر النعم ويسـلم النـاس من حـدوث النقم". (مجموع فتاوى ومقالات ابن باز – الجزء السابع)

وحذر من الفاكسات والأشرطة "الخبيثة" التي تدعو الى الفرقة والاختلاف وسب ولاة الأمـور والعلمـاء ، وقـال: إنها من أعظم المنكـرات . واتهم المعارضين " الـذين أرسـلوا الكثـير من الأوراق الضـارة المضـلة ، والمفرقة للجماعة من جنس محمد المسـعري ومن معه ، بـأنهم حاقـدون وجـاهلون

وفي مقابل ذلك كان النظام السعودي يضخ الى المؤسسة الدينية أموالا طائلة لبناء المدارس والمساجد والمشاريع بهدف إغنائها ماليا وإفقارها فكريا والقضـــاء على روحها الاســتقلالية . وعندما كـان أحـدهم يبـادر الى الخـروج عن إرادة الحـاكم فانه يُفصل بسرعة أو يتم تجميد عضويته في هيئة كبار العلماء .[337]

التصدي للديموقراطية

وقد قامت المؤسسة الدينية الوهابية بـدعم ديكتاتورية آل سعود ، انطلاقا من الفكر السياسي الوهابي السلفي الذي يحث على طاعة الحكـــام طاعة مطلقة في جميع الأحـــوال ، ومن منطلق الشـــعور بالأقلية في مواجهة الطوائف والتيـــارات والأحــزاب الأخــرى الــتي تشــكل غالبية الشــعب الســعودي ، والرافضة للوهابية ولآل سعود .

فمن ناحية كانت الوهابية ترفض الشورى والديموقراطية لأنها ترفض الاعتراف بوجود (الأمة المسلمة) الواسعة ، إذ أنها كـانت تعتقد "أن عامة المسلمين هم كفـار ومشـركون" أو"منحرفـون ضـــالون" على الأقل حسب التفســير الوهـــابي الجديد ، وأن الوهابية تشكل "الفرقة الناجية الوحيـدة الـتي تسـير على هـدى السـلف الصـالح" و تـرفض مشـاركة الأمة السياسـية ، بحجة تفشي الجهل بالإسلام بين الناس.[338]

وبما ان عملية الشورى أو الديموقراطية تقوم على مبدأ حكم الأكثرية والتعددية السياسية ، فان رجـال الـدين الوهـابيين ردوا هذا المبدأ بقـوة ، واعتـبروه منافياً للـدين ، و رفضـوا مبـدأ الاحتكام الى الأكثرية المعمول به في الحياة الديموقراطية ، من منطلق: " ان الجماعة هم أهل الحق وان قلوا" و "عدم شرعية

بـاعوا دينهم وبـاعوا أمـانتهم على الشـيطان" وأمر بـإتلاف ما يـأتي من هـذه الأوراق ؛ لأنها شر وتدعو إلى الشر " وقال: ان النصيحة تكون بالثناء على ما فعل من الخير ، والحث على إصلاح الأوضـاع ، والتحـذير مما وقع من الشـر. (مجلة الدعوة في عددها الصادر يوم الخميس 19 / 12 / 1415هـ)

[337] - كما حدث للشيخ عبد الله بن قعود والشيخ حمـود بن عقلا الشـعيبي وغيرهما ممن احتج على الاستعانة بالأجانب للدفاع عن المملكة ، أثناء حـرب الخليج الثانية عام 1991

[338] - النحوي : الشورى لا الديموقراطية ، ص 40

الأكثرية دائماً". [339] و خاصة عندما تكـون الأقلية وهابية والأكثرية غيرها.

يقول الدكتور عدنان علي رضا النحوي ، في معرض رفضه للديموقراطية : ان "الجماعة" المقصـودة هي الفئة الـتي تتبع الحق الـبين ، ولو كـان عـددها الأقل. فلا يصح الاسـتدلال بلفظ "الجماعة" للدلالة على الكثرة ، فهي في عصر كثرة وفي عصر آخر قلة . ثم التزام الجماعة يقصد به التزام الحق الـبين وعـدم الانفراد بهوى أو شهوة. انه التزام العقيدة والـدين.[340] و ان لفظ الجماعة لا تقضي بـالكثرة دائما ، ولا علاقة لها بالأكثرية والأقلية في مجال الشورى والرأي [341]. وان الحق لا يقرر بالعـدد: أكثرية أو أقلية ، أنه يقـرر بالعقيـدة والـدين والمنهـاج المتكامل الحق ، كما يقول الحديث الصحيح: (إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة) .. الحق لا يقرر بـالكثرة الغالبة حـتى ولو كـانت من المسلمين ، فقد تخلف الناس عن منهاج الله وطويت المواهب والقدرات واختلطت المعادن واضطربت المنازل وقتلت العزائم ، وجف العلم والفقه [342].

ويقـول أبو محمد عاصم المقدسي (زعيم الحركة الوهابية في الأردن):"الديموقراطية تعتـبر الشـعب أعلى سـلطة في الوجود وهي حكم أكثرية الشعب ... أما في الشورى فالشـعب أو الأكثرية هي الملتزمة المـأمورة بالسـمع والطاعة لله ولرسوله ثم لإمام المسلمين ، ولا يُلزم الإمام بـرأي الأكثرية ولا حكمها ، وانما الأكثرية مـأمورة بالسـمع والطاعة للأئمة وإن جاروا ما لم يأمروا بمعصية".[343]

---

339 - بناء على تفسيرهم الخاص لهذه الآيات القرآنية الكريمة:" وان كثـيرا من الناس لفاسقون . ولكن كثيرا منهم فاسقون. وان كثيرا من الناس بلقـاء ربهم لكافرون. ولكن أكثر الناس لا يشـكرون. وان تطع أكـثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله. انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون. ولكن أكثر الناس لا يعلمـون. ولكن أكـثر النـاس لا يشـكرون. وما أكـثر النـاس ولو حرصت بمؤمنين. فأبى أكثر الناس الا كفورا".

340 - النحوي ، عـدنان علي رضا : الشـورى لا الديموقراطية ، دار النحـوي للنشر والتوزيع – الرياض الطبعة الرابعة 1992، ص 99

341 - المصدر ، ص 102

342 - المصدر ، ص 105

343 - المقدسي ، أبو محمد عاصم : الديموقراطية دين ، ص 24

وهو ما يؤكـده الـدكتور النحـوي بقوله: " ان الأكثرية والأمـة.. كلها عليها السـمع والطاعة وعليها النصح والمشـورة ، وفي عنقها بيعة ، وهي خاضعة كلها لمنهاج رباني يحكمهـا. وأما في الديموقراطية فتكاد تكون الصورة مقلوبة ، فان المسـؤول هو عليه السـمع والطاعة تقريبـا، ولا منهـاج يحكم أحـدا ، الا ما يقـرره الشـعب".[344] و "إننا نشـعر بأهمية المسـؤولية حين نستعرض أحاديث البيعة وأحاديث السمع والطاعة :

1- في العسر واليسر
2- في المنشط والمكره
3- على الأثرة (وعلى أثرة فينا)
4- ألا ننازع الأمر أهله
5- فيما نحب ونكره
6- ما لم يـؤمر بمعصـية ، أو الا ان تـروا كفـرا بواحاً عندكم من الله فيه برهان.
7- فيما استطعتم
8- وإن أمر عليكم عبد مجدع يقودكم بكتاب الله".[345]

ولـذلك يتسـاءل الـدكتور النحـوي باسـتغراب: هل نجد في الديموقراطية ما يقابل هذا او يناظره؟ وهل تنظر الديموقراطية الى المسـؤولية بهـذا المسـتوى؟ و إذا كنا نتهم المسـؤول قبل تحديـــده وتعيينه وقبل معرفته و ولايته ، فلمـــاذا نوليه أمرنا ونعطيه ثقتنا ثم نعطيه عهـدنا على السـمع والطاعة ونبايعه بيعة الإيمان؟ [346]

وبناء على ذلك اعتبر الوهابيون الديموقراطية نفسها كفراً بواحاً وشـركاً صـريحاً " لأنها تقـوم على أسـاس شـعار (الحكم للشعب) الذي يتعـارض جـذريا مع نص القـرآن بـأن الحكم لله".[347] وقـال بعضـهم:" بـأن الديموقراطية دين غـير دين الله وملة غير ملة التوحيد وإن مجالسها النيابية ليست الا صروحاً للشـرك

---

[344] - النحوي : الشورى لا الديموقراطية ، ص 108
[345] - المصدر ، ص 59
[346] - المصدر ، ص 88 وهنا يتناسى النحوي أن الفكر السياسي الوهابي يعـترف بحكومة القـاهر المتغلب و الظـالم والفاسق ، ولا يشـترط العدالة والتقوى والأمانة في الحاكم ، ولذلك فانه عندما يرفض المحاسـبة والمراقبة لهكذا حاكم ولكل حاكم فانه يوفر له حرية مطلقة في التصـرف في الأمـوال والنفوس والأعراض ومصائر الأمة.
[347] - المصدر ، ص 42-50 و52

ومعاقل للوثنية يجب اجتنابها لتحقيق التوحيد الــذي هو حق الله على العبيد ، وكما لا يجوز مزج اليهودية أو المسيحية بالإسـلام ، كذلك لا يجوز مزج الديموقراطية بالإسلام".[348]

وقد رفض الوهـابيون الديموقراطية ، إضـافة لـذلك ، لأنها تنطوي على مبدأ محاسبة الأمة للحاكم وتبـادل السـلطة وفصل السـلطات، وهو ما يتنـاقض مع مبـدأ وجـوب الطاعة المطلقة للحاكم في الفكر السياسي الوهابي ، حيث يقـول الشـيخ محمد بن عبد الوهاب في الأصل الثالث من (الأصـول السـتة):"إن من تمـام الاجتمـاع السـمع والطاعة لمن تـأمر علينا ولو كـان عبـدا حبشيا".

ولا يفرق الوهابيون بين الدعوة الى إسقاط الحاكم بالطرق العسكرية أو تغييره بالطرق السـلمية الديموقراطية ، فكل ذلك في نظرهم يخـالف مبـدأ الطاعة المطلقة المطلوبة من النـاس .كما يرفضـون مجـرد توجيه النقد علنا الى الحكـام "لأنه يـؤدي الى الثـورة " وقد قـال الشـيخ عبد العزيز بن بـاز :" ليس من منهج السـلف التشـهير بعيـوب الـولاة ، وذكر ذلك على المنـابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وعـــدم الســمع والطاعة في المعــروف ، و يفضي إلى الخــوض الــذي يضر ولا ينفع ، ولكن الطريقة المتبعة عند الســلف : النصــيحة فيما بينهم وبين السلطان ، والكتابة إليه ، أو الاتصال بالعلماء الـذين يتصـلون به حتى يوجه إلى الخـير . ولما وقعت الفتنة في عهد عثمـان رضي الله عنه : قـال بعض النـاس لأسـامة بن زيد رضي الله عنه : ألا تكلم عثمان؟ فقال : إنكم ترون أني لا أكلمه ، إلا أسمعكم؟ إني أكلمه فيما بيـني وبينه دون أن أفتتح أمـرا لا أحب أن أكـون أول من افتتحه .

ولما فتح الخوارج الجهال باب الشر في زمان عثمان رضي الله عنه وأنكــروا على عثمــان علنا عظمت الفتنة والقتــال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم ، حـتى حصـلت الفتنة بين علي ومعاوية ، وقتل عثمــان وعلي رضي الله عنهما بأسـباب ذلك ، وقتل جمع كثـير من الصـحابة وغـيرهم بأسـباب الإنكـار العلـني ، وذكر العيـوب علنا ، حـتى أبغض الكثـيرون من الناس ولي أمرهم وقتلوه ، وقد روى عياض ابن غنم الأشعري ،

[348] - المقدسي ، أو محمد عاصم : الديموقراطية دين ، ص 2

أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم قـال : من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية ولكن يأخذ بيـده فيخلو به فـإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه [349].

وقد رفض الفكر السياسي الوهـابي التعددية الحزبية والسياسية بدعوى : عدم جـواز التحـزب لأنها بيعة بدعية منافية لبيعة السلطان وسـبب من أسـباب التفـرق. كما رفض ممارسة عملية الـــولاء والـــبراء والهجر والمقاطعة في داخل صـــفوف المجتمع الا بإذن ولي الأمر والحاكم الشرعي. [350]

رفض تكفير الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله

وفي الوقت الذي كان كبار علماء المؤسسة الوهابية الجديدة يكفرون حكامـاً عربـاً و مسـلمين بـالتعيين و طوائف كبـيرة من المسـلمين على العمـوم [351]، لأسـباب سياسـية ، فـانهم كـانوا

[349] - الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية ، 255-256

[350] - بيان هيئة كبار العلماء (1- الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف 2 - حسن بن حسـين 3- عمر بن محمد بن سـليم 4- سـعد بن حمد بن عـتيق 5- عبد الله بن عبد العزيز العنقري 6 - سـليمان بن سـمحان 7- محمد بن عبد الطيف 8- عبد الله بن بليهد 9 - عبد الـرحمن بن سـالم) بتـاريخ 10 ذي القعدة 1332هـ

[351] - كما حدث مثلاً عام 1982 عندما انتقد الرئيس الليبي العقيد معمر القـذافي سياسة الملك خالد بن عبد العزيز ، فتصـدى له مجلس هيئة كبـار العلماء وأصدر بيانا طويلا جاء فيه :" أن القذافي كـافر ملحد وضـال مضـل". جريدة الريـاض بتـاريخ 11/5/1402 و أنـور عبد الله ، العلمـاء والعـرش ص 385 ، وكما حدث عام 1991 عندما احتل الرئيس العـراقي صـدام حسـين الكويت ، وأعلنت السـعودية الحـرب عليه ، حيث قـام ابن بـاز بتأييد الحـرب وأصدر بيانا قـال فيـه:" ان الله سـبحانه وتعـالى أمر بقتـال الفئة الـتي تبغي حتى تفيء الى أمر الله ، فكيف اذا كانت الفئة الباغية غير مسلمة بل ملحدة وباغية ، فهنا قتالها أوجب وأحقّ". عبد الله ، أنور ، العلمـاء والعـرش صـفحة 394 ، ولم يتورع مشايخ الوهابية الرسمية الكبار من تكفـير طائفة الشـيعة بصـورة عامة عنـدما تـوترت العلاقة بين السـعودية وإيـران ، أثنـاء الحـرب العراقية الإيرانية ، حيث أصـدرت اللجنة الدائمة للبحـوث العلمية والإفتـاء برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز ، وعضوية المشـايخ عبد الله بن قعـود وعبد العزيز بن غـديان ، وعبد الـرزاق عفيفي ، فتـوى تحت رقم 1661 بتكفـير الشـيعة بصـورة عامة ، ثم أصـدر الشـيخ عبد الله بن جـبرين فتـوى مماثلة

يتساهلون في إطلاق أحكام التكفير على حكام آل سعود او حكام الخليج الذين لا يحكمون بما انزل الله ، فبالرغم من تركيز الحركة الوهابية على موضوع التوحيد ، وتوحيد الطاعة والعبادة والالتزام بقوانين الشريعة الإسلامية ، و اعتبار العمل بغير ما أنزل الله شركاً وكفراً أعظم ناقلاً عن الملة.[352] ولكن علماء المؤسسة الوهابية الجديدة ، وجدوا أنفسهم في ظل سيطرة النظام السياسي واختلال موازين القوى ، مضطرين للقيام بتفسير جديد لمفهوم الشرك والتوحيد ، يختلف عن التفسير الوهابي القديم ، وخاصة مفهوم الشرك في الطاعة ، والحكم بغير ما أنزل الله ، من أجل تبرئة الحكام المنحرفين الرافضين للعمل بالشريعة الإسلامية ، أو الموالين للكفار ، و وضع شروط ومخارج جديدة لصرف تهمة التكفير عنهم .فقد قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني :"إنه لا يجوز لأحد من الناس أن يُكفّر من حكم بغير ما أنزل الله بمجرّد الفعل من دون أن يعلم أنه استحل ذلك بقلبه". وعقب المفتي السابق للمملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز ابن باز ، على كلامه مؤيداً : "لا شك أن ما ذكره في جوابه من تفسير قوله تعالى : (ومن لم

تحت رقم 2008 بتاريخ 12/3/1412 ورد فيها ما يلي: " ان الشيعة مشركون شركا أكبر يخرج من ملة الاسلام وانهم مرتدون ، وانهم غلاة ، وانهم منافقون. وبناء على ذلك فقد تقرر ما يلي: أ – حرمة ذبائحهم. ب – حرمة الزواج منهم. ج – رفض دعاواهم في الأخوة الاسلامية". و أصدر الشيخ ناصر الدين الألباني عام 1987 من عمان فتوى بتكفير الامام الخميني.

[352] - وهذا ما نجده مثلاً في كتاب: (رسالة تحكيم القوانين) للمفتي الأسبق الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، الذي قال فيه:" إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين في الحكم به بين العالمين والرد إليه عند تنازع المتنازعين مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل:(فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا). وان هذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكملة مفتوحة الأبواب والناس إليها أسراب إثر أسراب يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب من أحكام ذلك القانون وتلزمهم به وتقرهم عليه وتحتمله عليهم ، فأي كفر فوق هذا الكفر وأي مناقضة للشهادة بأن محمدا رسول الله بعد هذه المناقضة؟". ص 20 –21

يحكم بما أنــزل الله فأولئك هم الكــافرون)... هو الصــواب ". و أوضح المفتي :" أن الكفر كفــران أكــبر وأصــغر ، كما أن الظلم ظلمان أكبر وأصغر ، فمن اســتحل الحكم بغـير ما أنــزل الله أو الزنا أو الربا أو غيرهما من المحرمـــــات المجمع على تحريمها فقد كفر كفراً أكبر ، ومن فعلها بدون استحلال كان كفره كفــراً أصغر وظلمه ظلماً أصغر وهكذا فسقه".[353]

وأصدرت اللجنة الدائمة للأبحاث والإفتاء فتوى برقم 5741 حول موضوع تكفير من لم يحكم بما أنزل الله، وهل هو مســلم أو كافراً كفراً أكــبر ولا تُقبل أعماله ؟ فقـالت :" قــال تعــالى : (ومن لم يحكم بما أنـــزل الله فأولئك هم الكـــافرون) لكن إن استحل ذلك واعتقده جائزاً فهو كافر كفراً أكبر يخرج عن الملة ، أما إن فعل ذلك من أجل الرشـــــوة أو مقصد آخر وهو يعتقد تحريم ذلك فإنه آثم يعتبر كافراً كفراً أصـغر لا يخرجه عن الملة كما أوضح أهل العلم في تفسير الآيات المذكورة".

وقال الشيخ ابن باز أيضا :من قال أنا أحكم بهذا وهو يعتقد أن الحكم بغير ما أنــزل الله لا يجــوز ، ويقــول الحكم بالشــريعة الإســلامية أفضل ، ولكنه متســاهل أو يفعل هــذا لأمر صــادر من حكامه فهو كافر كفراً أصغر لا يخرج من الملة ، ويعتبر من أكبر الكبائر.

وسُئل : ما حكم سنّ القوانين الوضعية ؟ وهل يجــوز العمل بها ؟ وهل يكفر الحــاكم بســنّه لهــذه القــوانين ؟ فعلق الحكم بالتكفير على الاستحلال وقال: إذا سنّ قانوناً معنــاه لا حــدّ على الزاني ، ولا حدّ على السارق ، ولا حدّ على شارب الخمر ، فهذا باطل ، وهــذه القــوانين باطلة ، وإذا اســتحلها الــوالي كفر ، إذا قال إنها حلال ولا بأس بها ، فهذا يكــون كفــراً ، من اســتحلّ ما حرّم الله كفر.

وقال في جواب آخر: الحكام بغـير ما أنــزل الله أقســام ، تختلف أحكامهم بحسب اعتقادهم وأعمالهم ، فمن حكم بغير ما أنزل الله يرى أن ذلك أحسن من شرع الله فهو كافر عند جميع المسلمين ، وهكذا من يُحكّم القــوانين الوضــعية بــدلاً من شــرع الله ويــرى أن ذلك جــائز ، ولو قــال : إن تحكيم الشــريعة أفضل فهو كــافر ، لكونه اســتحل ما حــرّم الله. أما من حكم بغــير ما أنزل الله اتباعاً للهوى أو لرشــوة أو لعــداوة بينه وبين المحكــوم

[353] - جريدة الشرق الأوسط عدد(6156) بتاريخ 12/5/1416 هـ

عليه ، أو لأسـباب أخـرى ، وهو يعلم أنه عـاص لله بـذلك ، وأن الـواجب عليه تحكيم شـرع الله ، فهـذا يعتـبر من أهل المعاصي والكبائر ، ويعتبر قد أتى كفراً أصغر ، كما جـاء هـذا المعـنى عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن طـاووس وجماعة من السـلف الصالح ، وهو المعروف عند أهل العلم ، والله ولي التوفيق.[354]

وقال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين :" وليعلم أنه يجب على الإنســان أن يتقى ربه في جميع الأحكــام فلا يتســرع في البت بها خصوصا في التكفــير الــذي صــار بعض أهل الغــيرة والعاطفة يطلقونه بدون تفكير ولا روية ، مع أن الإنسان إذا كفر شخصا ولم يكن الشـخص أهلا له عــاد ذلك إلى قائله. وتكفــير الشخص يـترتب عليه أحكـام كثـيرة فيكـون مبـاح الـدم والمـال ويــترتب عليه جميع أحكــام الكفر ، وكــذا يجب أن لا نجبن في تكفير من كفـره الله ورسـوله ولكن يجب أن نفـرق بين المعين وغير المعين فالمعين يحتاج الحكم بتكفيره إلى أمرين:

1- ثبــوت أن هــذه الخصــلة التي قــام بها مما يقتضــي الكفر.
2- انطباق شروط التكفير عليه ، وأهمها العلم بـأن هـذا مكفر فـإن كـان جـاهلا فإنه لا يكفر...ولابد مع تـوفر الشــروط من عــدم الموانع فلو قــام الشــخص بما يقتضي الكفر إكراها أو ذهولا لم يكفر".[355]

وقال الشيخ ابن عثيمين : القول بالتكفير أو عدمه في مثل هــذه الأمــور يحصل فيه مفاسد والــذي أرى أولاً أن لا يشــتغل الشباب في هذه المسألة وهل الحـاكم كـافر أو غـير كـافر وهل يجــوز أن نخــرج عليه أو لا يجــوز ، على الشــباب أن يهتمــوا بعبـاداتهم الـتي أوجبها الله عليهم أو نـدبهم إليها وأن يـتركوا ما نهاهم الله عنه كراهة أو تحريما وان يحرصوا على التـآلف بينهم والاتفاق وان يعلموا أن الخلاف في مسائل الدين والعلم قد جرا في عهد الصحابة رضي الله عنهم ولكنه لم يــودي إلى الفرقة و إنما القلوب واحدة والمنهج واحد.

---

354 - نقلا عن ساحات الحوار للشيخ د.عبدالله الفارسي
355 - بن عثيمين: القول المفيد:ج3 ص 268-271

أما فيما يتعلق بالحكم بغير ما انزل الله فهو كما في الكتاب العزيز ينقسم إلى ثلاثة أقســـام كفر وظلم و فسق على حسب الأسباب التي بني عليها هذا الحكم :

1- فإذا كـان الرجل يحكم بغـير ما انـزل الله تبعا لهـواه مع علمه بــأن الحق فيما قضى الله به فهــذا لا يكفر لكنه بين فاسق وظالم.

2- و أما إذا كـــان يشـــرع حكما عاما تمشي عليه الأمة يـــرى أن ذلك من المصـــلحة وقد لبس عليه فيه فلا يكفر أيضا لأن كثــيرا من الحكــام عنــدهم جهل في علم الشــــــريعة ويتصل بهم من لا يعــــــرف الحكم الشــــرعي وهم يرونه عالما كبـــيرا فيحصل بـــذلك المخالف.

3- وإذا كان يعلم الشرع ولكنه حكم بهـذا أو شـرع هـذا وجعله دســتورا يمشي النـــاس عليه يعتقد انه ظالما في ذلك وان الحق فيما جاء به الكتـاب والسـنة فأننا لا نستطيع أن نكفر هذا.وإنما نكفر من يـرى أن حكم غير الله أولى أن يكون الناس عليه أو مثل حكم الله فإن هذا كافر.

وقد اتهم الشيخ ابن عثيمين الذين يكفرون الحكام المسلمين "من غير ضوابط أو شروط " بأنهم ورثة الخوارج الذين خرجـوا على علي بن أبي طـالب ، وقـال: ان الكـافر من كفّـره الله و رسوله، و للتكفـير شـروط؛ منها العلم، و منها الإرادة ؛ أن نعلم بأن هذا الحاكم خالف الحق و هو يعلمـه، و أراد المخالفـة، و لم يكن متأولاً. المهم هذا له شروط، و لا يجوز التسرع في التكفير ، كما لا يجوز التسرع في قولك: هذا حلال و هذا حرام.[356]

وعلى رغم أن الشيخ صالح بن فـوزان الفـوزان ، ألف كتابا حـــول (التوحيد وحاكمية الله) ، وكفر فيه الحكـــام الـــذين لا يحكمــون بما أنــزل الله ويزيحــون الشــريعة ويجعلــون مكانها القانون ، الا أنه رفض الحكم بكفر حكام الخليج أو حـاكم بعينه ، وقـال بوجـود فـرق بين الحكم العـام وبين التعـيين. واعتـبر من يكفر الحكام بأعيانهم من أهل الهوى والفتنة.[357]

[356] - فتوى الشيخ العثيمين صدرت في يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول عام 1420هـ

وهكذا أغلق علماء المؤسسة الوهابية الجديدة بوابة التكفير ضد الحكام ، وهي البوابة الوحيدة المشـروعة للثـورة في الفكر السياسي الوهـــابي ، و ذلك بنفي تهمة الكفر الصـــريح عمن لا يلتزم بالشريعة الاسلامية ولا يحكم بما أنزل الله.[358]

إغلاق نافذة الثورة

---

[357] - الرابط الصوتي للفوزان:
http://mypage.ayna.com/omar_salafi/Fouzan01.rm

[358] - ولكن هذا الموقف الرافض للتكفير لم ينسحب على طائفة الشـيعة مثلا ، إذ اسـتمر بعض كبـار رجـال الـدين الوهـابيين بتكفـير الطائفة على العمـوم ، بأدلة واهية ، كما فعل الشـيخ عبد العزيز بن بـاز ، الذ ي قـال في 22 / 1 / 1409 هـ فتوى رقم 136 / 1 :"ان الشيعة فرق كثيرة وكل فرقة لديها أنواع من البدع وأخطرها فرقة الرافضة الخمينية الاثني عشـرية لكـثرة الدعاة إليها ولما فيها من الشرك الأكبر كالاستغاثة بأهل الـبيت واعتقـاد أنهم يعلمون الغيب ولا سيما الأئمة الاثني عشر حسب زعمهم "

http://www.ibnbaz.org.sa/last_resault.asp?hID=1317

وكما فعل الشـيخ عبد الله بن جـبرين عنـدما اسـتفتاه شـخص عن حكم ذبح الشيعة ، بتاريخ 22-3-1412 فقال:" يوجد في بلـدتنا شـخص رافضي يعمل قصاب ويحضره أهل السنة كي يذبح ذبـائحهم وكـذلك هنـاك بعض المطـاعم تتعامل مع هـذا الشـخص الرافضي وغـيره من الرافضة الـذين يعملـون في نفس المهنة . . . فما حكم التعامل مع هـــــذا الرافضي وأمثاله ؟ وما حكم ذبحه ؟ وهل ذبيحته حلال أم حــرام ؟ أفتونا مــأجورين والله ولي التوفيق" . فأجابه بما يلي:"...فلا يحل ذبح الرافضي ولا أكل ذبيحته ، فإن الرافضة غالبا مشركون ، حيث يدعون علي بن أبي طالب دائما في الشدة والرخاء ، حـتى في عرفات والطواف والسعي ، ويدعون أبناءه وأئمتهم كما سمعناهم مـرارا ، وهذا شرك وردة عن الإسلام يستحقون القتل عليها ، كما يغلون في وصف علي رضي الله عنه ، ويصـفونه بأوصـاف لا تصـلح إلا لله كما سـمعناهم في عرفات ، وهم بـذلك مرتـدين ، حيث جعلـوه ربا وخالقا ومتصـرفا في الكـون ويعلم الغيب ويملك الضر والنفع ونحو ذلك ، كما أنهم يطعنــون في القــرآن الكريم ويزعمون أن الصحابة حرفـوه وحـذفوا منه أشـياء كثـيرة تتعلق بأهل الـبيت وأعـدائهم فلا يقتـدون به ولا يرونه دليلا . كما أنهم يطعنـون في أكـابر الصحابة كالخلفاء الثلاثة وبقية العشرة وأمهات المؤمنين ومشـاهير الصـحابة كـأنس وجـابر وأبي هريـرة ونحـوهم ، فلا يقبلـون أحـاديثهم لأنهم كفـار في زعمهم ، ولا يعملـــون بأحـــاديث الصـــحيحين إلا ما كـــان عن أهل الـــبيت ، ويتعلقون باحاديث مكذوبة ، أو لا دليل فيها على ما يقولون ، ولكنهم مع ذلك

و إضافة الى ذلك و حتى لو ثبتت تهمة الكفر على الحكام الذين لا يعملون بما أنزل الله ، وهو ما كان يعتقده قطاع كبير من الوهابيين المتقين ، فقد قام رجال المؤسسة الدينية الوهابية بإغلاق أية نوافذ قد يتسرب منها الفكر الثوري ، وذلك برفض الثورة مطلقاً بحجة العجز عن التغيير أو الخوف من حدوث ضرر أكبر بسبب الثورة ، وقال المفتي السابق الشيخ عبد العزيز بن باز:

- " أما بعد، فقد قال الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خيراً وأحسن تأويلا) هذه الآية تنص على وجوب طاعة أولي الأمر وهم الأمراء والعلماء وقد جاءت السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين أن هذه الطاعة لازمة وهي فريضة في المعروف. النصوص من السنة تبين المعنى وتفيد الآية بأن المراد طاعتهم بالمعروف فيجب على المسلمين طاعة ولاة الأمر في المعروف لا في المعاصي، فإذا أمروا بالمعصية فلا يطاعون في المعصية، لكن لا يأتي الخروج عليهم بأسبابها لقوله صلى الله عليه وسلم : (من رأي من أميره شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة فإن من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية). وقال عليه الصلاة والسلام : (على المرء السمع والطاعة في ما أحب وكره، في اليسر والعسر، في المنشط والمكره، إلا أن يؤمر

ينافقون فيقولون بالسنتهم ماليس في قلوبهم ويخفون في انفسهم ما لا يبدون لك ، ويقولون من لا تقية له فلا دين له ، فلا تقبل دعواهم في الإخوة ومحبة الشرع... إلخ . . . فالنفاق عقيدة عندهم ، كفى الله شرهم وصلى على محمد وآله وصحبه وسلم .

http://www.khayma.com/rafidha/ematah.htm

بمعصية الله فإن أمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة) . وسأله الصحابي: يا رسول الله (لما ذكر إنه يكون أمراء تعرفون منهم وتنكرون)، قالوا فما تأمرنا؟ قال:أدوا إليهم حقهم واسألوا الله الذي لكم. قال عبادة رضي الله عنه: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ألا ننازع الأمر أهله. قال: إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان. هذا يدل على أنهم لا يجوز لهم منازعة ولاة الأمور ولا الخروج عليهم إلا أن يروا كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان وما ذاك إلا لأن الخروج على ولاة الأمور يسبب فساداً كبيراً وشراً عظيماً، فيختل به الأمن وتضيع الحقوق ولا يتيسر ردع الظالم ولا نصرة المظلوم، وتختل السبل ولا تؤمن فيترتب على الخروج على ولاة الأمور فساد عظيم وشر كبير، إلا إذا رأى المسلمون كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان فلا بأس أن يخرجوا على هذا السلطان لإزالته إذا كان عندهم قدرة، **أما إذا لم تكن عندهم قدرة فلا يخرجون، أو كان الخروج يسبب شراً أكثر فليس لهم الخروج رعاية للمصالح العامة، والقاعدة الشرعية المجمع عليها: أنه لا يجوز إزالة الشر بما هو أشر منه، بل يجب درء الشر بما يزيله أو يخففه، أما درء الشر بشر أكثر فلا يجوز بإجماع المسلمين**، فإذا كانت هذه الطائفة التي تريد إزالة هذا السلطان الذي فعل كفراً بواحاً ويكون عندها قدرة على أن تزيله وتضع إماماً صالحاً طيباً دون أن يترتب على ذلك فساد كبير على المسلمين وشر أعظم من شر هذا السلطان فلا بأس. أما إذا كان الخروج يترتب عليه فساد كبير واختلال الأمن وظلم الناس واغتيال من لا يستحق الاغتيال إلى غير هذا من الفساد العظيم، هذا لا يجوز، **بل يجب الصبر والسمع والطاعة في المعروف ومناصحة ولاة الأمور والدعوة لهم بالخير والاجتهاد في تخفيف الشر وتقليله وتكثير الخير**، هذا هو الطريق السوي الذي يجب أن يسلك لأن في ذلك مصالح المسلمين عامة، ولأن في ذلك تقليل الشر وتكثير الخير، ولأن في ذلك حفظ الأمن وسلامة المسلمين من شر أكثر، نسأل الله للجميع التوفيق والهداية.

وعلق على دعوة بعض الشباب الى تبني العنف في التغيير قائلا:

- هذا غلط من قائلـه، وقلة فهم لأنهم لم يفهمـوا السـنة ولم يعرفوها كما ينبغي وإنما يحملهم الحمــاس والغــيرة لإزالة المنكر على أن يقعــوا في ما يخــالف الشــرع كما وقعت الخوارج والمعتزلة، حملهم حب نصرة الحق أو الغيرة للحق حملهم ذلك على أن يقعـــوا في الباطل حـــتى كفــــروا المسـلمين بالمعاصي أو خلـدوهم في النـار بالمعاصي كما يفعل المعتزلة.

فـالخوارج كفـروا بالمعاصي وخلـدوا العصـاة في النـار والمعتزلة وافقوهم في العاقبة وأنهم في النـار مخلـدون فيهـا، ولكن قـالوا في منزلة بين المنزلـتين وكله ضـلال والـذي عليه أهل الســنة هو الحـــق، إن العاصي لا يكفر بمعصــيته مـــالم يستحلها، فإذا زني لا يكفر وإذا سرق لا يكفر وإذا شـرب الخمر لا يكفر لكن يكـون عاصـياً ضـعيف الإيمـان فاسـقاً تقـام عليه الحدود. ولا يكفر بذلك إلا إذا استحل المعصـية وقـال إنها حلال وما قاله الخوارج في هذا باطل، تكفيرهم للناس باطـل، ولهـذا قــال فيهم النــبي صــلى الله عليه وســلم: إنهم يمرقــون من الإسـلام ثم لا يعـودون إليه يقـاتلون أهل الإسـلام ويـدعون أهل الأوثان. هذا حال الخوارج بسـبب غلـوهم وجهلهم وضـلالهم فلا يليق بالشباب ولا غير الشباب أن يقلدوا الخوارج والمعتزلة، بل يجب أن يســـيروا على مــــذهب أهل الســـنة والجماعة على مقتضى الأدلة الشرعية، فيقفون مع النصوص كما جاءت وليس لهم الخـروج على السـلطان من أجل معصـية أو معـاص وقعت منه، بل عليهم المناصحة والمكاتبة والمشـافهة بـالطرق الطيبة الحكيمـة، بالجـدال بـالتي هي أحسن حـتى ينجحـوا وحـتى يقل الشر ويخف ويكثر الخير. هكذا جاءت النصوص عن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم والله عز وجل يقـول : (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظــاً غليظ القلب لانفضــوا من حولك) فــالجواب على الغيــورين لله وعلى دعــاة الهــدى أن يلــتزموا بحــدود الشــرع وأن يناصــحوا من ولاهم الله الأمــور بــالكلام الطيب والحكمة والأسلوب الحسن حتى يكثر الخير ويقل الشر وحتى يكثر الدعاة إلى الله، وحتى ينشـطوا في دعـوتهم بـالتي هي أحسن لا بـالعنف والشـدة، ويناصـحوا من ولاهم الله الأمر

بشـتى الطـرق الطيبة السـليمة مع الـدعاء للحـاكم في ظهر الغيب، أن الله يهديه ويوفقه ويعينه على الخـــير وأن الله يعينه على ترك المعاصي التي يفعلها وعلى إقامة الحق. هكـذا يـدعو لله ويضـــرع إليه أن الله يهـــدي ولاة الأمـــور وأن يعينهم على الحـــق، ومع ذلك يعينهم على تـــرك الباطل وعلى إقامة الحق بالأسلوب الحسن بالتي هي أحسن. وهكذا مع إخوانه الغيـورين ينصحهم ويعظهم ويذكرهم حتى ينشطوا في الدعوة بـالتي هي أحسن لا بالعنف والشدة، وبهذا يكثر الخـير ويقل الشر ويهـدي الله ولاة الأمور للخـير والاسـتقامة عليه وتكـون العاقبة حميـدة للجميع.

القمع الداخلي

و في هذا الإطار يقوم عدد من كبار رجال الدين الوهابيين الرسـميين (وعلى رأس هـؤلاء الشـيخ محمد أمـان بن علي الجـامي ، أسـتاذ الشـريعة في الجامعة الإسـلامية في المدينة المنـورة ، و الشـيخ ربيع بن هـادي عمـير المـدخلي) بمراقبة الحركات و الأحزاب و المنظمات الوهابية التي تسعى للإصلاح و قد تخـرج عن إطـار المؤسسة الرسـمية أو تمـارس نشـاطاً سياسـياً مسـتقلاً او تقـوم بتكفـير الحكـام الـذين لا يعملـون بالشـــريعة الإســـلامية ، و محاربتها و تجريـــدها من هويتها "السـلفية" أو "الوهابيـة" و يطلقـون على أنصـارها اسم "الخـوارج" و"الغلاة" [359]، وهي نفس التهم و الأوصـاف الـتي كـانت تواجهها الحركة الوهابية في بداية نشـوئها من قبل خصومها أو من أجهزة الدولة العثمانية الدينية.

---

[359] - ويطلقون عليهم أيضا اسم "القطبيين" نسبة الى سيد قطب ، وذلك لأنـه قـال في كتابه (في ظلال القـرآن) ما يلي: إنه ليس على وجه الأرض اليـوم دولة مسـلمة، ولا مجتمع مسـلم قاعـدة التعامل فيه هي شـريعة الله والفقه الإسلامي (ج 4 ص 212) وقال: قد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد وإلى جور الأديان، ونكصت عن لا إله إلا الله، وإن ظل فريق منها يـردد على المآذن لا إله إلا الله دون أن يدرك مدلولها ودون أن يعني هـذا المـدلول وهو يرددها... وقال: البشرية بجملتها بما فيها أولئك الذين يـرددون على المـآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله بلا مدلول، ولا واقع، وهؤلاء أثقل إثماً وأشد عذاباً يوم القيامة، لأنهم ارتـدوا إلى عبـادة العبـاد من بعد ما تبين لهم الهدى، ومن بعد أن كانوا في دين الله (ج2 ص 1057).

يقـول الشـيخ ربيع المـدخلي في مقـال له نشر في موقع (سـحاب) على الإنـترنت بتـاريخ 17 رمضـان 1422هــ :"الفتن كثـيرة .. ومن أشد هـذه الفتن فتنة خـوارج العصر حقـاً، فلهـذه الفتنة انتشار واسع ولها ضجيج إعلامي مزلـزل ومـرعب يعـرض بكل قـوة في شـتى الوسـائل ، كـالكتب والرسـائل وفي سـائر وسائل الإعلام والتوجيه فعمّ شره و طمّ. وإغراء مادي قد يفوق النوع الأول يغري أخساء النفـوس الـذين يـبيعون دينهم بـدنياهم ويشترون الحياة الدنيا بالآخرة فزاد البلاء وعمّ .

هـذه الفئة قد أرهقت الأمة بمشـاكلها... وأغـرقتهم في السياسة الباطلة بما فيها من أوهـام وأحلام وتكهنـات، فأسـاءوا أيما إسـاءة إلى الإسـلام والمسـلمين فأفسـدوا خلاصة شـباب الأمة و أذكياءهــا، فربــوهم على بغض أهل الســنة وتشــويههم وتشويه منهج الله الحق الذي يدعوا إليه أهل السـنة والتوحيـد، ويربون عليه من استطاعوا تربيته من أبناء المسلمين.

تعلق هؤلاء القوم السياسـيون بجـانب من الإسـلام، هو ما ســموه بالحاكمية تعلقــاً سياســياً فحرفــوا من أجل ذلك أصل الإسلام كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وفسـروها بمعـنى لا يعرفه الأنبياء ولا العلماء من الصحابة فمَن بعدهم فقـالوا: إن معـنى لا إله الا الله : لا حاكم إلا الله، والحاكمية أخص خصائص الألوهيـة، وشهد كبراؤهم أن الـذي فسر لا إله إلا الله قد بين معـنى لا إله إلا الله بيانـاً لا نظـير له في هـذا العصـر، وصـدقوا فلم يسـبق الرجل إلى هـذا المعـنى أحـد، لا الأنبيـاء ولا المصـلحون ، ذلك المعـنى الـذي ضـيع المعـنى الحقيقي للا إله إلا الله وجـاء فريق منهم لما لم يسلم العلماء حقاً بـهذا التفسير فقالوا: إن التوحيد أربعة أقســـام، رابعها توحيد الحاكمية. وهي لعبة سياســـية من جملة ألاعيبهم وحيلهم على الأمة يريدون تخـدير من اسـتطاعوا من الشباب السلفي حتى إذا سلموا بهذا التقسيم واطمأنوا إليه جعلوا الحاكمية هي المعنى الأول والأخير للا إله إلا الله".

وينفي المدخلي إخراج العلماء لموضـوع (الحاكميـة) عن أنواع التوحيد، ويقول أنهم أدخلوها في توحيد الربوبية، وبعضــهم في توحيد الألوهية.

ثم يقول رداً على كاتب إصلاحي سمى نفسه بـ: (الموحد) وألّف كتابا تحت عنوان: **(تنقيح المناهج من بدع الخوارج)** :" لقد أبرز هذا الكاتب حقيقة مذهب القطبية من تكفـيره للأمة

وعلى رأسهم سـادة العلمـاء ابن بـاز وإخوانه. وكشف حقيقة ما يخفيه كل قطـبي مـاكر من تكفـير الأمة والعلمـاء، ثم يسـترون ذلك بتقيتهم المشابهة للتقية الباطنية، فيظهـرون للنـاس أنهم لا يكفرون وأنهم يحاربون التكفير ومذهب الخــوارج وأنهم هم أهل السنة والجماعة، فلو كانوا في حقيقتهم كما يظهرون لما تبـاكى عليهم هــذا الخــارجي التكفــيري المحــترق، ولقد شــهد عليهم بالخروج وبرر خروجهم بـأنهم رأوا الكفر البـواح الصـراح، وأنهم دعاة حق وتوحيد وإيمان.

إن مذهب سـيد قطب واضح وضـوح الشـمس في تكفـير المجتمعـــات الإســـلامية منذ قرونها الأولى، وأنه يكفر بالجزئية وبالمعاصي وبالعادة والتقاليد، والقوم يقدسـونه ويقدسـون كتبه ومنهجه وينشرونه بكل حمـاس ونشـاط، ويربـون عليه أتبـاعهم، وعليه يوالــون وعليه يعــادون، ومع ذلك كله يتظــاهرون بعــدم التكفير. وهم يركضون بمنهج سيد قطب الغالي في التكفـير في مشــارق الأرض ومغاربــها، وما هــذا الرجل التكفـيري الصـريح وأمثاله إلا ثمرة من ثمرات جهودهم القوية المتوصـلة على وجه البسيطة.

...يتضح من حرب هـذا الرجل وأمثاله على من يسـمونهم بالجامية والمدخلية أنهم يقصـــدون الســـلفيين في كل أقطـــار الأرض وعلى رأســهم علمـاء المملكة العربية السـعودية، وعلى رأس الجميع ابن باز والعثيمين والفوزان".

وهكـذا صب كلُ ذلك التنظـير الـذي قـام به كبـار علمـاء المؤسسة الدينية الوهابيــة ، في مصــلحة النظــام الاســتبدادي المطلق ، والابتعاد عن الشورى ، وأدى الى تضخيم دور الحاكم على حســـــاب الشــــعب والحركة الوهابية والمؤسسة الدينية نفسها. [360]

---

[360] - يقول أحد الوهـابيين الاصـلاحيين في أحد مواقع الانـترنت عن رجـال المؤسسة الدينية: "في مدينة رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم نشأ فكر مريض أطلق عليه الفكر المدخلي أو الجامي نسـبة إلى مؤسسه ، أو جماعة المدينة نســبة إلى مكــان نشــأتهم . .. بقصد ضــرب الصــحوة الإســلامية والحركـات الجهادية في كل العـالم تحت مسـمى السـلفية والـدين وأقـوال العلمـاء الأوائل ... فكـان من أفكـارهم وسـمومهم تعطيل الجهـاد ولا جهـاد

اليوم فكلها رايات عمياء ولا إمـام ، ولا أمر بـالمعروف أو نهي عن المنكر إلا إذا أذن السلطان صاحب المنكر ، وفي طاعة الحاكم بأمر القـانون طاعة لله وله بيعة في الأعناق وإن تخلى عن شريعة الله واستبدل بالإيمـان كفـرا ، ولا نُصحَ إلا همسا وسرا ، ولا كفر إن نقض المرء إيمانه بنـاقض قـولي او عملي إلا إذا استحل ذلك في قلبه ، وكل الناس عنـدهم على غـير هـدى السـلف إلا هم ، وكل البشر جاهل ولا عالم إلا هم . وليس ثمة أحد أصابه هذا الفـيروس إلا تجهم وجهه لأخوانه وسـاءت أخلاقه وغلظ قوله ، وانبطح للـوالي وصـار دابة تـركب وبسـاطا يفـترش . جـردوا الـدين من روحه ومضـمونه وجعلـوه طلاسم ومناسـبات ففصـلوا السياسة عن الـدين وألغـوا الأمر بـالمعروف والجهـاد والنصح للأمة وإحيائها بعد مـوات ، وعطلـوا أحكـام الله على من وجبت بحقه من الكفر والفسق والبدعة" .

الفصل السادس

المعارضة الوهابية والشورى

نظرا لطبيعة الحركة الوهابية الجماهيرية ، كان لا بد أن نتوقع حدوث تيارات عديدة فيها وعدم اقتصـارها أو جمودها على تيـار واحد ، هو تيـار الـولاء للسـلطة. وحـتى في داخل المؤسسة الدينية الرسـمية لم يمكن اسـتبعاد وجهـات النظر المختلفة ،

خاصة مع غياب الشورى في داخلها ، وإملاء النظام السياسي للمواقف المختلفة على التيار العام. ومن هنا كان من الطبيعي بروز حركات معارضة للنظام السعودي من داخل الحركة الوهابية ، في مقابل موقف المؤسسة الدينية الرسمية التابعة والمؤيدة والمساندة للنظام .

وقد اختلفت تلك المعارضة الى فرق وتيارات عديدة ، وانقسمت الى ثلاثة أقسام رئيسية:

1- المعارضة الإصلاحية (الموالية للنظام)
2- المعارضة الخارجية (الرافضة للنظام)
3- المعارضة الراديكالية (المكفرة للنظام الحاكم)

ويجمع بين هذه الأقسام الثلاثة عدم الاختلاف البنيوي عن الفكر السياسي الوهابي والانبثاق من داخل العقل السياسي للنظام ، وعدم تبني الشورى و الانتخاب أو المشاركة الشعبية في السلطة أو الدعوة الى تغيير النظام دستوريا أو تغيير العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، حيث اقتصرت معارضتها جميعا على نقد الحاكم (وربما الدعوة لإسقاطه) وتوجيه صفة الظلم أو الفسق أو الكفر اليه ، أو نقد بعض ممارساته المخالفة للشريعة الإسلامية و عقيدة التوحيد ، حسب الفهم الوهابي . ولكن من دون تقديم بديل جذري أو ملامسة لجذور الأزمة السياسية ، وهي طبيعة النظام الديكتاتورية و الاستبدادية المطلقة. وذلك لأن المعارضة الوهابية تحاول إصلاح النظام أو تغيير بعض مواقفه ، أو استبدال الحكام بآخرين، ولكنها ترفض إحداث تغييرات جذرية باتجاه إقامة الشورى وإعادة السلطة الى الأمة والقبول بالاحتكام الى صناديق الاقتراع.

1- المعارضة الإصلاحية الموالية

وربما كان أبرز نموذج لهذا النوع من المعارضة هو التيار الإصلاحي الذي ولد داخل المؤسسة الدينية الوهابية في التسعينات من القرن العشرين ، والذي عرف بتيار (مذكرة النصيحة) التي قدمها عدد من كبار رجال الدين الى الملك فهد

عـام 1993 . وقد ابتـدأ ذلك التيـار نشـاطه أثنـاء حـرب الخليج الثانية ، احتجاجا على قـــرار الحكومة الســـعودية الاســـتعانة بـالأمريكيين والأجـانب (الكفـار) في محاربة الـرئيس العـراقي صدام حسين عام 1991 ، واحتجاجا على مواقف كبار العلمـاء الذين أصدروا الفتوى التي تجيز وصول جنود غـير مسـلمين الى المملكة العربية السعودية خلال عمليات "عاصفة الصـحراء".[361] حيث قـام ذلك التيـار بتوزيع الأشـرطة والمناشـير الـتي تنـدد بـالوجود العســكري الأمـريكي في المملكة العربية الســعودية "مهد الإسلام" .

وقد انضم الى هذا التيار عدد من أعضاء هيئة كبار العلماء [362]. وعندما انتهت الحرب سـارع هـذا التيـار الى تقـديم مـذكرة الى الملك فهد وقع عليها أكــثر من أربعمائة شــخص يطــالبون الملك فيها بالإســراع في عملية الإصــلاح ، وتغيـــير القـــوانين الوضــعية وتقوية الجيش الســعودي.[363] وقد شــجعهم على ذلك إعلان الملك فهد عام 1990 عن نيته للقيام بإصلاحات سياسـية من بينها إنشاء مجلس للشورى. فقـام الشـيخ سـليمان العـودة والشيخ سفر الحوالي والشيخ عبد الله بن جبرين في صيف عام 1992 بتنظيم لجنة للإصلاح والمشورة ، وكتابة مذكرة مفصلة بالمظـالم وتسـليمها الى الشـيخ ابن بـاز ، ولكنها لم تجد ترحابا لديه ، حيث رأى فيها تجاوزا لدور كبار العلمـاء الـذين يحتكـرون النصـيحة والمشــورة للملك وخرقا لتقليد وهــابي عريق بتوجيه النصيحة سريا للحكام .

---

[361] - كان الشـيخ ابن بـاز قد قـال: "و أما ماحصل من الحكومة السـعودية لأسباب الحوادث المترتبة على الظلم الصـادر من رئيس دولة العـراق لدولة الكويت ومن استعانتها بجملة من الجيـوش الـتي حصـلت من أنـاس متعـددة من المسلمين وغيرهم لصد العدوان والدفاع عن البلاد فذلك جائز بل تحكمه الضـرورة ، فهي معـذورة في ذلك ومشـكورة على مبادرتها". مجلة إقـرأ ، العدد 779 بتاريخ 23/8/1990 و أنور عبد الله ، العلماء والعرش 394

[362] - أمثال: الشيخ عبد الله بن قعود ، والشيخ عبد الله بن جبرين ، والشيخ سليمان بن فهد العودة ، والشـيخ سـفر بن عبد الـرحمن الحـوالي ، والشـيخ حمـــود بن عقلاء الشــعيبي ، والشـــيخ عبد الله المســعري ، رئيس ديـــوان المظالم سابقا.

[363] - عبد الله ، أنور : العلماء والعرش ، ص 397

وعلى أثر ذلك عقد مجلس هيئة كبار العلماء جلسة بتاريخ 19/11/1411هـ وأصدر بيانا جاء فيه:

- ان مجلس هيئة كبار العلماء يستنكر الطريقة التي سلكت في نشر وتوزيع ما كتب في ذلك ويحذر من مغبة تكرار مثل ذلك مستقبلا ، و يرى ان الطريقة التي استخدمت في نشر وتوزيع ذلك لا يخدم المصلحة ولا يحقق التعاون على البر والتقوى .. ان النصح لأئمة المسلمين يكمن في إرشادهم سراً بينهم وبين ناصحهم.[364]

ورد هذا التيار على بيان هيئة كبار العلماء ، رافضا وصايتهم على عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أو الالتزام بالسرية ، ومؤكدا على قدرته على إيصال صوته الى ولي الأمر مباشرة وعدم الحاجة للمرور بهيئة كبار العلماء.[365]

وقام هذا التيار الإصلاحي ، بعد إعلان الملك فهد عن الأنظمة الثلاثة، بتوجيه (مذكرة النصيحة) الشهيرة الى الملك ، والإعلان عن تأسيس (لجنة للدفاع عن الحقوق الشرعية) في أيار من عام 1993 ، وتضمنت المذكرة أهم أفكار التيار الإصلاحية في المجالات الإدارية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والقضائية والاجتماعية ، ولكنها خلت من الدعوة الى إسقاط النظام ، حيث حافظت على حركتها ضمن إطار الفكر السياسي الرسمي العام.[366]

وقد استندت المذكرة الى الفقرة الثالثة والعشرين من النظام الأساسي الذي أقره الملك ، والتي تقول:" إن الدولة تحمي عقيدة الإسلام وتطبيق شريعته وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقوم بواجب الدعوة الى اللـه" لكي تطالب بتصحيح دور رجال الدين في الدولة السعودية من تبعيتهم للسلطة الى تبعية السلطة لهم " وأن يكون للعلماء والدعاة مكانة لا تعدلها مكانة ، وأن يكونوا في مقدمة أهل الحل والعقد والأمر والنهي ، واليهم ترجع الأمة حكاما ومحكومين لبيان

---

[364] - المصدر ، ص 397
[365] - المصدر ، ص 398
[366] - المصدر ، ص 399

الحكم الشــرعي لســائر أمــور دينهم ودنيــاهم".[367] وانتقــدت المذكرة واقع حال رجال الدين الذي يتمثل في:

1- ضعف دور العلماء في الحياة العامة ، وهامشـية هـذا الدور في قطاعات بالغة الأهمية في حيـاة الأمة مثل سن الأنظمة (أي القــوانين بالمصــطلح السـعودي) والإعلام وأنشطة المرافق الثقافية والاقتصادية حيث لا يطلب رأي العلماء الشرعي في كثير من الأعمـال التي تقوم بها قطاعات الدولة ، وينـدر أن يستشـاروا في قرارات داخلية أو خارجية هامة تحتاج الى أحكام الشـــريعة وقواعد الإســلام التفصــيلية .. وقد لا يســتجاب لفتــاواهم إذا تعارضت مع توجهــات قائمة لهذه القطاعات والأجهزة ، بل قد لا يسـمح بنشـرها. وكل ذلك ينبئ وقد يـؤدي الى فصل الـدين عن واقع حياة النـاس وعزله عن التـأثير في أمر معاشـهم وما قد يترتب على ذلك أثر خطير يهدم الأصل الـذي إنما قامت الدولة له من الدعوة للإسلام وتطبيق أحكامه.

2- عدم استقلالية العلماء وارتباطهم بمؤسسـات ودوائر حكومية متعـــددة ، مما أدى الى تقييد العلمـــاء في فتـــاواهم ، وابتعـــادهم عن واقع الحيـــاة اليـــومي واعتبارهم جهة تابعة لا متبوعة ، مقودة لا قائدة.

3- الحساسـية المفرطة تجـاه النصح والتوجيه والنقد الهـــادف البنـــاء المقـــدم من العلمـــاء والـــدعاة للمسؤولين في هـذه الدولة وأجهزتها المختلفة ، مما أدى الى التضــييق على الــدعوة والــدعاة وظهــور أسـاليب لم تكن معروفة في سـلف هـذه الدولة من فصل الدعاة أو عزلهم أو منعهم من القيام بــواجبهم في كثير من الأحيان.

4- قصر وسائل الإعلام للموضوعات التي تـذاع أو تكتب أو تبث من العلمـــاء والـــدعاة على المواعظ العامة والقضايا الجزئية ، وإحكـام الرقابة على كل ما يـذاع أو ينشر بهذا الصدد.

5- قصر رسـالة المسـجد ومواضـيع خطب الجمع على الوعظ العــام ، ومنعها من التعــرض للقضــايا العامة

[367] - مذكرة النصيحة ، ص 10

في واقع المسلمين وبيـان الـرأي الشـرعي. وكـذلك تحجيم النـدوات والمحاضـرات العامة الـتي تعـالج قضـايا السـاعة ، ومراقبة كل ما يقـال أو ينشر فيها.[368]

وبناء على ذلك فقد طالبت المذكرة بإصلاح أحوال العلماء وتعزيز دورهم وتمكينهم من القيـام بـواجبهم ، وذلك برفع كافة القيود والتعليمات التي تحد من نشاط الدعاة والسماح لهم بالتأليف والنشر والإفتـاء والخطابة والمحاضـرات وعقد الندوات والحلقـات العلمية ، دون حاجة الى تـرخيص أو إذن رسـمي من وزارة الإعلام أو الأوقـاف أو غيرها من أجهـزة الدولة ، وأن يجعل القضاء الشرعي هي الجهة الوحيدة التي يناط بها النظر في أي مخالفة تنسب الى الدعاة والعلماء أو غـيرهم. واقـترحت المـذكرة تعزيز دور هيئة كبـار العلمـاء بتعـيين ذوي الفضل والمشـهورين بالقـدرة والاجتهـاد المقبـولين من أفـراد الأمة ، وذلك بنـاء على ترشـيحهم من الجهات الشرعية كالقضاة وأعضاء الإفتاء والإرشـاد ومجلس القضاء الأعلى وأساتذة الشريعة ، كما طـالبت بعـرض جميع الأنظمـة(القـوانين) والمعاهـدات المـراد سـنها قبل إقرارها على هيئة كبار العلمـاء للتأكد من مطابقتها لقواعد الشـريعة وأحكامها.[369]

ويمكننا اعتبـار طلب المـذكرة هـذا ، نوعا من المطالبة بولاية الفقهـاء على الدولة السـعودية. ومع ان المـذكرة اقترحت ترشيح العلماء الى ما يشـبه (المجلس التشـريعي) الا انها لم تصل الى حد المطالبة بانتخـاب ذلك المجلس من الأمة عـبر الانتخـاب العـام ، وانما اقتصـرت بالمطالبة بترشيحهم من ذوي الاختصاص وليس من قبل الحكومة.

وخلافا لما اعتاد عليه الفكر السياسي الوهابي الرسمي من الطاعة المطلقة للإمـام ، انتقـدت المـذكرة مصـادرة الحريات العامة ، وقالت:" شاع بين الناس بأنه يجـوز للدولة المنع و الإلزام بالمباح لما يسمى بالمصلحة العامة ، استنادا الى كـون الشـرع قد خيّر المكلف بين الفعل والـترك. ولقد نجم عن هـذا الظن الفاسد تحـريم ما أحل الله ورسـوله

---

368 - مذكرة النصيحة ، ص 10- 11

369 - المصدر ، ص 12-13

وإيجاب ما لم يوجب تعالى ، وإلـزام الرعية بـذلك وعقـابهم على مخالفته دون قيد شـرعي منضـبط أو إذن من الشـارع الإسلامي بذلك... وقد نهت الشريعة أن يلزم الإنسـان نفسه عن فعل مباح حتى لو كان بقصد التعبـد.. فكيف يحل للدولة أن تحـــــرم بعض المبـــــاح عموما أو تعلق فعله على إذنها وترخيصـــها؟...فـــان الأصل أن المبـــاح ليس للدولة تحريمه والمنع منه أو إيجابه ، أو قصر فعله على من حصل على تـــرخيص منها ، لأن الإباحة حكم من خـــالق العبـــاد و ربهم تعـــالى ، ومــتى ثبت بالــدليل الشــرعي إباحة الفعل فليس لمخلوق المنع أو الإلــزام به على وجه الإطلاق وليس للدولة ذلك الا وفق الأحوال المبنية بالشرع".[370]

واستنادا الى ذلك انتقدت المـذكرة كثـيرا من الأنظمة (القـــوانين) الـــتي تقـــدم بها الملك فهد واعتبرتها منافية للحريات العامة أو مستوردة من القوانين الأجنبية الكـافرة ، مثل قـــانون المواطنة الســعودية الـــذي يتضـــمن" التفرقة والتميـيز بين المسـلمين وتسـمية المسـلم أجنبيا في مـواد أنظمة لا تحصى باعتبـــار المـــوطن الإقليمي وعلى أســـاس المولد ، مخالفة بـــذلك أحكـــام دار الإســـلام المعلومة من الدين".[371]

وأشادت المذكرة بتنويه (النظام الأساسي) الذي تقدم به الملك : باستقلال القضاء . وطـالبت بترجمة ذلك الى الواقع و رفع المنع للمحـاكم الشـرعية من نظر الـدعاوى المقامة على جهـــات حكومية الا بعد الإذن بـــذلك ، ومنع النظر في قضايا ترفع لـدى المحـاكم أو ديـوان المظـالم بحجة أنها من قضايا السيادة ، كالدعاوى التي تقـدم ضد أجهـزة الجـوازات والمبـاحث وغيرهـا. والتـأخير الملحـوظ في إنفـاذ الأحكـام القضـائية الصـادرة من ديـوان المظـالم ضد بعض أجهــزة الدولة ووزاراتها ، وكـــذلك الصـــادرة من المحـــاكم بإعـــادة الحقوق لأهلها إذا ما تعلقت هـذه الأحكـام بـأجهزة الدولة أو بعض كبار المتنفذين فيهـا.[372] واقـترحت ، في سـبيل إصـلاح واقع القضاء ، العمل من أجل رفع جميع القيـود الـتي تحـول

---

[370] - المصدر ، ص 20 و21 و23
[371] - المصدر ، ص 25
[372] - المصدر ، ص 35

دون تقــديم كافة أنــواع القضــايا والــدعاوى الى المحــاكم الشــرعية مباشــرة دون وســاطة أو اشــتراط إحالة أي جهة كانت ، وسواء كانت الدعوى خاصة أو دعوى حســبة وســواء كان موضـوع الـنزاع معروضا على أجهـزة الحكومة او عـدم ذلــك. وحصر إصــدار التعليمــات الموجهة للقضــاة بمجلس القضــاء الأعلى فقط ، وتوجيه أجهــزة الدولة من إمــارات و وزارات بالالتزام بـذلك. وأن تبسط هيمنة القضـاء الشـرعي على رجـــال الشـــرطة والأمن ونـــواب الهيئـــات ومن في حكمهم.[373]

وتحت بند (واقع الكرامة والحقـوق الإنسـانية) انتقـدت المذكرة قيام الأجهـزة الأمنية بالتجسس والتصـنت وتفـتيش المنازل وفتح الرسائل والتعدي بالضـرب والعـدوان وتعـذيب المتهمين ، ومعاقبة الذين يقومون بـأداء واجبـاتهم الشـرعية كالــدعوة والنصـيحة والتعبـير المشـروع والأمر بــالمعروف والنهي عن المنكر ، والمنع من تكوين الجمعيــات الدعوية أو التأليف والخطابة الا بترخيص.[374]

وانتقدت المذكرة غياب الجيش السعودي منذ توحيد البلاد ، عن أداء أي دور جهـــادي لنشر دعـــوة التوحيد ونصـــرة المظلومين من المسلمين ، وطالبت بإلغاء كافة الارتباطـات والمعاهـدات العسـكرية المخلة بسـيادة الدولة واسـتقلالها ، وعـدم الاعتمـاد على أية قـوة عسـكرية خارجية مهما كـانت في الدفاع عن البلاد وحماية أمنها.[375]

وانتقـدت المـذكرة ما أسـمته سياسة الفتـور والتجاهل والخـــذلان والتشـــويه الإعلامي ، الـــتي تتبعها المملكة في علاقاتها مع التوجهات الإسلامية ، دولاً وحركات وأفــرادا ،[376] وكــذلك الحــرص الشــديد على عــدم التعــارض مع مصــالح الأنظمة الغربية التي تقود العداء للإسلام ، ومجاراة الولايات المتحدة الأمريكية في غالب المواقف والعلاقات والقــرارات مثل الانـدفاع نحو عملية السـلام مع اليهـود. وطـالبت بتبـني

---

[373] - المصدر ، ص 36-37 و 41

[374] - المصدر ، ص 47-48

[375] - المصدر ، ص 74 و 77

[376] - طبعا فيما عدا الحركات والدول الشيعية التي أصدر الشيخ ابن جبرين فتوى بتكفيرهم بصورة عامة.

سياسة الوحــدة الإســلامية والعمل من أجلها ، ودعم قضــايا المســلمين في جميع المحافل الدولية ، والتعامل بحكمة مع الدول والتكتلات والتوجهـات المعادية للإسـلام وعلى رأسـها الأنظمة الغربية ، وتجنب أي نـــوع من الأحلاف أو أشـــكال التعاون التي تخدم الأهداف الاسـتعمارية وتـؤثر على القـرار السياسي للبلد.[377]

ورغم كل تلك النقاط المثيرة التي طرحتها المذكرة ، الا انها ظلت في إطار (النصيحة) ولم تتقـدم خطـوة عملية الى الأمـام لكي تضع آلية لتنفيذ مطالبها ، بطـــــرح موضــــوع الشـــــورى والانتخابات ، أو الضغط على الحكومة بالتظاهر والإضراب العام (ماعـدا بعض المظـاهرات المحـدودة الـتي وقعت في بريـدة) فضلا عن اســتخدام العنف أو الـــدعوة الى إســـقاط النظـــام السياسي. فقد ظل الاصلاحيون يعارضون ويقـترحون وينتقـدون ضمن دائرة المسموح في الفكر السياسي الوهـابي وفي إطـار الــولاء التــام للنظــام الســعودي. وبــالرغم من ذلك فقد اعتقل العـودة والحـوالي وتم تجميد عضـوية ابن قعـود والشـعيبي من هيئة كبار العلماء ، وقيدت حركة الشيخ المسعري.

2- المعارضة الخارجية الرافضة

والى جـانب تلك المعارضة الموالية ، وأمـام انغلاق بـاب الإصـلاح ، وبعد تفـاقم الانحـراف السياسي ، كـان لا بد ان تولد معارضة أكـثر تطـورا ، تمـزق خيـوط الـولاء للنظـام السـعودي وتسـحب اعترافها بشــرعيته وتــدعو وتعمل من أجل إســقاطه "نظرا لافتقاده الشروط الشرعية الدينية التي تؤهله للاســتمرار في الحكم". ولعل أبــرز من يمثل هــذا النــوع من المعارضة هي حركة جهيمان بن سيف العتيبي الذي قام باحتلال الحـرم المكي

[377] - مذكرة النصيحة ، ص 91و93

عـــام 1979 وأعلن فيه ظهـــور المهـــدي (محمد بن عبد الله القحطاني) .

وقد طـرحت هـذه الحركة الـتي انتقـدت "انحـراف النظـام السعودي عن الإسلام" : مسألة البيعة . وقـالت ببطلان بيعة آل ســعود لافتقــادهم الى شــرط (القرشــية) ، الــوارد في بعض الأحـــاديث النبوية . ولكن تلك الحركة لم تصل في معارضـــتها للنظام السعودي الى حد اتهامه بالكفر الصـريح ، فقد كـان قائد هذه الحركة (جهيمان) يؤكد على إسلام الحكـام ويقـول:" ان آل ســعود ليس لهم بيعة وان بيعتهم غــير شــرعية. ولا يلــزم من بطلانها تكفـيرهم ، بل هم مسـلمون بيعتهم باطلة شـرعا بالأدلة والكتاب والسنة".[378]

وأقصى ما كـان جهيمـان يقوله في حكـام آل سـعود هو تشـبيههم بالمنـافقين ، حيث يقـول: " ما أشـبه هـؤلاء الحكـام بالمنــافقين فــتراهم مع إظهــار هم الإســلام يوالــون الكفــار والمشركين ، ولكن طائفة والت وصـالحت اليهـود وطائفة والت الشيوعية وصـالحت النصـارى و آوت المشـركين من الشـيعة و الروافض. فكل من هذه الـدول الإسـلامية له نصـيب من إظهـار الإســلام وله نصــيب من مــوالاة الكفــار . وربما اختلفــوا في اتجاهــاتهم وكلهم متفقــون على محاربة الحق وأهله إذا خــالف سياستهم وسياسة من يوالونهم من أعداء الإسلام".[379]

ورغم اعتقـاد جهيمـان بـانحراف حكـام آل سـعود ، الا انه اعتـبرهم في البداية أئمة جـور أو ظلمة لم يخرجـوا من دائـرة الإسـلام . وأورد في رسـالته (نصـيحة الإخـوان الى المسـلمين والحكام) حـديث (تسـمع وتطع الأمـير وان ضـرب ظهـرك وأخذ مالك...) واستدل به على وجوب الطاعة لهم على من يبـايعهم ، ولكنه شكك في وقت لاحق في صحة هذا الحديث فتراجع عن ذلك الموقف في رسـالة (الإمـارة) ، ومع ذلك لم يتطـرف لكي يحكم على آل سعود بالكفر والردة. " فهو لا يـرى أنهم أظهـروا

---

[378] - العتيبي ، جهيمان : الحاكمية وتقديم الطاعة وكشف خداع الحاكم للعامة وطلاب العلم، ص 11 نقلا عن : الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية ص 259

[379] - المصدر ، نقلا عن : الكواشف الجلية 260

كفرا بواحاً ، والحكومة عنده حكومة مسلمة. وعلى هذا أكثر أتباعه الى اليوم". [380]

وبناء على ذلك لم يتخذ جهيمان موقفا عنيفا من المؤسسة الدينية وزعيمها الشيخ عبد العزيز بن باز ، وانما اكتفى بتوجيه النقد الى العلماء الذين باعوا أنفسهم للنظام الفاسد مقابل المال والمناصب والترقيات ، واعتبارهم موظفين إداريين وجزءا من أركان الدولة.[381]

وبما أن العتيبي كان سلفيا ويؤمن ببعض الأخبار التي تتحدث عن حتمية ظهور المهدي المنتظر بعد انحطاط السلطة السياسية وانتقالها الى الملكيات الاستبدادية ، فقد انعكس ذلك على خطته في العمل والتغيير ، فبحث بين أتباعه عمن يقوم بدور المهدي ، وأقنع واحداً منهم اسمه : (محمد بن عبد الله القحطاني) بأنه فعلا المهدي المنتظر الذي سوف يخرج - كما في الأحاديث - من الكعبة ويحكم بالعدل والقسط ، فالتجأ معه ومع ثلة من أصحابه الى الحرم المكي مطلع عام 1400 للهجرة ، وأعلن ظهور ذلك المهدي (القحطاني) ودعا الناس الى بيعته .

ولم يتسنَّ للعتيبي والقحطاني تبيان تصورهما السياسي لطريقة حكم البلاد في المستقبل ، غير أنه لا يوجد في تراث الحركة ما يدل على إيمانهما بالشورى أو الانتخاب أو المشاركة الشعبية في السلطة . وربما كان أقصى ما يحلمان به هو استبدال حكام آل سعود بحكام أكثر ورعا وتقوى والتزاما بالدين. مما يعني عدم امتلاكهما لأي تصور سياسي يختلف بنيويا وجذريا عن النظام السعودي الوهابي القائم.

ورغم أن هذه الحركة احتلت الحرم المكي الشريف الا انها لم تستخدم العنف ولم تقتل أحدا ابتداء ، غير ان احتلالها للحرم كان كافيا لمهاجمة السلطات السعودية لها . ونظرا لأن الحركة

---

[380] - النجدي ، أبو البراء عبد العزيز : الكواشف الجلية258- 260

[381] - يقول جهيمان عن الشيخ ابن باز:" انه ركن من أركان الدولة .. وهو الآن موظف إداري ويخدعونه بـ : (أبونا) و (شيخنا) وغير ذلك من اجراءات المنافقين. وانما يأخذون منه ومن علمه ما وافق أهواءهم ، فاذا خالفهم بالحق لم يتحرجوا في مخالفته ورد الحق ، وهو يعلم ذلك جيدا .. وأكبر ما جعلنا ننفر منه تعلقه بهذه الدولة الملبسة حتى رأينا أثر ذلك عليه عافاه الله مما هو فيه". من (رسالة الإمارة) لجهيمان العتيبي ، ص 23 نقلا عن : الكواشف الجلية 251-253

كـــــانت تنبثق من عمق الحركة الوهابية ومنطقة نجد فقد لاقت الحكومة السعودية صعوبة كبيرة في إقنـاع جنودها الـذين ينتمي غـالبيتهم الى تلك المنطقة ، بمهـاجمتهم في الحـرم وإخـراجهم منه. ولذلك دعت رجـال الـدين لإصـدار حكم شـديد عليها وتأييد الحكومة ، فـاجتمع المجلس الأعلى للإفتـاء برئاسة الشـيخ عبد العزيز بن باز و أصدر فتوى تؤيد آل سعود وتدين احتلال الحـرم ، وعملية الخــروج باعتبارها خروجا على دولة إسـلامية شـرعية قائمة وشقا لعصا المسلمين . و وقَّع على الفتـوى ثلاثـون عالما من كبار علماء السعودية.[382]

وجاء في فتوى الشيخ ابن باز :"كيف يجوز له (لجهيمـان العتيــبي) الخــروج على دولة قائمة قد اجتمعت على رجل واحد وأعطته البيعة الشـرعية ، فيشق عصـاها ويفـرق جمعهـا؟ وقد قال عليه الصـلاة والسـلام فيما صح عنـه: (من أتـاكم وأمـركم جميع يريد ان يشق عصـاكم أو يفـرق جمـاعتكم فاضـربوا عنقه كائنا من كـان) خرجه مسـلم. ولما بـايع النـبي (ص) أصـحابه بايعهم (ان لا ينازعوا الأمر أهله ، الا ان تروا كفراً بواحاً عنـدكم من الله فيه برهـان) وهـذه الدولة بحمد الله لم يصـدر منها ما يوجب الخروج عليها. ويُحتج في هذا المقام بحـديث : (من رأى من أميره شيئا من معصية الله فليكره ما يـأتي من معصـية الله ولا يـنزعن يـدا عن طاعة ، فـان من خـرج عن الطاعة وفـارق الجماعة مـات ميتة جاهلية) وبـذلك تـدخل هـذه الطائفة تحت قوله عز وجل: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يـذكر فيها اسـمه وسـعى في خرابها ، أولئك ما كـان لهم ان يـدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عـذاب أليم) ويُحتج بحـديث: (من حمل علينا السـلاح فليس منا) لتحـريم الإخـوان لأجل إطلاقهم النـــار على رجـــال الأمن الـــذين أرادوا حماية المسلمين من شرهم". [383]

وقد أعطت فتـوى الشـيخ ابن بـاز وكبـار العلمـاء الإذن للسـلطات السـعودية بـالهجوم على الحـرم واعتقـال وقتل

---

[382] - الياسيني ، أيمن : الاسلام والعرش 201

[383] - مجلة البحوث الاسلامية ، السعودية (العدد الاول من المجلد الثاني) بعنوان : (حادث المسجد الحـرام وأمر المهـدي المنتظر) والكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية ، 255-256

المعتصـمين فيه ، والقضـاء على جهيمـان وصـاحبه : (المهـدي القحطـــاني) ولكنها لم تســتطع القضـــاء على أتبـــاع الحركة المنتشرين في أعماق الحركة الوهابية ، الذين يعرفون اليوم بــ : (حـزب القـرآن) والـذين يرفضـون الاعـتراف بشـرعية الدولة السـعودية. وربما تطـور بعضـهم بعد القضـاء على حركة الحـرم وقتل قياداتهم ، الى القول بالتكفير، كما ينقل عن العتيبي نفسه الذي يقال إنه عبر عن سوء تقديره للنظام السعودي الذي كـان يحسبه ظالما وجائرا فقط ولكنه أيقن بعد اقتحـام الحـرم: "أنه كافر" .

" السرورية "

وهناك جماعة يطلق عليها "السرورية" نسبة الى (محمد بن سـرور زين العابـدين)[384] وهم كما يقـول الشـيخ أحمد بن يحـيى النجمي في كتابه: (الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية) :"قوم أو حزب عندهم شيء من السـنة وشـيء من البدعة ، يقـدحون في الــولاة ويتكلمــون فيهم بما ينتج عنه شر وفتنة وخطــورة ، والظاهر أنهم يكفرون الولاة ، لكن هذا إنما هو مأخوذ من لسان حالهم ولم يؤخذ من لسان مقالهم.. وقد تناولوا علماء هـذا البلد بالسب والشتم المقذع واتهامهم بالخيانة للـدين ، ويزعمـون أن العلماء في هذا البلد لا يفقهـون الواقـع. وهـذا أمر يـدل على ما وراءه. وهم يـدعون الى الجهـاد وليس مـرادهم جهـاد الكفـار ، ولكن الظاهر أن مرادهم ضد الدولة".

وينقل عن هـذه الحركة دعوتها الى ولاية الفقهـاء للدولة ، استنادا الى دور الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب مع الأمـير محمد بن سـعود وابنه عبد العزيز ، حيث كــان يقــوم بــدور القيــادة والإشراف والتوجيه.[385]

---

[384] - شيخ سوري معارض كان يدرس في جامعة الامام محمد بن سعود في السعودية ، واستقر في لندن بعد حرب الخليج الثانية.

[385] - يعتقد الشيخ محمد سرور زين العابدين :أن الأمير محمد بن سـعود هو الذي بـايع الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب وليس العكس، وأن ذلك يعـني : أن الشيخ أصبح إمام هذه البلدة وصاحب القـرار الأول فيها. وذلك بنـاء على رواية المؤرخين الوهابيين ابن غنام وابن بشر ، التي تقول: إن محمداً بسط يـده وبـايع الشـيخ على دين الله ورسـوله، والجهـاد في سـبيل اللـه، وإقامة

3 - المعارضة الثورية المسلحة
(تنظيم القاعدة)

وقد انبثقت هـذه المعارضة (الثوريـة) من صـفوف المعارضة الموالية ، بعد فشل الحـوار مع النظـام وعجزها عن تحقيق أهدافها بالطرق السلمية ، فتطورت نحو التكفـير والخـروج المسـلح ، وانتشـرت بشـكل رئيسي في صـفوف القواعد الشـعبية الوهابية وخاصة "الأفغـان السـعوديين" الـذين شـاركوا في حـرب تحرير أفغانسـتان من الاحتلال السـوفيتي وكـان يبلغ عـددهم حـوالي خمسة عشر ألفا ، والذين عـادوا الى بلادهم ليجـدوا الاحتلال الأمـريكي قد جثم على بلاد الحرمين منذ حرب الخليج الثانية عام 1991

شـرائع الإسـلام، والأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر ، فقـام الشـيخ ودخل معه البلـد، واسـتقر عنـده . وأن الشـيخ كـان مع محمد بن سـعود يسـيران الجيوش، ويستقبلان الوفود ، وأن الأخمـاس والزكـاة وما يُجـبى إلى الدرعية من دقيق الأشياء وجليلها كلها ، كانت تـدفع إلى الشـيخ بيـده ، ويضـعها حيث شـاء ، ولا يأخذ عبد العزيز ولا غـيره من ذلك شـيئاً إلا عن أمـره ،وأن الحل والعقد والأخذ والعطاء ، والتقديم والتأخير، كان بيـده ، ولا يـركب جيش، ولا يصدر رأي من محمد وابنه عبد العزيز إلا عن قوله ورأيه . وأن الشيخ فـوّض بعد فتح الرياض أمـور المسـلمين وبيت المـال الى عبد العزيز بن محمد بن سـعود ، وانسـلخ منها ، وانصـرف للعبـادة وتعليم العلم ، ومع ذلك فـان عبد العزيز لم يكن يقطع أمراً دونه، ولا ينفذه إلا بإذنه ، مما يـدل على أن محمد بن عبد الوهاب كان هو رأس ذلك النظام المحكم لعقـده . ولـذا فـان هنـاك من يقول:إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخطأ عنـدما قبل أن يكـون الحكم وراثيـاً في آل سـعود الـذين اسـتغلوا هـذه الـدعوة وأفرغوها من مضمونــها الإصـلاحي. وبنـاء على ذلك يطـالب بعـودة الأمـور في الدولة الوهابية ، الى أيدي العلماء ورجال الدين كما كانت في العهد الأول.

وربما كانت الرسالة المفتوحة الـتي بعث بها أسـامة بن لادن الى عامة المسـلمين وأبنـاء جزيـرة العـرب بالخصـوص ، عـام 1997 تشرح حالة الإحباط التي كان يشـعر بها ذلك الفريق من المعارضة الوهابية ، بعد وصــول طريق الإصــلاح السـلمي الى طريق مسدود ، والتي شـكلت المنطلق للحركة ، والـتي يقـول فيها:

- "بـذلت كل فئة جهـدها للتحـرك السـريع لتـدارك الموقـف، وتلافي الخطـر، فنصـحوا سـراً وجهـراً، ونـثراً وشـعراً، زرافـات ووحدانا، وأرسـلوا العـرائض تتلوها العـرائض، والمـذكرات تتبعها المــذكرات، وما تركــوا ســبيلاً إلا ولجــوه ولا رجلاً مــؤثراً إلا وأدخلـوه معهم في تحـركهم الإصـلاحي، وقد كـانوا متـوخين في كتابـــاتهم أســـلوب الرفق واللين بالحكمة والموعظة الحســـنة داعين إلى الإصــلاح والتوبة من المنكـــرات العظـــام والمفاسد الجســام الــتي شــمل فيها التجــاوز مُحْكَمَــات الــدين القطعية وحقوق المواطنين الشرعية. ولكن - للأسف الشديد- لم يجدوا من النظـام إلا الصـدود والإعـراض، بل والسـخرية والاسـتهزاء، ولم يقف الأمر عند حد تسفيههم فقـط، بل تعـززت المخالفـات الســـابقة بمنكـــرات لاحقة أكـــبر وأكـــثر.. فلم يعد الســـكوت مستساغاً، ولا التغاضي مقبولا. ..ولما بلغ التجاوز ما بلغ، وتعـدى حدود الكبائر والموبقـات إلى نـواقض الإسـلام الجليـات، قـامت مجموعة من العلماء والدعاة الذين ضـاقت صـدورهم ذرعـاً بما أصم آذانهم من أصــوات الضــلال، وغشي أبصــارهم من حجب الظلم، وأزكم أنوفهم من رائحة الفساد ...فانبعثت نذر الرفض ، وارتفعت أصوات الإصلاح داعية لتدارك الموقف، وتلافي الوضع، وانضم إليهم في ذلك المئات من المثقفين، والوجهـاء، والتجـار، والمسؤولين السابقين، فرفعوا إلى الملك العرائض والمـذكرات المتضمنة المطالبة بالإصـلاح ، غـير أنه تجاهل النصـح، واسـتهزأ بالناصحين، وظلت الأوضاع تزداد سوءاً على سوء .

وحينئــذٍ أعــاد هــؤلاء الناصــحون الكــرة من جديد بمــذكرات وعـرائض أخـرى كـان من أهمها مـذكرة النصـيحة الـتي سُـلِمَتْ للملك في محـرم 1413 هــ والــتي شَخَّصت الــداء ووصــفت الدواء، في تأصيل شرعي قويم، وعرض علمي سـليم، فتنـاولت

بــذلك الفجــوات الكــبرى في فلســفة النظــام، ومواضع الخلل الرئيســية في دعــائم الحكم، فــبينت ما يعانيه رمــوز المجتمع وقياداته الداعية للإصــلاح - كالعلمــاء والــدعاة وشــيوخ القبائل والتجـار والوجهـاء وأسـاتذة الجامعـات- من تهميشٍ وتحييـد، بل ومن ملاحقة وتضييق.

و أوضحت حالة الأنظمة واللـوائح في البلاد، وما تضـمنته من مخالفات شـملت التحـريم والتحليل تشـريعاً من دون الله. .. و بينت المـذكرة تعطيل العديد من الأحكـام الشـرعية واسـتبدالها بـــالقوانين الوضـــعية... وعلى صـــعيد سياسة الدولة الخارجية كشفت المذكرة ما تميزت به هذه السياسة من خـذلان وتجاهل قضـايا المسـلمين، بل ومن مناصـرة ومـؤازرة الأعـداء ضـدهم وليست (غزة - أريحا) والشيوعيون في جنـوب اليمن عنا ببعيـد، وغيرهما كثير. ولا يخفى على أحد أن تحكيم القوانين الوضـعية، ومناصــرة الكــافر على المســلم معـدودة في نــواقض الإســلام العشرة.

ومع أن المذكرة عرضت كل ذلك بلين عبارة، ولطف إشارة، مـذكرة باللـه، واعظة بالحسـنى، في أسـلوب رقيق ومضـمون صادق ورغم أهمية النصيحة في الإسـلام، وضـرورتها لمن تـولى أمر النـاس، ورغم عـدد ومكانة المـوقعين على هـذه المـذكرة، والمتعاطفين معهـا، فـإن ذلك لم يشـفع لهـا، إذ قوبل مضـمونها بالصد والـرد، ومُوقِّعُوها والمتعـاطفون معها بالتسـفيه والعقـاب والسجن".

وهكذا ينتقل ابن لادن الى مرحلة جديدة هي سحب الشرعية الدينية من النظــام الســعودي ومقاربة القــول بتكفــيره ، في خطوة من أجل تبرير الخروج عليه والتحرر من بيعته والــولاء له ، إذ يقول:

- " إن النظام قد مزق شرعيته بيده بأعمال كثيرة أهمها:

1- تعطيله لأحكام الشـريعة الإسـلامية، واسـتبدالها بـالقوانين الوضــعية. .. حــتى وصل إلى الظلم العظيم وهو الشــرك بالله

ومشـاركة الله في تشـريعه للنـاس، وإباحة ما حـرم الله كالربا وغيره حتى في البلد الحرام عند المسجد الحرام.

2- عجزه عن حماية البلاد وإباحتها السنين الطوال لأعـداء الأمة من القوات الصليبية الأمريكية".

ويقول:" في الوقت الذي لم تسترجع الأمة بعد قبلتها الأولى، ومسرى نبيها عليه الصلاة والسلام .. إذ بالنظام السـعودي يفجع الأمة بما تبقى لها من مقدسات: مكة المكرمة والمسجد النبوي بأن جلب نساء جيوش النصارى للدفاع عنه، وأباح بلاد الحــرمين للصـــليبيين ، وفتحها بطولها وعرضـــها لهم، فـــامتلأت بقواعد جيــوش أمريكا وحلفائهــا، وقد خــالف بإباحته الجزيــرة العربية للصـليبيين الوصـية الـتي أوصى بها رسـول الله أمته وهو على فــراش المــوت حيث قــال: (أخرجــوا المشــركين من جزيــرة العـرب) ؛ لأنه أصـبح عـاجزاً أن يقف بـدون مسـاعدتهم، فخـان بذلك الأمة، ووالى الكفّار وناصرهم وظـاهرهم على المسـلمين، ولا يخفى أن ذلك معدود في نواقض الإسلام العشرة.

"وكان أن أُصيبَ المسلمون بمصـيبة من أعظم المصـائب الـتي أُصيبوا بها منذ وفاة النبي صلى الله عليه وســلم ألا وهي احتلال بلاد الحرمين ، عقر دار الإسلام، ومهبط الوحي، ومنبع الرسـالة، وبها الكعبة المشــرفة قبلة المســلمين أجمعين ، وذلك من قبل جيوش النصارى من الأمريكيين وحلفائهم".

ورفض أسامة بن لادن دعوى الحكومة السعودية بأن القوات الأمريكية هي لحماية أرض الحـــــرمين ، وبأنها مســــألة مؤقتة للدفاع عنها . واستشهد بقول وزير الدفاع الأمريكي وليام بــيري للجنــود الأمريكــيين بعد انفجــار الخــبر ، بــأن وجــودهم في بلاد الحرمين إنما هو لحماية المصالح الأمريكية. وأكد ابن لادن: بــأن تواجد الأمريكـــيين في الجزيـــرة العربية هو احتلالّ عســـكريّ مخطــطّ له من قبل ، وإن هــذا الادعــاء هو خدعة أخــرى يريد النظـــام أن تنطلي على المســـلمين ، ليـــذهب ما تبقى لنا من مقدسات، فَكَذَب على العلماء الـذين أفتـوا بـدخول الأمريكـان، وكذلك على الجمع العظيم من علماء وقيادات العـالم الإسـلامي

في مــؤتمر الرابطة في مكة المكرمة بعد أن اســتنكر العــالم الإسـلامي دخـول القـوات الصـليبية بلاد الحـرمين بحجة الـدفاع عنهـا، حيث قـال لهم: إن الأمر يســير، وأن القــوات الأمريكية وقوات التحالف سوف تخـرج بعد بضـعة أشـهر. وها نحن اليـوم نــدخل في الســنة الســابعة بعد مجــيئهم، والنظــام عــاجز عن إخراجهم، ولا يريد أن يعترف لشعبه بعجزه، فاستمر يكذب على الناس، ويدعي أن الأمريكيين سيخرجون.

وبعد أن استعرض ابن لادن هاتين المسألتين اللتين اعتبرهما ناقضين من نواقض الإسلام العشرة ، أشـار الى حـرص الـدعاة والمصـلحين على سـلوك سـبل الإصـلاح السـلمية حرصـاً على وحدة البلاد، وحقناً لدماء العباد. وتساءل: "لمـاذا يوصد النظـام جميع سـبل الإصـلاح السـلمية ويـدفع النـاس دفعـاً نحو العمل المســلح؟!! وهو البــاب الوحيد الــذي بقي أمــام النــاس لرفع الظلم وإقامة الحق والعدل".[386]

ورغم أن ابن لادن كاد أن يفتي بكفر الحكام السـعوديين ، لنقضهم بعض شروط الإيمان العشـرة ، وأن يفتح بـاب الهجـرة والجهـاد ضـدهم ، الا أنه اتخذ قـرارا مهما في تجنب الاقتتـال الداخلي ، وعدم توجيه أسـلحته الى النظـام السـعودي مباشـرة "وذلك لما له من نتائج وخيمة، من أهمها:

1- اســـتنزاف الطاقـــات البشـــرية حيث إن معظم الإصــابات والضــحايا ســتكون من أبنــاء الشــعب المسلم.
2- استنزاف الطاقات المالية.

---

[386] - ثم انتقل الى الحديث عن حركته الاصلاحية وتواجده في أفغانستان من أجل العمل على رفع الظلم الـذي وقع على الأمة من التحـالف اليهـودي الصليبي، الذي استباح بلاد الحرمين. والتـذاكر لبحث سـبل الإصـلاح لما حل بالعالم الإسلامي عامة، وببلاد الحرمين خاصـة، وتـدارس السـبل الـتي يمكن بسـلوكها إعـادة الأمـور إلى نصـابها، والحقـوق إلى أصـحابها. وخاصة بعد أن أصاب الناس ما أصـابهم من خطب عظيم... وبـات الوضع في بلاد الحـرمين أشبه ببركان هائل يكاد أن ينفجر فيقضي على الكفر والفساد .

3- تدمير البنية التحتية للدولة.

4- تفكك المجتمع.

5- تـــدمير الصـــناعات النفطية حيث إن تواجد القـــوات العســـــكرية الصـــــليبية والأمريكية في دول الخليج الإسلامي براً وجواً وبحراً هو الخطر الأعظم والضرر الأضخم الذي يهدد أكبر احتياطي بترولي في العـالم، وإن انتشار القتـال في تلك الأمـاكن يعـرض البـترول لمخــاطر الاحــتراق مما يــؤدي للإضــرار بالمصــالح الاقتصادية لـدول الخليج ولبلاد الحـرمين بل وأضـرار جسيمة للاقتصاد العالمي.

6- تقسيم بلاد الحـرمين واسـتيلاء إسـرائيل على الجـزء الشمالي منهـا، حيث إن تقسـيم بلاد الحـرمين يعتـبر مطلباً ملحـاً للتحـالف اليهـودي الصـليبي؛ لأن وجـود دولة بهذا الحجم وهذه الطاقـات تحت حكم إسـلامي صـحيح قـادم بـإذن الله يمثل خطـورة على الكيـان اليهـودي في فلسـطين، حيث إن بلاد الحـرمين تمثل رمـزاً لوحـدة العـالم الإسـلامي نظـراً لوجـود الكعبة المشرفة قبلة المسلمين أجمعين.

7- إن أي قتـــــال داخلي مهما تكن مبرراته مع وجــــــود قوات الاحتلال الأمريكي يشـكل خطأ كبـيراً حيث إن هــذه القــوات ســتعمل على حسم المعركة لصــالح الكفر العالمي".

وانطلاقا من هذه النقاط السبع رفض ابن لادن فتح معركة مباشرة مع النظام السعودي الذي جرده من الشـرعية ولكن لم يعلن كفره و ارتداده بصـراحة ، وانما تجـاوزه وأخذ يعمل وكـأن النظــام غــير موجــود ، فــأعلن الجهــاد في ســبيل الله وحــرب العصـــابات ، لإخـــراج العـــدو المحتل من بلاد الحـــرمين وتحرير المقدســـات المحتلة " وذلك بواســـطة قـــوات خفيفة ســـريعة الحركـــة، تعمل في ســـرية تامـــة، وبعبـــارة أخـــرى شن حـــرب

عصابات يشارك فيها أبناء الشعب من غـير القـوات المسـلحة". ووجه خطابا للقـوات المسـلحة السـعودية بالتعـاون معه ، ولكن ليس بالانضمام الكامل اليه الآن "نظرا لعدم التــوازن بين قواتنا النظامية المسلحة وقوات العـدو . وتعلمـون أنه من الحكمة في هذه المرحلة تجنيب قوات الجيش المسـلحة الـدخول في قتـال تقليدي مع قـوات العـدو الصـليبي، ويسـتثنى من ذلك العمليـات القوية الجريئة التي يقوم بها أفراد من القوات المسلحة بصورة فرديــة، أي بــدون تحريك قــوات نظامية بتشــكيلاتها التقليديــة، بحيث لا تنعكس ردود الأفعـال بشـكل قـوي على الجيش ما لم تكن هنــاك مصــلحة كبــيرة راجحــة، ونكاية عظيمة فادحة في العدو، تحطم أركانه وتزلزل بنيانه ، وتعين على إخراجه مهزومـاً مدحوراً مقهوراً، مع الحذر الشديد من أن تُسْـفَكَ في ذلك دمـاء مسلمة.

والذي يرجوه إخـوانكم وأبنـاؤكم المجاهـدون منكم في هـذه المرحلة هو تقــديم كل عــون ممكن من المعلومــات والمــواد والأســلحة اللازمة لعملهم، ويرجــون من رجــال الأمن خاصة التستر عليهم، وتخذيل العدو عنهم، والإرجاف في صفوفه، وكل ما من شــأنه إعانة المجاهــدين على العــدو المحتل". وقــال أسامة بن لادن أيضا:"في الـوقت الـذي نعلم أن النظـام يتحمل المســؤولية كاملة في ما أصــاب البلاد وأرهق العبــاد، إلا أن أساس الداء و رأس البلاء هو العـدو الأمـريكي المحتل ، فينبغي تركــيز الجهــود على قتله وقتاله وتــدميره ودحــره والــتربص به والترصد له حتى يُهْزَمَ بـإذن الله تعـالى .ولـذا اتفق الجميع على أنه "لا يســتقيم الظل والعــود أعــوج" فلا بد من التركــيز على ضـرب العـدو الرئيسي الـذي أدخل الأمة في دوامـات ومتاهـات منذ بضعة عقود بعد أن قسـمها إلى دول ودويلات، وكلما بـرزت حركة إصلاحية في الدول الإسـلامية دفع هـذا التحـالف اليهـودي الصـليبي وكلاءه في المنطقة من الحكـام لاسـتنزاف وإجهـاض هذه الحركة الإصلاحية بطرق شتى وبما يتناسب معها. والصواب في مثل هذه الحالة التي نعيشـها هو تكـاتف جميع أهل الإسـلام للعمل على دفع الكفر الأكــبر الــذي يســيطر على بلاد العــالم الإسـلامي ، ولا يخفى أن دفع هـذا العـدو الأمـريكي المحتل هو أوجب الواجبات بعد الإيمان، فلا يٌقَدَمُ عليه شيء.

والذي ينبغي في مثل هـذه الحالة أن يبـذل الجميع قصـارى الجهد في تحريض وتعبئة الأمة ضد العدو الصـائل والكفر الأكـبر المخيم على البلاد والذي يفسد الـدين والـدنيا، ألا وهو التحـالف الإسرائيلي الأمريكي المحتل لبلاد الحرمين ومسرى النـبي عليه الصلاة والسلام".

وبما أن ابن لادن قد أسـقط شـرعية الدولة السـعودية و إسـلاميتها ، فقد أعلن أنه أصـبح في حل من جميع التزاماتها وعهودها ، وخـاطب الأمريكـيين قـائلا:" إن الشـباب يعتـبرونكم مسـؤولين عن كل ما يقـوم به إخـوانكم اليهـود في فلسـطين ولبنان من قتلٍ وتشريدٍ وانتهـاكٍ لحرمـات المسـلمين ... فـأنتم تتحملون بـذلك مع النظـام السـعودي دمـاء هـؤلاء الأبريـاء ، كل ذلك يجعل كل عهد لكم معنا منقوضـاً . وإن إرهابنا لكم وأنتم تحملون السلاح على أرضنا هو أمرٌ واجبٌ شرعاً ومطلوبٌ عقلاً، وهو حقٌ مشروعٌ في أعراف جميع البشر، بل والكائنـات الحيـة، ومثلكم ومثلنا كمثل أفعى دخلت دار رجـلٍ فقتلهـا، وإن الجبـان من يـترككم تمشـون على أرضه بسـلاحكم آمـنين مطمئـنين. " وقال:"إن الـذين يزعمـون أن دمـاء جنـود هـذا العـدو الأمـريكي المحتل لبلاد المسلمين معصومة، إنما يرددون مُكرهين ما يمليه النظام عليهم خوفاً من بطشه وطمعـاً في السـلامة، والـواجب على كل قبيلة في جزيـرة العـرب أن تجاهد في سـبيل الله وتطهر أرضـها من هـؤلاء المحتلين، وعَلِمَ اللـهُ أن دمـاءهم مهدورة وأموالهم غنيمة، ومن قتل قتيلاً فله سَلَبُه" [387].

وأشار ابن لادن في تلك الرسالة الشهيرة الى قيام الشباب المجاهد بتنفيذ عمليـتي الخـبر والريـاض ضد القـوات الأمريكية المتواجـدة في السـعودية. ثم قـام في العـام التـالي بتأسـيس (الجبهة الإسـلامية العالمية لقتـال اليهـود والصـليبيين) واصـدر فتوى تنص على وجـوب قتل كل مسـلم للأمريكـيين وحلفـائهم. وبارك عملية الهجـوم على السـفارتين الأمريكيـتين في نـيروبي

---

387 - تجد نص الرسالة كاملا على العنوان التالي في شبكة المعلوماتية http://www.aloswa.org/bayanat/afgan/laden2.html

ودار السلام عام 1998 ، ثم أيد وبارك عملية الهجوم الكبرى على وزارة الدفاع الأمريكية في واشنطن ومبنى التجارة العالمية في نيويورك في11 أيلول عام 2001م

وعندما اتهمت أمريكا ابن لادن بالوقوف وراء الهجمات وشنت حربا على (منظمة القاعدة) وحكومة طالبان الأفغانية التي آوته ، تبرأت السعودية من ابن لادن واتخذت موقفا مؤيدا للحرب ضد القاعدة وحركة طالبان ، وهذا ما دفع عددا من أئمة المساجد والمشايخ المؤيدين للحركة ، بانتقاد موقف السعودية والدعوة الى اتخاذ موقف مناصر لأفغانستان وطالبان ، وحتى الى الجهاد والقتال في مواجهة الهجوم الأمريكي ، و أصدر الزعيم الروحي للحركة المعارضة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي بيانا طالب فيه الدول والشعوب الإسلامية بنصرة دولة طالبان ضد الغرب الكافر ، ثم أصدر فتوى بإعلان "الجهاد" ضد الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة ، وقال : "مهمتنا ان نعلن الجهاد ضد من يحارب أفغانستان". مما اعتبر تهديدا للنظام السعودي ومحاولة للخروج على سياسته الموالية لأمريكا وتأييدا لموقف ابن لادن . ثم أصدر فتوى أخرى تنص على تكفير كل من ظاهر الكفار أو أعانهم على المسلمين [388]. فرد عليه وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السعودي ، بأن أولي الأمر وحدهم المخوَّلون بإعلان الفتاوى والجهاد ، وشدد على وجوب السمع والطاعة [389]. و رد الشعيبي على الوزير بأنه

---

[388] - وقد أصدر عدد من رجال الدين الآخرين من أتباع الشعيبي مثل سليمان علوان وعلي خضير وبشر بن فهد آل بشر ، وسلمان العودة ، وناصر العمر ، وحامد العلي ، فتاوى تندد بالدعم المقدم للأمريكيين ، وتكفر من يناصر الكفار ضد المسلمين (الأفغان) .وقد حذر وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز بتاريخ 18/10/2001 من عملية التكفير الموجهة ضد الحكومة والعلماء وقال:"نحن أهل الاسلام نحن الذين نطبق شرع الله فكيف يتجرأ أناس مثل هؤلاء ويكفرون أبناء البلد ، قيادة وعلماء ورجالا ونساء؟ كيف نقبل هذا؟".

[389] - في حوار مع جريدة الرياض بتاريخ 8/11/2001 وقد أيده في ذلك بعض مشايخ الدولة مثل الشيخ صالح اللحيدان ، رئيس مجلس القضاء الأعلى ، والسدلان ، اللذين أدانا عملية الهجوم على أمريكا في 11 سبتمبر ، و اتهما جماعة (القاعدة) بالخروج والإفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل.

علَّم معظم الجيل الحالي من رجال الدين في المملكة و أن من حقه إصدار فتاوى.[390]

ومع أن الشعيبي لم يصرح بتكفير حكام السعودية ولم يدع الى إسـقاطهم ، الا ان موقفه المؤيد لحركة طالبـان والقاعـدة وفتـــاواه بنصــــرتهم وحرمة تأييد أمريكا في عــــدوانها على أفغانستان ، شكلت علامة على انهيـار التحـالف التـاريخي الـذي امتد 250 عاما بين البيت السـعودي واتبـاع المـذهب الوهـابي ، نظرا لأن الشعيبي ينحدر من نجد ومن (بريــدة) قلعة الوهابية ، وهو واحد من المشـهود لهم بمسـتواهم العلمي العـالي ويعتـبر من أكبر أساتذة الشريعة في السعودية وله الكثـير من الأتبـاع . وكـــان قد اعتقل في منتصف التســعينات على إثر توقيعه على مذكرة النصيحة وجمدت عضويته في هيئة كبار العلماء.

وعلى أي حال ، فان هذه الحركة المعارضة تعتبر اقرب الى روح الحركة الوهابية القديمة ، ونظــــــرا لأنها تعيش في ظل

---

[390] - وبعث الشيخ الشعيبي وتلميذاه علي الخضير وسليمان العلوان ، في 16/10/1422هـ برسالة دعم لأمير حركة طالبان الملا عمر يحثونه فيها على الصـمود ومقاومة الهجـوم الأمـريكي ، جـاء فيهـا: "نشـهد أنكم أنتم وحـدكم الذين رفعتم رؤوسكم في زمن طأطأ الكثـير من المسـلمين رؤوسـهم لدولة الكفر والصليب أمريكا ، فلم يتشـرف المسـلمون برجل قـال (لا ثم لا) لما تطلبه أمريكا في هــذا العصر إلا بكم ، فيا سـعادة المسـلمين بأمثـالكم ... فصبرتم يوم أن تخاذل الجميع وتبدلت العقائد وظهرت نـواقض الإسـلام في كثـــــــــــــــير ممن ينتســـــــــــــــبون إليه .

أمير المؤمنين إن إعجابنا بأفعالكم ومناصرتنا لها لا ينقطع ولن ينقطع أبداً بإذن الله تعالى ما لم تبـدلوا وتهنـوا أو تـتراجعوا نسـأل الله لنا ولكم الثبـات حـتى الممـات ، وإننا نطمئنكم بأننا وشـريحة عظيمة من العلمـاء والـدعاة وطلبة العلم معكم ونؤيـدكم ، ونقـول لكم لا يسـوءكم ولا يفت من قـوتكم وإصراركم قول بعض المتخـاذلين والمـرجفين الـذين ذمـوا صـمودكم ولامـوا أفعالكم ... فقد قرت بكم عيون الموحـدين ورضـيت بكم عسـاكر الـرحمن ، فنحن من ورائكم نناصركم بكل ما نسـتطيع ونحـرض المؤمـنين على القتـال في صفوفكم ...

وختامـاً فإننا نوصي جميع المسـلمين في كل مكـان بمناصـرة الإمـارة الإسلامية في جهادها هـذا ضد ملل الكفر جميعـاً ، كما نوصي الأفغـان خاصة بأن يبذلوا أنفسهم لله تعالى ويناصـروا الإمـارة الإسـلامية ويقفـوا تحت لـواء أمير المؤمنين ".

النظـام السـعودي الـذي لم تقـرر إعلان الحـرب عليه ، فيمكننا افـتراض أنها تمـارس التقية ولا تعـبر عن رأيها ضد حكـام آل سعود بصراحة في كل مكان.[391]

تكفير النظام السعودي

وربما كـان كتـاب (الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية)[392] لمؤلفه القـريب من تنظيم القاعـدة ، يشـكل بيانا لحقيقة أفكـار الحركة الوهابية المعارضة (الثورية والتكفيريـة) ، ضد آل سـعود وأتبـاعهم "الوهـابيين" . حيث يقـول مؤلفه (النجدي) مستعيدا التراث الوهابي:" ليس كل من ادعى التوحيد او انتسب اليه ولو اسما يحرم ماله ودمه ويكـون من الموحـدين ، بل لا يكـون كـذلك حـتى يكفر بكل ما يعبد من دون الله ويـبرأ منه سـواء عبـادة سـجود او ذبح أو دعـاء أم عبـادة تشـريع واستسلام وتحاكم ، فالإشـراك بالله في حكمه من الإشـراك به في عبادتـه. وقد قـال الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب معلقا على حـديث مسـلم (من قـال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون

---

391 - وقد عاد ابن لادن فاتهم النظام السعودي بالردة و الكفر ، وذلك في رسـالته الصـوتية الى قنـاة الجزيـرة يـوم عيد الأضـحى من سـنة 1423 المصادف 11 شـباط 2003 حيث قـال: ان "كل من اعـان اميركا من حكـام الدول العربية عبر توطين القواعد او اي نـوع من انـواع الـدعم ولو بـالكلام ، في قتل المسـلمين ، عليه ان يعلم انه مرتد وخـارج عن الـدين" الاسـلامي" . ودعا المسـلمين الى التمـرد على الانظمة الحاكمة قـائلا "نؤكد على الصادقين من المسلمين انه يجب عليهم ان يتحركوا ويحرضوا ويجيشوا الامة في مثل هذه الاحداث العظام لتتحرر من عبودية هـذه الانظمة الحاكمة الظالمة المرتـدة المسـتعبدة من اميركا ويقيمـوا حكم الله في الارض". واعتـبر ان "اكـثر المنـاطق تـأهلا للتحرير هي الاردن والمغـرب ونيجيريا وباكستان وبلاد الحرمين (السعودية) واليمن".

392 - المنشور عام 1994 عن دار القصـيم في لنـدن ، باسم مسـتعار هـو: (أبي البراء مرشد بن عبد العزيز بن سليمان النجدي) (واسمه الحقيقي: أبو محمد عاصم البرقاوي المقدسي) الأردني القريب من تنظيم القاعدة .

الله حـرم ماله ودمه وحسـابه على اللـه):" وهـذا من أعظم ما يـبين معـنى (لا اله الا اللـه) فانه لم يجعل التلفظ بها عاصـما للمـال والـدم بل ولا معرفة معناها مع لفظها بل ولا الإقـرار بذلك، بل ولا كونه لا يـدعو الا الله وحـده حـتى يضـيف الى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله ، فـان شك أو تـردد لم يحـرم ماله ودمه".[393]

ويقول:- "إننا مأمورون بالدخول في الإسلام كافة فننظر في الكتاب فترى قوله تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكـون فتنة ويكـون الدين كله لله) والفتنة هي الشرك كل أنواع الشرك لا فـرق بين شـرك القبـور وشـرك الدسـتور".[394] و إن هـذه " الحكومة (السـعودية) الخبيثة الكـافرة خـرجت من دين الإسـلام ومن ملة التوحيد من أبواب شتى :

الأول: التشريع وتحكيم القوانين والتحاكم اليها

الثـاني: مـوالاة أعـداء الله من الكفـار الشـرقيين والغربـيين الخليجيين والعـرب ، وتوثيق روابط الأخـوة والمـودة والحب والصداقة وتوليهم بالتأييد والنصرة".[395]

وقد أخذ النجدي على الحكومة السعودية دخولها في الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي ، لأنها في نظـره بلاد كفـار ، ولأن دخولها في تلك المنظمـات العربية والدولية يقـوم على تعزيز التضامن بين الـدول الأعضـاء ، ودعم التعـاون الاقتصـادي والاجتماعي والثقـافي والعلمي ، وإيجـاد المنـاخ لتعزيز التعـاون والتفاهم بين الدول الأعضـاء والـدول الأخـرى. ولأنه يقـوم أيضا على مبادئ هي:

1- المساواة التامة بين الدول الأعضاء.
2- احترام حق تقرير المصير وعدم التدخل في الشؤون الداخلية.
3- احـترام سـيادة واسـتقلال ووحـدة أراضي كل دولة عضو.
4- حل ما ينشأ من منازعات بحلول سلمية.

---

[393] - النجدي: الكواشف الجلية 195

[394] - المصدر ، ص 283

[395] - المصدر ، ص 191

5- الامتناع عن استخدام القوة والتهديد باستعمالها.[396]
وهذه أمور يعتبرها المؤلف مخالفة لعقيدة التوحيد (الوهابية) ومساواة لــ: "الموحـدين والمسـلمين" مع "المشـركين" – ويعني بهم غير الوهابيين - .

ويتهم المؤلف الحكومة السـعودية بالصد عن سـبيل الله والكفر به وفتنة "المسـلمين" عن دينهم واضـطهاد "الموحـدين الحقيقيين الآمرين بالمعروف النـاهين عن المنكر المتـبرئين من كل الطـــواغيت" و ســـجنهم وقتلهم وطـــردهم وملاحقتهم . وموالاة أعداء الدين ونصرتهم ومودتهم ومحبتهم .[397]

ويأخذ على حكام السعودية " تشريعهم مع الله ما لم يـأذن به الله واتبـاعهم لأقـوال المشـرعين من الكفـرة أعـداء الـدين ودخولهم في دين الطـواغيت المختلفة إقليمية كـانت أم عالمية دولية" .[398] وينتقدهم على "إدخال مشركي الطواغيت العربية الى بيت الله الحرام أثنـاء عقد مـؤتمر القمة في مكة ، وإدخـال كل من يشاءون من إخوانهم الذين قال الله تعالى فيهم: (إنما المشـــركون نجس فلا يقربـــوا المســـجد الحـــرام بعد عـــامهم هذا)".[399]

ثم ينتقل مؤلف الكتاب (النجـدي) من التكفـير الى الهجـرة والجهاد ، فيقول: "نص العلمـاء على ان الحـاكم إذا أظهر الكفر البواح يجب القيام عليه وعزله وتبديله وتغييره لإقامة شـرع الله وتحقيق توحيـده كـاملا ، ومن داهن فعليه الإثم والعقوبـة. ومن ضعف عنه وجبت عليه الهجرة وعدم الركـون للكفر وحكوماته ، بل تحـــديث النفس بجهـــادهم دوما وتربية الـــذراري على ذلك وغرسه في نفوســـهم.. واعلم ان من أعظم أنـــواع الهجـــرة الواجبة في كل زمان هجرة كل وظيفة وعمل فيه نصـرة وإعانة لهؤلاء الطواغيت وقوانينهم ".[400]

ويقول أيضا: " انه لا يصلح لمسلم شم رائحة التوحيد وعـرف الشرك أن يكون معينا لهـذه الدولة وأمثالها من الـدول المرتـدة

---

[396] - المصدر ، ص 191
[397] - المصدر ، ص 249
[398] - المصدر ، ص 250
[399] - لمصدر ، ص 251
[400] - المصدر، ص 196

الكافرة ... فلا يجوز له بحال ان يعمل في عساكرها ولا حرسـها الوطـــــني ولا جيشـــــها أو شـــــرطتها ولا مخابراتها أو أمنها وجواسيسـها. فـان هـذا كله من توليها ونصـرتها على المؤمـنين الموحدين المتـبرئين منها الكـافرين بها ، فهو بـذلك لا يقف عند حدود المعصـية بل يتعـداه الى الكفر والـردة".[401] ويتسـاءل: ما الموقف من هـــــذه الدولة الخبيثة وأمثالها من الحكومـــــات المرتــدة؟.. ويجيب : انه الهجـرة والجهـاد. وغاية هـذا القتـال تحقيق توحيد الله ، إذ (لا اله الا الله) تعني الـبراءة من كل دين وطاغوت ومنهج وقانون ومعبود غير الله ، وعـداوة أهل الشـرك ومـــوالاة أهل الإيمـــان.[402]ومن أراد طريقة الســـلف فليتأمل فرارهم من أبـواب السـلاطين وأمـراء الجـور في أزمنة الخلافة فكيف في أزمنة الكفر والقانون وتولي أعـداء اللـه".[403]ويقـول: "ما أشد انطباق ما قاله جـدهم عبد العزيز بن سـعود عليهم في رســالة بعث بها الى بلاد العجم والـــروم: (نحن لا نكفر الا من عرف التوحيد وسبّه وسماه دين الخوارج ، وعرف الشرك وأحبه وأهله ودعا اليه وحض النـاس عليه بعـدما قـامت عليه الحجة ، وان لم يفعل الشرك أو فعله وسماه بغير اسمه بعدما عرف أن الله حرمه). الدرر السنية 1/145".

الموقف من المؤسسة الدينية

وبعد تكفير الدولة السعودية ، يشن النجـدي هجوما عنيفا ضد رجال الدين الوهابيين المتحـالفين مع الحكومة ، ويتهمهم بتـولي أعـــــداء الله ومحاربة أوليائه ، وفتنة الأمة والتلـــــبيس عليها ، وممارسة شرك العصر الصريح باسم الإسلام والتوحيد. ويطالب بوعظ العلمــاء وهجــرهم حــتى يرتــدعوا ويقلعــوا عن مداهنة الســلاطين والركــون اليهم والجــدال عنهم.[404]ويقــول: " أذكّر الموحد وأنبهه الى عدم الاغترار بعلماء الحكومات ، هؤلاء الذين

---

[401] - المصدر ، ص 198

[402] - المصدر ، ص 194

[403] - المصدر ، ص 285

[404] - المصدر ، ص 286

يتجــاهلون ما يــدور حــولهم من كفريــات وفضــائح آل ســعود وحكــومتهم ، ولا هَمَّ لهم الا الهجــوم على الموحــدين المتــبرئين من طـــواغيتهم الكـــافرين بحكـــومتهم. أي والله لا تغـــتروا بشهاداتهم ولا بألقابهم أو لحـاهم وعمـائمهم.(لا تلق مبتـدعا ولا متزنــدقا الا بعبسة مالك الغضــبان).. أنا أدعو هــؤلاء المشــايخ **الى ان يجلســـوا من جديد ليتعلمـــوا التوحيد الحق** ويتعلمــوا معــنى لا إله الا الله من كتب الشــيخ محمد بن عبد الوهـاب وأولاده الـذين طالما تمسـحت دولتهم هـذه بطـريقتهم وهم منها براء".[405]

ويتحــدث المؤلف (أبو الــبراء النجــدي) عن (الأفغــان السعوديين) والتكفـير ، فيقـول:"ها هم أفـواج الشـباب يعـودون مدربين على القتال والسلاح والمتفجـرات من أفغانسـتان ، وقد استفادوا بعدما خرجوا من أسـوار الجزيـرة الى السـعودية بغـير الوجه الـذي خرجـوا به أول الأمر .. فها هو فكر (تكفـير وقتـال الحكومة وكل من ناصـــرها وعاونها ووالاهـــا) قد انتشر بين الشباب العائد من أفغانستان انتشار النار في الهشـيم".[406] "وها هم الشــباب يرجعــون وقد فقــدوا الثقة بكل من يمــدح هــؤلاء الطواغيت أو يثني عليهم أو يجـادل عنهم او يقف بـأبوابهم مهما طالت لحيته وكبر لقبه. فخرج علينا المشـايخ في الآونة الأخـيرة يركــزون في خطبهم ومحاضــراتهم على محاربة الآراء الشــاذة والأفكــار المتطرفة ، يقصــدون تكفـير حكــومتهم و تكفــير من تولاها والدعوة الى جهادها".[407]

وإذا قــدر لهــذه الحركة الوهابية الأصــيلة ان تنتصر في "جهادها" ضد آل ســعود ، فانها كما يبـــدو ســـوف تعيد تجربة الحكم الســعودي الوهــابي تماما ، ولن تغــير شــيئا في أسس النظــام السياسي ، وذلك لأنها لا تملك فكــرا نقـديا جـذريا ، ولا تضع إصــبعها على مــواطن الخلل والاســتبداد ، ولا تعــرف غــير الــدعوة الى إطاعة الحكـام الجـدد إطاعة مطلقــة. وحـتى ذلك

---

[405] - المصدر ، ص 244

[406] - المصدر ، ص 271

[407] - المصدر ، ص 272

اليـوم ، فإنها بـالطبع لا يمكن ان تقبل بـأي نظـام ديمـوقراطي حديث يقـوم على الشـورى والمشـاركة من قبل جميع الطوائف والأحـزاب والفئـات الاجتماعية ، في العملية السياسـية ، سـواء في ظل آل سعود أو في ظل غيرهم ، فإنها تعتـبر ذلك نوعا من الشرك والكفر بالله.

يقـول أبو محمد عاصم المقدسي (أحد زعمـاء الوهابية الجديـــدة ومن المقـــربين الى تنظيم القاعـــدة) في كتابـــه: (الديموقراطية دين):"ان الديموقراطية دين غير دين الله ، وملّة غـــير ملة التوحيد ، وان مجالســـها النيابية ليست الا صـــروحا للشرك ومعاقل للوثنية ، يجب اجتنابها لتحقيق التوحيد الـذي هو حق الله على العبيد ، بل الســـعي لهـــدمها ومعـــاداة أوليائها وبُغضهم وجهادهم. وان هـذا ليس أمـرا اجتهاديا كما يحلو لبعض الملبسين أن يجعلوه ، بل هو شـرك واضح مسـتبين وكفر بـواح صـــراح قد حـــذر الله تعـــالى منه في محكم تنزيله ، وحاربه المصطفى (ص) طيلة حياته".[408]

ويقـول:" الطـاغوت الـذي يجب عليك أن تكفر به وتتجنب عبادته لتستمسك بعـروة النجـاة الـوثقى ، ليس فقط أحجـارا وأصناما وأشجارا وقبورا تعبد بسجود أو دعـاء أو نـذر أو طـواف وحسب.. بل هو أعم من ذلك...ان الطاعة في التشريع عبادة لا يجوز أن تصرف لغير الله ، فلو صرفها المـرء لغـير الله ولو في حكم واحد كـــان بـــذلك مشـــركا"[409] ويقـــول:" ان ترجمة الديموقراطية الحرفية هي: (حكم الشعب أو سـلطة الشـعب أو تشـــريع الشـــعب) وهـــذا من أخص خصـــائص الكفر والشـــرك والباطل الذي ينـاقض دين الإسـلام وملة التوحيد أشد المناقضة ويعارضه أشد المعارضـــــة... فالديموقراطية كفر بالله العظيم وشرك بـرب السـماوات والأرضـين ومناقضة لملة التوحيد ودين المرسلين".[410]

ويقول أيضا:"الشعب في دين الديموقراطية يُنيب عن نفسه النـــوابَ ، فتتخـــير كل طائفة أو جماعة أو قبيلة منهم ربـــاً من هـــؤلاء الأربـــاب المتفـــرقين ، ليشـــرعوا لهم تبعا لأهـــوائهم ورغبـــاتهم... فمنهم من يتخـــير معبـــوده ومشـــرعه تبعا للفكر

---

[408] - المقدسي : الديموقراطية دين ، ص 2

[409] - المصدر ، ص 2 - 3

[410] - المصدر ، ص 8

والأيديولوجية ، فإما رب من الحزب الفلاني ، أو إله من الحـزب العلاني ، ومنهم من يتخـيره تبعا للقبيلة والعصـبية ، فإما إله من القبيلة الفلانية أو وثن معبـــــود من القبيلة العلانية ، ومنهم من يتخيره إلها سـلفيا بـزعمهم ، وآخر يجعله ربـاً إخوانيا أو معبـودا ملتحيا وآخر حليقـا.. وهكـذا.. فهـؤلاء النـواب هم في الحقيقة أوثـان منصـوبة وأصـنام معبـودة وآلهة مزعومة منصـوبة في معابـدهم ومعـاقلهم الوثنية (البرلمانـات) يـدينون هم وأتبـاعهم بدين الديموقراطية وشرع الدستور".[411]

ان موقف الحركة الراديكالية (التكفيريـة) السـلبي من الشـــورى والديموقراطية ، هو الـــذي دفعها لاختيـــار الطريق العســكري في عملية التغيـــير السياسي ، كطريق لا تجد دونه سـبيلا ، ولما كـانت منظمة (القاعـدة) الـتي يقودها أسـامة بن لادن ، والتي تنتقد التعاون العسكري بين الريـاض و واشـنطن ، أو ما تسـميه بـالاحتلال العسـكري الأمـريكي لبلاد الحـرمين ، لا تملك أســــــلوبا ديموقراطياً لفـــــرض موقفها على الحكومة السـعودية ودفعها الى طـرد القـوات الأمريكية بشـكل سـلمي ، وذلك لغياب النظـام الـديموقراطي في السـعودية ، وبما أنها لم تكن ترغب في إشعال حرب داخلية مع النظام السـعودي ، فانها فضـلت توجيه ضـرباتها الى تلك القـوات الأمريكية ، وأعلن ابن لادن ، كما رأينا في رسالته الشهيرة التي أصدرها عام 1997 ، أنه في حل من المعاهدات الحكومية وطالب الشعب السـعودي بتوجيه أقسى الضربات للأمريكيين في داخل السعودية وخارجها لإجبارهم على الانسحاب من الجزيـرة العربيـة. وبكلمة أخـرى.. إن توجه ابن لادن ومنظمة (القاعـــدة) للاشـــتباك مع أمريكا هو نتيجة غيـــاب الديموقراطية في النظـــام الســعودي ، وفي فكر المعارضة الوهابية الراديكالية التي لا تؤمن بالديموقراطيـــة. ولو كـــانت ثمة أيـــة نافـــذة ديموقراطية للتغيـــير والحل السياسي والمشــــاركة الشـــعبية في الســــلطة لما وجد ابن لادن نفسه مضـــــطرا لحمل الســـــلاح نيابة عن الحكومة ومطالبة أمريكا مباشرة بالخروج من الجزيرة العربية.

---

[411] - المصدر ، ص 10

الفصل السابع
من الوهابية.. الى الديموقراطية

إذن فـــان الحركـــات الوهابية الموالية للنظـــام الســـعودي والمعارضة له ، تشترك في بنية فكرية سياسـية واحـدة ، وتتخذ موقفا متشابها تجاه الشـورى والانتخابـات والمشـاركة الشـعبية في الحكم . ولئن كـانت تلك الحركـات المعارضة تنتقد النظـام السعودي أو بعض ممارسات الحاكم وتدعو لإصلاحه أو تغيـيره ، فانها لا تـــدعو الى تغيـــير العلاقة بين الحـــاكم والمحكـــوم ، أو استبدال النظـام بصـورة جذريـة. وإذا كـان بعضـها قد أعلن كفر النظام ، وأعلن أو قد يعلن تبعا لذلك الحرب على النظـام ، فانه في نفس الوقت لا يجد أسلوبا للحكم غير الأسلوب الاسـتبدادي المطلق ، ولا يفكر بـاللجوء الى الشـورى والانتخـاب ، أو قبـول مبـدأ تبـادل السـلطة بشـكل سـلمي ديمـوقراطي مع الأحـزاب الأخرى.

ولئن كانت الوهابية الرسمية وغير الرسمية قد خففت من "وهابيتهـا" وخاصة فيما يتعلق بـالتكفير والقتـال ، فانها لا تـزال تعتقد أنها هي فقط "الفئة الناجيـــــــة" من بين "الضـــــــالين والمنحــرفين". إذا لم تكن تعتقد أنها وحــدها تمثل "المســلمين والموحـدين" في محيط "الكفـار والمشـركين". ولا تـزال تنظر بســلبية الى طوائف عديــدة وعامة من المســلمين كالشــيعة والصـوفية والأشـاعرة والمعتزلة وحـتى الإخـوان المسـلمين ، فضلاً عن دعاة الديموقراطية والعلمانية في العـالم الإسـلامي . ومن هنا فقد أصبح من العسير على الوهابيين القبول بوجـود أي حزب آخر يختلف عنهم ويعارضهم وينافسـهم على السـلطة ، أو الاحتكـام الى الــرأي العــام الــذي يتهمونه دائما بــالتخلف عن الشرع.. وغابت الشـورى حـتى عن شـبكة علاقـاتهم الداخلية و فيما بينهم وبين رجال الدين ، وبين هؤلاء والحكـام ، وبين هـذين الطرفين والقواعد الوهابيــة. وقـامت العلاقة بــدلا من ذلك على أســاس القـــوة والقهر والغلبة. كما قـــامت العلاقة بينهم وبين الآخرين، أحزابا وطوائف وتيارات ، على أساس الدعوة والجهـاد وفرض الرأي بالقوة.[412]

يقول أحمد الحصين في كتابه (دعوة الإمـام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية) :"أمر الشـيخ أتباعه بالجهـاد دفاعا عن النفس أمام أولئك المعارضين من ناحية ، وكسر الطوق وإزاحة الحجر العثرة أمام نشر هذه الدعوة من ناحية أخـرى ، فـانتقلت الــدعوة بــذلك الى مرحلة جديــدة هي (مرحلة الجهــاد لحمل النـاس على الحـق) وتهيئة الجو الصـالح لنشر الـدعوة والعـودة بالمسلمين الى منهج الله وشرعه...فوظيفة القوة تـأمين الـذين اختاروا الإسلام على دمائهم وأموالهم حتى لا يفتنـوا في دينهم ، ثم حماية طريق الدعوة وسبيلها حتى لا يتوقف المد الإسلامي ،

---

412 - راجع رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى أهل المغرب ، حيث يقــول بصــراحة:" من لم يجب الــدعوة بالحجة والبيــان قاتلنــاه بالســيف والسنان". وقد أيد هـذا الموقف المستشـار في الـديوان الملكي السـعودي الشيخ عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، في مقدمته لكتاب (دعوة الامام سلفية لا وهابية).

وكذلك تأديب الجبـارين الـذين يتخـذون لأنفسـهم صـفة الألوهية فيذلون البشر بما يزرعونه فيهم من ضغائن وأحقاد". [413]

وينظّر الحصـين لمبـدأ القتـال الـداخلي الـذي لا ينتهي ، فيقول:" ان التحرك لبدء الآخـرين بالـدعوة الى الإسـلام هو من خصائص هذا الدين ، لأنه من السذاجة بمكان أن يتصور الإنسان بقوة عازمة على إخراج البرية من الظلمات الى النور ، ثم يقف أمام عقبات الأعداء ليجاهد باللسـان والبيـان فحسب ، وهـذا ما لم يقل به أحد من سـلف هـذه الأمـة". [414] ويضـيف:"لا بد من الجهاد لإماطة العقبـات عن الطريق ، وهـذه سـنة الله تعـالى... ولن تتم مصـلحة النـاس قاطبة الا عنـدما يهيمن الإسـلام على سلوكهم ومعاملاتهم ويلتقـون على العقيـدة الصـحيحة والـدعوة الربانية...وان هـذه الجزيـرة كـانت ولا تـزال تـدخر تلك العناصر التي تتوثب بين الفينة والفينة لتؤدي رسالتها الخالـدة وتسـتأنف دورها التاريخي المتجدد على مر العصور". [415]

وهذا ما يدل على أن الوهابية تنظر الى (الجهاد) كسلاح في صراعها الداخلي مع المسلمين الذين لا تعترف بإسلامهم ، وضد التيارات والطوائف والأحزاب والشخصيات المخالفة لها ، مما لا يسمح لها بالقبول بأي فسحة ديموقراطية ، أو احـترام للطـرف الآخر أو القبول باللجوء الى الشورى وتحكيم الرأي العام ومبـدأ الأكثرية ، وتبادل السلطة بشكل سلمي.

الانفتاح على الديموقراطية

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل ان النظام السعودي يلـتزم بالوهابية حقـاً ؟.. ألم يتخـلَ عنها ويضـربها؟ وهل تحـول الوهابية المخففة الـتي يلـتزم بها دون التحـول الـديموقراطي؟ وهل كل من انتسب الى الوهابية يلـــــــــتزم بكل مقولاتها بالضرورة؟ ألا توجد نسخ معدلة من الوهابية تقبل بوجود الآخر ،

[413] - الحصين : دعوة الامام سلفية لا وهابية ، ص 190

[414] - المصدر ، ص 179

[415] - الحصين : دعوة الامام سلفية لا وهابية ص 180

وتحـترم المـذاهب الأخـرى ؟ ألا توجد حركـات (وهابيـة) تـؤمن بالشورى وتقبل الحياة الديموقراطية أو تشارك فيها هنا وهناك؟

لا شك انه من مجافاة الحقيقة والبحث العلمي النظر الى أية مجموعة إنسـانية أو حركة اجتماعية وثقافية نظـرة واحـدة ثابتة وجامــدة لا تتغــير . إذ أنها يمكن أن تتغــير بين يــوم وآخر وتمر بظروف مختلفة ، وتتعرض لقيـادة رجـال مختلفين ، وان أتباعها وقادتها يمكن ان يتغيروا بين عشية وضـحاها ، ويمكن تبعا لـذلك أن يغــيروا من مــواقفهم ورؤاهم وأفكــارهم ، ويتطــوروا نحو الأفضل أو الأسـوأ . وان الحركة الوهابية ليست بعيـدة عن هـذا الواقع ، ولا مغلقة أمام التطور. ومن هنا فقد حدث في صفوفها أو بالأخرى في صفوف أتباعها مراجعات كثيرة وتطورات عديدة ، وتفاوتت مواقف أفرادها بين الـولاء للنظـام السياسي والتبعية الكاملة وبين التمــرد والنقد والخــروج. وليس ولادة الحركــات المعارضة المعتدلة والثورية والمتطرفة الا دليل على ذلك. وفي هذا السـياق كـان من المتوقع أيضا ان نشـهد ولادة أشـخاص أو قيادات أو حركات تقوم بمراجعة أسس الحركة الوهابية وتحاول التخلص من التراث السلبي المتطرف ، وخاصة موضوع التكفير والقتـال واعتمـاد مبـدأ القـوة والقهر في فـرض الـرأي وإقامة النظام السياسي وتمكين الحاكم المعين. وليس غريبا أن يحدث لدى البعض تطور نحو الشورى والديموقراطية الإسـلامية. وهـذا ما حصل بالفعل لــدى بعض العلمــاء والسياســيين المــوالين والمعارضــين الــذين قــاموا بنقد الفكر السياسي الوهــابي ، والاعــتراف بإســلام الأمة الإســلامية بجميع طوائفها وتياراتها ، واعتماد السلم والعدل والشـورى في انتخـاب الحـاكم والنظـام السياسي.

وهو ما نجده مثلا ، في الحركة الإصلاحية التي قامت بها مجموعة من الأكاديميين والكتاب والشعراء والصحفيين وأساتذة الجامعات والمثـقفين والتجار والوزراء السـابقين، الـذين وجهـوا في تشــرين الأول من عـام 1990 م ، عريضة إلى الملك فهد ، وطالبوه فيها بالنظر في أوضاع النظام الأساسي وتحقيق إصلاح شـامل ، وإصـدار دسـتور يحـدد واجبـات وحقـوق المواطـنين السـعوديين، وإنشـاء مجلس للشـورى ذي صـلاحيات واسـعة،

وتكريس المساواة بين المواطنين دون تمييز عرقي أو طـائفي. ثم وجهـوا ، بعد شـهرين من ذلك التـاريخ ، الى الملك فهد ، مذكرة أخرى تطالبه بـ :"ضـرورة الإسـراع بوضع نظـام للحكم، ودستور البلاد الدائم، ونشره على الناس لينقحوه ويوافقوا عليه في اسـتفتاء عـام" و "ضـرورة اسـتكمال مشـروع مجلس تأسيسي منتخب من جميع منـاطق المملكـة، لكي يكـون هيئة تشريعية و رقابية لتنفيذ مواد الدستور ".[416]

وهو ما يعبر عن نضج النخبة الثقافية والسياسـية السـعودية ديموقراطيا ، وابتعادها عن روح الحركة الوهابية المتعصـبة والمغلقة.

ولعل من المفيد التوقف عند ثلاثة نماذج بارزة في المشـهد الثقـافي والسياسي ، ومتطـورة عن الحركة الوهابية ، وهم الـدكتور محمد المسـعري والشـيخ حسن المـالكي والشـيخ عبد الرحمن عبد الخالق.

1- المسعري.. ثورة على الوهابية

ولعل الدكتور محمد بن الشيخ عبد الله المسعري ، يشكل أبـرز نمـوذج على التطـور الـديموقراطي في صـفوف الحركة الوهابية ، حيث يقـدم في كتابه (مشـروعية محاسـبة الحكـام) نظرية متكاملة عن نظـام الشـورى ، تختلف كليا وجـذريا عن الفكر السياسي الوهابي الحاكم والمعارض ، و يتحـدث عن حق الأمة في السـلطان وقيمومتها على الحكـام وحقها في محاسبتهم ومراقبتهم وعزلهم ونصبهم ، ويرفض بصراحة نظرية الحكم بـالقوة والقهر والغلبة ، ويطـالب بانتخـاب الحـاكم وبالتعددية الحزبية ، وبإقامة مجالس للشورى.

---

416 - وكان عدد من الامراء السعوديين في الستينات من القرن العشرين قد طـالبوا بإصـلاح ديمـوقراطي ، وشـكلوا تنظيم (الأمـراء الأحـرار) بقيـادة الأمير طلال بن عبد العزيز ، الـذي انشق على أخيه الملك سـعود ، ثم الملك فيصل . ولا يـزال ابنه الوليد يطـرح بين الفينة والأخـرى مطـالب بالانتخابـات الحـرة وتأسـيس مجلس شـورى منتخب ، حيث دعا في حـديث الى صـحيفة (نيويـورك تـايمز) بتـاريخ 11/12/2001 الى تطـبيق مبـدأ الانتخابـات في السعودية والى تحول ديموقراطي في النظام الملكي.

إعادة تعريف "لأمة الإسلامية"

ولعل أهم ما جاء في أطروحة المسعري واختلف به اختلافا جوهريا عن الحركة الوهابية الأولى ، هو انتقــاده لعملية تكفــير جماهير المسـلمين أو ادعـاء امتلاك الحق دون الغـير ، وتوسـيع مفهوم (الأمـة) لكي يشـمل جميع الفـرق الإسـلامية المتمسـكة بالكتاب والسنة الصحيحة بما فيها الجعفرية والزيدية والإباضية ، خلافا للفكر الوهــابي الــذي كــان يقتصر في تعريف الأمة على الوهابيين "الموحدين" فقط.

إذ يقول: " أما جماهير المسلمين اليوم فهم الفرقة التي بقيت، في الجملــة، على ما كــان عليه الرســول صــلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، وهذه هي الفرقة الناجية ــ إن شــاء الله ـــ تنتسب إليها مــذاهب فقهية كالمــذهب الحنفي والمـالكي والشـافعي والحنبلي والظـاهري والزيـدي والجعفـري والأباضي ومــذاهب فقهية أخــرى منقرضة كمــذهب الإمــام الأوزاعي، ومذهب الإمام إسـحاق بن راهوية وغـيرهم، كما تضم مـــدارس كلامية مختلفة مثل مدرسة أهل الحـــديث، ومدرسة الإمــام بن تيميــة، ومدرسة الإمــام ابن حــزم، والأشــاعرة ، والماتريديـة، والكلابيـة، والزيديـة، والأباضـية، وغـيرهم من أهل القبلــة، كما تتكــون من طــرق ومســالك صــوفية كالطريقة الشــاذلية، والطريقة النقشــبندية، والقادريـــة، والجشـــتية، والســهروردية، والحصــافية، وغيرهــا".[417] و يقــول :" لا يحل لجماعة من هذه الجماعـات أن تـدعي لنفسـها أنها هي "جماعة المسلمين" التي جاءت النصوص بلزومها وتوعدت الخارج عليها، وأن ما سـواها فهو من الفـرق الضـالة الهالكـة...فـإذا جـاء من يــزعم لنفسه أنه هو (جماعة المســلمين) دون غــيره من بقية الناس فهذا مفـرق للأمـة، داخل في الفرقة والضـلالة، لأن هـذه المقولة تقتضي تبـــديع المخــالف أو تقتضي تكفــيره، ونصب مقولات جماعة بعينها وامتحان النـاس بهـا، وتكفـير أو تبـديع كل

---

[417] - المسعري ، محمد :مشروعية محاسبة الحكام ، فصل: شبهات حول الجماعات الاسلامية وحكم الإنتماء

من خالفهـــا، مجازفة حمقـــاء ، واندفاعة هوجـــاء ، وتعصب أرعن".[418]

ويقـول أيضا:" من ادعى من الجماعـات المعاصـرة.. أن جماعته هي جماعة المســـلمين .. لأنها هي وحــــدها "الفرقة الناجية" أو "الجماعة المنصـورة"، أو لأنها هي صـاحبة "العقيـدة الصــحيحة" المحتكــرة لها .. فقد أبعد النجعــة، وســلك طريق الهلكى من الخوارج، وأهل الغلو..".[419]

ان هذه الخطوة التي قام بها الدكتور محمد المسعري ، في إعادة تعريف (الأمة الإسـلامية) تعتـبر مهمة جـدا في عملية البنـاء الـديموقراطي الإسـلامي في المجتمع السـعودي ، وذلك لأنها تفتح الطريق أمــام مشــاركة أوسع الجمــاهير في العملية السياســية ، وضــرب احتكــار الســلطة من قبل العائلة المالكة والمؤسسة الدينية الوهابية وأنصارهما في نجد ، وإعادة جماهير الطوائف الإســلامية المتعــددة المعزولة والمهمشة الى الحيــاة السياســية في المملكة العربية السـعودية. وهي تــوفر الأجــواء الطبيعية للانتقــال من نظــام القهر والقــوة والغلبة الى نظــام الشورى الذي يقوم على احترام كلمة الأمة والتعبير عن إرادتها. ولـذا فـان هـذه الخطـوة تشـكل ثـورة في الفكر الوهـابي تفتح الطريق أمــام قيــام علاقــات سياســية طبيعية و ســلمية في المجتمع .

نظرية الشورى

النقطة الثانية المهمة جدا التي يختلف فيها الـدكتور محمد المســـعري عن الفكر السياسي الوهـــابي ، هي إيمانه بنظرية الشورى وحق الأمة في السـلطان ، خلافا لنظرية القـوة والقهر والغلبة التي ورثها الفكر الوهـابي عن ابن تيمية ، وبالتـالي فـان

418 - المصدر ، فصل: مفهوم جماعة المسلمين.

419 - المصـدر ، فصـل: الشـبهة الثالثـة: البيعة لا تكـون الا على الامامة العظمى.

المسعري يعتقد :" أن للأمة حق تولية الحاكم وعزله، فلا يصبح الحاكم صاحب السلطان بواسطته يمارس صلاحيات الحكم إلاّ ببيعة الأمة له ، بيعة رضا واختيار، وإن انتقال السلطان من الأمة إلى الخليفة، لا يجعل الأمة بلا سلطان، وإنما السلطان قائم بيدها لتحاسب الحكام ، وتقوّم اعوجاجهم، وتمنعهم من الطغيان، إلى حد العزل"..[420]

ويقوم المسعري بتحديد المهمة الأساسية للحاكم ، فيقول عنها:" إنها رعاية شؤون الأمة، لأنه ما نصب إلاّ لذلك" . ثم ينتقل لكي يحدد مسؤولية الأمة في محاسبة الحاكم إذا ما قصّر في هذه الرعاية، "لأن الأمة قوّامة عليه" ويتساءل: كيف تكون الأمة شهيدة على الناس إذا لم تكن قوامة بالقسط شاهدة على نفسها.

ولا يفرق المسعري في وجوب محاسبة الحاكم بين حالات نصبه من قبل المسلمين أو نصب الأعداء له أو نصب نفسه حاكما عليهم بالقوة ، ويقول ان وجوب المحاسبة يصبح من باب أولى، فيما إذا كان قد أخذ الحكم عنوة ، دون أن ينصبه المسلمون .

وبعد ان يؤسس المسعري لنظرية الشورى وشرعية محاسبة الأمة للحكام ينتقل الى الحديث عن الطرق التي تكفل للأمة القيام بمسئوليتها تلك ، فيقول إنها : التكتلات السياسية والأحزاب السياسية التي تقوم على العقيدة الإسلامية. والمسلمون بصفة عامة. ومجلس الشورى، الذى له حق المحاسبة في كل ما يقع من الحاكم من أفعال وتصرفات. ومحكمة المظالم، التي لها صلاحية إصدار الحكم بعزل الخليفة إذا أخل بالشرع.[421]

ويقول: إن محاسبة الحاكم من قبل المسلمين، ركيزة من ركائز سلطان الأمة، كي يتقيد الحاكم بالشرع وهو يتولى رعاية شؤونها بالأحكام الشرعية. وللأمة مطلق الحق في محاسبة الحاكم بأية وسيلة تحقق ذلك، سواء بالنصح مشافهة، سراً وعلناً، أم في نقد أعماله كلاماً يقال على منابر المساجد، وقد تكون المحاسبة منظمة بحيث تأخذ شكل إصدار الجرائد

---

[420] - المصدر ، فصل : مشروعية محاسبة الحكام

[421] - المصدر ، فصل: مراقبة الأمة للحكام ومحاسبتهم

السياسية، أو في صـورة تكـوين أحـزاب سياسـية تكـون مهمتها محاســبة الحكــام، داخل المجــالس المنتخبــة، وفي مقــدمتها مجلس الأمــة، أي مجلس الشــورى، أو خارجة في الاجتماعـات الجماهيرية.[422]

ثم ينتقل الــدكتور المســعري لمناقشة مقولة أخــرى من مقولات الفكر الوهابي السلطاني ، وهي (سرية النصيحة) الــتي يؤكد عليها علمـاء الدولة السـعودية ، اسـتنادا الى حـديث واحد أخرجه الإمام أحمد عن عياض بن غنم عن رسـول الله (ص) أنه قـال: "من أراد أن ينصح لـذي سـلطان بـأمرٍ، فلا يبد له علانيـة، ولكن ليأخذ بيده، فيخلو به، فإن قبل منـه، فـذاك، وإلا، كـان قد أدى الــذي عليه لـــه" ، فـــيرفض تلك المقولة ويضـــعف ذلك الحديث.[423]

2 – المالكي.. يرفض التكفير

وقد دعم الشـيخ حسن بن فرحـان المـالكي هـذه الثـورة التصـــحيحية ، بما طرحه من كتب تنتقد الشــــيخ محمد بن عبد الوهاب في تكفيره لعموم المسلمين ، وتطالب بالاعتدال .

إذ قام الشيخ حسن المالكي بمراجعة شاملة لقراءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتأويلاته لعدد من آيـات القـرآن الكـريم ، ومفهـــوم الشـــرك والتوحيد فيها ، وخاصة موضـــوع الغلو في الصــالحين والاســتغاثة بهم وطلب الشــفاعة منهم ، فنفي أن يكون ذلك شركا ، فضلا عن كونه شركا أكبر مخرجا من الملة ، وفرق في كتابه: (محمد بن عبد الوهاب داعية وإصلاحي وليس نبيا) بين عبادة الأصـنام الـتي كـان يقـوم بها المشـركون ، وبين

[422] - المصدر ، فصل: مراقبة الأمة للحكام ومحاسبتها لهم
[423] - المصدر، فصل: سرية النصيحة

الغلو في الصـالحين الـذي قد يقع فيه بعض المسـلمين ، ونفي أن يكون الله تعالى قد أرسل الأنبياء الى أقوام كانوا يغلون في الصـالحين ، كما يقـول الشـيخ عبد الوهـاب ، ورفض بالتـالي عملية تكفير المسلمين على العمـوم ، الـتي قـامت بها الوهابية على هذا الأسـاس . وقـال: "ان الغلو والتـبرك بالصـالحين قد يعتبر غلواً... لكن هذا ونحوه يعد من الأخطاء أو البـدع وليست شـركاً، وإن تجوزنا في إطلاق الشـرك على هـذه الأفعـال فهو شـرك أصـغر؛ وليس من الشـرك الأكـبر المخـرج من الملـة". وقال: ان " إنكاري لهذه البدع والخرافات وربما الشـركيات في بعضها لا يجعلني أحكم على مرتكبها بالشـرك والخـروج من ملة الإسلام سواءً كـان جـاهلاً أو عالمـاً لأن الجاهل يمنعنا جهله من تكفـيره، والعـالم يمنعنا تأويله من تكفـيره أيضـاً. نعم قد يقـال فلان ضـال، فلان مبتـدع، فلان منحـرف...فهـذه التهمة خطرها يسـير، إنما أن نقـول: فلان كـافر كفـراً أكـبر خـارج عن ملة الإسلام! فهذه عظيمة من العظائم يترتب عليها أحكام ومظالم؛ فلا يجوز أن نتهم أحـداً بـالكفر إلا بـدليل ظـاهر لنا فيه من الله برهـان؛ خاصة وأن الشـيخ يريد بـإطلاق الكفر الكفرَ الأكـبر المخرج من الملة! ".

ويطالب الشيخ المالكي الوهابيين بـاحترام أدلة وتـأويلات المعارضـين لهم من الـذين يسـتجيزون التوسل والاستشـفاع والاسـتغاثة بالصـالحين ولا يعتقـدون بتنـاقض ذلك مع شـهادة التوحيد ، وعدم التشكيك بنوايا الآخرين.

وبناء على ذلك يدعو الشيخ المالكي الى إعادة تعريف كلمة (المسـلم) و(الموحـد) من أجل تجنب تضـييق دائـرة الإسـلام والمسـلمين لتقتصر على أتبـاع الوهابية فقـط. ويقـول: "ان الشـيخ محمد رحمه الله ربما لو لم يقاتل المسـلمين، واكتفى بمراسلة العلماء يحثهم على الدعوة إلى الله ؛ ربما لو فعل هذا لتجنبنا مآسي التكفـير من ذلك الـزمن إلى عصـرنا هـذا الـذي يعتمد فيه المكفـرون على فتـاوى الشـيخ وعلمـاء الـدعوة في تكفير المسلمين". ويضـيف:"ان بيـان أخطـاء الشـيخ محمد في هـذا الجـانب (جـانب التكفـير) مفيد وضـروري، لأن المجتمع السـعودي علمـاؤه وطلاب العلم فيه تربـوا على فتـاوى الشـيخ

وعلماء الدعوة الذين كانوا يميلون لتكفـير المسـلمين، ولابد أن يتأثر بعضهم بهذا الجـانب، وقد رأينا فتـاوى لبعضـهم في الحكم بردة بعض الناس!. ومن قرأ كتـاب (الـدرر السـنية) عـرف هـذا تمامـاً، بل في هـذا الكتـاب مجلـدان كبـيران بعنـوان (الجهـاد)، كلهما في جهـاد المسـلمين، وليس فيه حـرف واحد في جهـاد الكفـار الأصـليين من اليهـود والنصـارى، مع أن بلاد المسـلمين المجاورة في الخليج والعـراق والشـام كـان فيها كفـار أصـليون محتلـون...وتبـادل التكفـير حصل بين علمـاء الـدعوة أنفسـهم عندما اختلف أولاد الأمـير فيصل بن تـركي (عبد الله وسـعود) رحمهم الله، فكان مع كل أمير علماء يكفرون الطائفة الأخـرى. فهـذه (الفوضى التكفيريـة) هي نتيجة طبيعية وحتمية من نتـائج منهج الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب رحمه الله الـذي توسع في التكفـــير؛ حـــتى وجـــدت كل طائفة في كلامه ما يؤيد وجهة نظرها.بل حركة الحرم وأصـحاب التفجـير في (العليا) ما هم إلا نتيجة لمنهج الشيخ في التكفير".

وينتقد الشـيخ حسن المـالكي منهج الشـيخ محمد بن عبد الوهاب في التكفير فيقول: "يظهر من كلام الشيخ محمد أنه إن علم بحادثة في الحجاز أو عسير أو سـدير عممها على أهل تلك الجهة كلها فيكفرهم ويقاتلهم. فإن علم عدة حالات معدودة في منطقة ما ألـزم أهلها كلهم الـردة واسـتحل دمـاءهم وأمـوالهم، بحجة أن تلك المنطقة بين سـاكت ومرتـد! فـالمرتكب مرتد والساكت مرتد! وهذا يختلف تماماً عما ذكره الفقهاء تحت باب (حكم المرتد)، فـإنهم لا يحكمـون على المجمـوع بفعل البعض، بل بعضـهم لا يقـول هـذا إلا من بـاب الـترهيب والتحـذير من الشـيء، لكنه عند وجـود الحالة يعـذر بالجهل ويـبين له ما يرفع هذا الجهل.

وكـذلك لم يـراع الشـيخ الجهل فالجهل بالشـيء يمنع من إطلاق الكفر على الجاهـل. وعلى منهج الشـيخ يمكن للعلمـاء المختلفين أن يكفر بعضهم بعضاً بدعوى كل عالم أن الآخر أنكر شـيئاً مما جـاء به الرسـول (صـلى الله عليه وآله وسـلم)! وأنه بهذا كمن كـذّب الرسـول (صـلى الله عليه وآله وسـلم) جملـة! وهكذا... بينما الصـواب غـير هـذا فـالطرف الآخر لا يقر لك بأنه

ينكر شيئاً مما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وإنما يقول لك: هذا لم يثبت عندي أو يقول: إنما معناه كذا أو يعارضه كذا... الخ".

ولا يتوقف الشيخ المالكي عند نقد التطرف الوهابي وإنما يغوص عميقا في التاريخ لينتقد ظاهرة التكفير والتبديع عند المسلمين بصورة عامة ، وعند الحنابلة بصورة خاصة ، فيقول: إن أصحاب النزاعات العقائدية نسوا المبادئ الإسلامية عند تخاصمهم ولم يسلم أهل السنة ممثلين في الحنابلة والأشاعرة وغيرهم ، من ولوج باب التكفير والتبديع واشتباههما حتى وصل الأمر لتكفير كبار أئمة وفقهاء السنة فضلاً عن غيرهم ، كتكفير الحنابلة للإمام أبي حنيفة والحنفية وذمهم وتبديعهم. ويقول: ان هذا الفكر عند غلاة الحنابلة هو الذي فرخ لنا اليوم هؤلاء الغوغاء من التيار التبديعى، الذي يصم الناس بالبدعة والضلالة. وقد كفَّرَّ غلاة الحنابلة معظم فرق المسلمين كالمعتزلة والشيعة والقدرية والمرجئة والجهمية وغيرهم.

ويستنكر المالكي قيام أبي الحسن البربهاري ، إمام الحنابلة في عصره (توفي سنة 329هـ) ، بتكفير المسلمين ، وقوله: (اعلموا أن الإسلام هو السنة والسنة هي الإسلام) وهذا يلزم منه أن من لم يكن سنياً فليس بمسلم!! ويستنكر كذلك قيام ابن تيمية بالمبالغة بالتفريق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، وقوله: (أن الله لم يبعث الرسل إلا من أجل توحيد الألوهية أما توحيد الربوبية فقد أقر به الكفار!!) وهو ما جرأ مقلديه على تكفير المسلمين الذين حصل لهم خطأ في الاعتقاد. وقد زل بهذا التقسيم عوالم أصبحوا يكفرون المسلمين لوجود أخطاء عقدية فقرنوا بينهم وبين الكفار ولم يحفظوا لهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ثم يتوقف المالكي عند ابن القيم وتكفيره للمعطلة الذين يؤولون الصفات ، وهم جمهور المسلمين غير الحنابلة ، من

المعتزلة والأشـاعرة و الشـيعة والصـوفية. ويتحـدث أخـيرا عن تبادل التكفير داخل الحركة السلفية.[424]

ان الشيخ حسن المالكي ، وان لم يتحدث حتى الآن عن الشورى والديموقراطية ، الا ان رفضه لظاهرة التكفير وإطلاقه لصـــرخة التغيـــير والتخلي عن الوهابية ، في داخل الســـعودية تشــكل القاعــدة الأساســية لبنــاء علاقة ســليمة بين الحــاكم والمحكوم ، وتوطيد أسس الشورى في المجتمع .

3- الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق يؤمن بالشورى

وهو زعيم (الحركة السـلفية في الكـويت) وقد درس على يدي الشيخ عبد العزيز بن باز في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة. ولكن حدث لديه تطـور كبـير باتجـاه الشـورى ، بعد أن تحرر من المعالم الرئيسية للوهابية (كالتكفير والهجرة والجهـاد) مما سمح للحركة السلفية بالمشاركة في العملية الديموقراطية في الكويت.

وكان الشيخ عبد الخالق قد أعلن عن إيمانه الراسخ بمبدأ الشــورى الإســلامي الأصــيل ، وقــال:" الشــورى هي النظــام الإســلامي الوحيد الــذي يــأتي عن طريقه الإمــام أو الحــاكم أو الأمير أو الخليفة كما يحلو لنا أن نسميه. وليس هناك من طريق ســليم شــرعي للوصــول الى هــذا المنصب الخطــير العظيم، الإمامة العامة للمســـلمين إلا طريق الشـــورى . وان المبـــدأ الأساسي في الظـــروف الطبيعية الآمنة لاختيـــار الحـــاكم هو الشورى، وليس هنـاك طريق غـير ذلك ".[425] واسـتعان الشـيخ

---

[424] - المالكي ، حسن: قـراءة في كتب العقائد ، المـذهب الحنبلي نموذجا ، فصل: التكفـير والتبـديع في كتب الحنابلـة. عن موقع المـالكي في الانـترنت على العنوان التالي:
http://www.almalky.net/graa_fi_al3gaid.htm

[425] - عبد الرحمن عبد الخالق ،الشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي ص 23 – 24

عبد الـرحمن عبد الخـالق وهـو ينظر لمشـروعية الـدخول في الحياة الديموقراطية والمجالس التشريعية ، بفتـوى للشـيخ عبد العزيز بن بـاز ، يقـول فيهـا: "لا حـرج في الالتحـاق بمجلس الشعب إذا كان المقصـود من ذلك تأييد الحـق، وعـدم الموافقة على الباطل، لما في ذلك من نصر الحق، والانضمام إلى الدُعاة إلى اللـه. كما إنه لا حَـرَجَ كـذلك في اسـتخراج البطاقة الـتي يستعان بها على انتخاب الـدُعاة الصـالحين، وتأييد الحق وأهلـه، والله الموفق".[426]

ورفض أسـلوب التغلب بـالقوة وحيـازة الشـوكة طريقا للتوصل الى الحكم ، وقـال ان قبـول علمـاء السياسة من المسلمين لهذا الأسلوب عبر التاريخ لا يشكل إقرارا لهذا المبـدأ ولكن رضوخا له في ظـروف اسـتثنائية من بـاب (ارتكـاب أخف الضـررين) وخوفا من الوقـوع في أضـرار الخـروج على الحـاكم القاهر والمتغلب أكثر من ضـرر الرضـوخ لـه. وأكد أن التسـلط وفـرض السـلطان بـالقوة مرفـوض شـرعاً . وأنه لا يجـوز جعل الواقع التاريخي دليلا شرعيا على جواز حكومة المتغلب.[427]

وقال : ان الإمام في الإسلام مسؤول أمام الله والأمة أيضا ، وهو ليس حاكما مطلقا لا يُسـأل عما يفعل ، بل يُسـأل ويُراجع ويُنـاقش.[428] واعتـبر مهمة رقابة الحـاكم أهم عمل لأهل الشورى.

وأشار زعيم الحركة السلفية في الكويت الى مسألة مهمة جدا وهي اعتبـار الحـاكم نائبا عن الأمة وليس عن الله في تنفيذ حكم الله ، وان الأمة هي الـتي تختـاره وهي الـتي تملك عزله ، وهي التي يوكل إليها تقويمه إذا حاد، وتسديده إذا أخطأ.[429]

---

426 - عبد الرحمن عبد الخالق ، مشروعية الدخول إلى المجالس التشريعية ص17

427 - عبد الرحمن عبد الخالق ،الشورى في ظل نظـام الحكم الإسـلامي ص 23 – 24

428 - المصدر ، ص22

429 - المصدر ، ص 34-35

وانتقد الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق أكبر انحراف سياسي حـــدث في تـــاريخ المســـلمين أدى الى مصـــادرة حق الأمة في الشورى ، وهو تعيين معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد خليفة من بعــده ، وقــال:" إن موضــوع الشــورى في الإســلام من أخطر الموضــــوعات وأجلها لأنه أهم الأمــــور في تســــيير شــــئون المسـلمين، ورسم سياسـتهم ولقد كـان أيضـاً هو أول الأركـان هـــدياً وإقصـــاء من نظـــام الحكم الإســـلامي كما قـــال الحسن البصــري رحمه اللــه: "أفسد أمر هــذه الأمة اثنــان: عمــرو بن العـاص يـوم أشـار على معاوية برفع المصـاحف، والمغـيرة بن شـعبة حين أشـار على معاوية بالبيعة ليزيـد، ولـولا ذلك لكـانت شـورى إلى يـوم القيامـة" (تـاريخ الخلفـاء للسـيوطي ص79)، ولذلك بقي هـذا الحكم معطلاً في ظل الأنظمة الإسـلامية الـتي تلت ذلك اللهم إلا لمحـات قليلة كـانت الشـورى تطبق تطبيقـاً جزئيـاً تافهـاً. ولـذلك فقد فسـدت أنظمة الحكم، وسـارت وفق الهوى والاستبداد أزماناً طويلة حتى ألف المسلمون هذا الفساد والاسـتبداد، وظنـوا مع مـرور الـزمن أن هـذا جـزءا من النظـام الإسلامي نفسه، ومن تشريع رب العالمين".[430]

ورغم أنه اعتــبر الديموقراطية نظاما غربيا مفروضا على المسلمين من قبل المسـتعمرين [431]، و أنه نظـام غـير إسـلامي ينـــاقض الإســـلام في أخص خصوصـــياته، وفي أُسِّ أساسه وهو الســـيادة ، لأنه يجعل الحكم للشـــعب ويجعل الشـــعب مصـــدر الســـلطات جميعا .[432]. وهو ما ينـــاقض مناقضة أساســـية نظـــام الإسلام الذي يجعل السيادة لله، والحكم له سبحانه وتعـالى .[433] وان الخلط بين الديموقراطية والإسـلام يعتـبر نوعا من الشـرك [434]. الا ان الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق أجـاز تـولي المناصب

---

[430] - المصدر ، ص1

[431] - عبد الرحمن عبد الخالق ، مشروعية الدخول إلى المجالس التشريعية ص1

[432] - المصدر ، ص3

[433] - المصدر ، ص2

[434] - عبد الرحمن عبد الخالق ، **الحد الفاصل بين الإيمان والكفر** ص 31

التشـــــريعية والتنفيذية في ظل الأنظمة الديموقراطية ، ورفض مقاطعتها "أملا بتغيـــير الأنظمة الفاســـدة من داخلها وتبـــديلها والحد من شـــــرورها وآثامها ، وإزاحة من يتقلــــدون المناصب ويتولون إدارة شئون المسلمين من اللادينـيين وأهل الشـهوات والأهــواء.. وعـــدم تخلية الســـاحة لهم لــيزيفوا إرادة الأمـــة، ويتسـلقوا إلى دفة الحكم ويسـتولوا على مقـدرات المسـلمين، ويستبيحوا بعد ذلك دماءهم، وأعراضهم ودينهم وكرامتهم".[435]

وكــان لا بد للشــيخ عبد الخــالق وهو ينغمس في الحيــاة الديموقراطية في الكويت ان يرفض مبدأ مهما من مبادئ الغلاة – كما يقــول – وهو تكفــير المجتمع الإســلامي وتكفــير الحكــام جميعا ، ومن ثم تحــريم الولايــات العامة التنفيذية والتشــريعية وغيرها.[436]

ووجد نفسه مضطرا لمواجهة الفكر الوهابي القديم الذي كان يعتبر "الموحدين" فقط أنهم "جماعة المسلمين" ، والذي تجسد في بعض الحركات المتطرفة الحديثة ، فقــال:" اشـــتدت فتنة

[435] - عبد الرحمن عبد الخالق ، مشروعية الدخول إلى المجالس التشريعية ص23

[436] - يقـول:"مما يـدل على فسـاد القـول بتحـريم تـولي الولايـات العامة (الوزارة ونحوها وكـذلك النيابة التشـريعية) في ظل الأنظمة القائمة أن هـذا هو قـول أهل الغلـو، وجماعـات تكفـير المجتمع فلم يعـرف هـذا القـول في بدايته إلا عنهم ومنهم انتشر في بعض من غــرر بــأقوالهم. فجماعة شــكري مصطفى كانت أول جماعة فيما أظن قالت بعدم جـواز تـولي أية ولاية عامة أو خاصة في الحكومات المعاصرة بنـاء على عقيـدتها في كفر المجتمع كلـه، وكفر الحكام جميعا، وسواء عندهم أكانت الولاية وزارة أو إمامة صلاة أو غير ذلك. يقول أحدهم (كل الأعمال حلالها وحرامهـا في هذا المجتمع الجـاهلي لا بد أن تصب في النهاية في مصب واحد هو خدمة وبناء هذا المجتمع الكـافر). (ماهر بكري. الهجرة ص10 عن الغلو في الدين لعبدالرحمن اللويحق 525). بل بــالغ شــكري مصــطفى فقــال بعد أن ذكر مجموعة من الوظــائف: (كل ذلك.. إنما هو سلطان الطاغوت ودائرة اختصاصه ومواد الوهيته، والــداخلون في نظامه هم عبيـده وسـدنة محرابه وانه لا شـيء مما ذكرنا ولا قشة ترفع في الطريق بــــأمر البلدية في بلد الطــــاغوت إلا وهي داخلة في إلاهيته). (شكري مصطفى الخلافة 6/13 وعنه الغلو في الـدين لعبـدالرحمن اللويحق 526) وقد وافق هؤلاء الغلاة بعض إخواننا السلفيين . وللأسف أنهم اســتدلوا على ذلك بقـــريب مما اســـتدل به الغلاة". عبد الـــرحمن عبد الخــــالق ، مشروعية الدخول إلى المجالس التشريعية ص20

التكفير وشاعت القالة بأن كل المجتمعـات الآن كـافرة ، وظنت كل مجموعة أنهم وحـدهم جماعة المسـلمين ، وان غـيرهم إما كفار او مجهولي الهوية والـدين ، وان رأوهم يصـلون ويصـومون ويشهدون أن لا إله الا الله ويدعون الى الإسـلام ويجاهـدون في سبيل الله ما دامـوا لم يبـايعوا أمـيرهم ويـدخلوا في عقيـدتهم ، وظن أولئك ان حقيقة الإسـلام قد ضـاعت منذ عصر الراشـدين والى يوم ظهورهم هم حيث ظنوا أنهم فهمـوا الإسـلام وطبقـوا منه ما لم يفهمه سلف الأمة ، وقالوا : ان الزمان استدار كهيئته يـوم بعث محمد (ص) مبشـرا بهـذا الـدين ، فكما انه بعث في أقـوام من الكفـار يـدعون الى الهداية في الـدين ، ولم يكونـوا كذلك . فكذلك هم قد خرجوا في كفار يـدعون الإسـلام وليسـوا بمسلمين".[437]

وقال:" الحق الذي لا مراء فيه أنه يجب الحكم على عوام النـاس بـأنهم مسـلمون، ما لم يظهر من أحـدهم نـاقض من نواقض الإيمان عالماً به، مكـابراً فيـه. وإن الـواجب أن يعـاملوا معاملة المسلمين المؤمنين، وأن يعلموا حقيقة الإيمـان، وحـدود الإســلام. وأن لا ينقل فــرد منهم عن هــذه الحقيقة إلا بفعل مناقض للإيمان بعد قيام الحجة عليه".[438]

ودعا الى التريث في تكفير الناس ، وعـدم المسـارعة الى رمي المسلمين بـالكفر بمجـرد صـدور فتـاوى أو آراء تبـدو على خلاف كلام الله تعالى ، وضـرورة التثبت و التعـرف الكامل على مراد المتكلمين.[439] وقال:" لا يجوز أن يُحكم بـالكفر على مسـلم إذا رأيناه يفعل مكفرا من المكفرات إلا بالضوابط الآتية:

أ – أن لا يكون جاهلا، فإذا كان جاهلا بحكم ما يفعله فلا يكفر حتى يتعلم وتُقام الحجة عليه.

---

[437] - عبد الرحمن عبد الخالق ، **الحد الفاصل بين الإيمان والكفر** ص 3

[438] - المصدر ، ص32

[439] - المصدر ، ص 37

ب - أن لا يكون متأولاً يرى أن ما يفعله من مخالفة شــرعية إنما هو لمصـــلحة أعظم أو درءا لمفســـدة أعظم، كما تـــرك الرسول صلى الله عليه وسلم تنفيذ بعض الحدود درءاً لمفسدة أعظم، ونحو ذلك.

ج - أن لا يكون مضطرا

ووفق هـذه الضـوابط يكـون الحكم على معين ما أنه كـافر، وأما إلقاء الكلام على عواهنه، وتكفير النـاس دون العلم بحقيقة حالهم، فهذا لا يقدم عليه إلا رقيق الدين، قليل التقوى والخـوف من الله.[440]

وحذر قائلا:" ان من أعظم الفتن التي تجابه المسلمين في العصر الحاضر فتنة التكفـير، وأعـني بها القـول والاعتقـاد الـذي يعتقده ويقول به كثير من أبنـاء الأمة الإسـلامية في أن المجتمع المعاصر مجتمع كافر (هكذا بإطلاق الكلمة) والرمي بالكفر لكل من فعل مكفرا دون نظر إلى الشروط والموانع، أعني الشروط الــتي لابد من توفرها ليكــون فاعل المكفِّر كــافرا، والموانع إن وجدت انتفى القول بالكفر.

ولقد كان من آثار إلقـاء القـول بـالكفر على عواهنه أن رتب بعض من لا علم عندهم ولا فقه أن ديار الإسلام المعاصرة ديــار حـرب تسـتباح فيها الأمـوال والنسـاء، ولا تجـوز فيها الجمعة ولا الجماعـة، ولا حرمة فيها إلا لمن عـرف معتقـده على الحقيقـة، واستبان أمره ظاهرا وباطنا.. وكذلك كان من آثار ذلك أن اعتقد وظن كل من يرى كفر المجتمع أنه وحده أو من يــدين بدينه هم أهل الإيمان والإسـلام فقط فسـمى نفسه نفسه "جماعة المسـلمين" وإن كان واحدا، وإن كانوا أكثر من ذلك، جعلـوا أنفسـهم جماعة المسلمين دون غيرهم ولذلك بـايعوا أحـدهم وأعطـوه ما يعطى الإمـام العـام من الطاعة والنصـح، ورأوا أن كل خـارج عن بيعة

---

[440] - عبد الرحمن عبد الخالق ، فصول من السياسة الشرعية في الدعوة إلى الله ج2 ص 36

أمـيرهم خـارج عن الإسـلام يسـتباح ماله وعرضه إذا قـدر على ذلك".[441]

وأضاف: " لقد كان من آثار هـذه العقيـدة أيضا أن نفي بـاب الاضــطرار في الشــريعة، وجعل الجاهل في التكليف كالعــالم، والمتـأول كالمعانـد، ونفيت المصـالح الشـرعية جملة وتفصـيلا، وجعلت الشريعة الإسـلامية بلا حكمة ولا عقل ...ولقد كـان أيضا من آثـــار القـــول بـــالكفر بإطلاقه القـــول بحرمة التعامل مع المجتمع، ووجوب العزلة عنـه، والبـدء في الـدعوة إلى الإسـلام من جديد كما بــدأ رســول الله صــلى الله عليه وســلم مع أهل الجاهلية الأولى، بل لقد كان من آثار هذه الفتنة العقائدية ظهور الفتن الدموية الــتي تســتباح فيها دمــاء كثــير من المســلمين الغافلين".[442]

وأكد الشيخ عبد الـرحمن عبد الخـالق موقفه الممـيز بكل وضــوح ، قــائلا: " نحن نعتقد أن البلاد الإســلامية وشــعوبها ما زالت على الإسـلام، ومـازال سـواد النـاس وجمهـورهم يريـدون تحكيم شـــريعة الله فيهم، وإنما يحـــول دون ذلك اللصـــوص المتغلبــة، والمنــافقون من الحكــام الــذين يظهــرون الإســلام، ويوالون أعداء الله في الحكم بغير ما أنزل اللـه.. و أننا لا نقـول بكفـر المجتمعات والشعوب الإسلامية ولا نقول إن الجهـاد يجب أن يبــدأ من الصــفر حــتى تتمــيز الصــفوف بين جيل إســلامي ومجتمع كافر كما يقول بعض الدعاة. وقد بينا فساد هذا الاعتقاد في مواطن عديدة".[443]

ومن المعـروف ان بعض الحركـات الإسـلامية ، وخاصة في مصر ، قد اتجه منذ منتصف الستينات من القـرن العشـرين الى تكفير المجتمعـات الإسـلامية شـعوبا وحكومـات، لأنها اسـتبدلت

---

[441] - المصدر ، ج1 ص1

[442] - المصدر ، ج1 ص2

[443] - عبد الرحمن عبد الخالق ، مشروعية الدخول إلى المجالس التشريعية ص5

القوانين الإسلامية بالوضعية. واستباح دماءها وأموالها وأعراضها ، وقـام بهجرها ومقاطعتها واعتزالها ، وأعلن الجهـاد ضـدها ، واعتبر بلاد المسلمين دار حـرب . [444] ولكن الشـيخ عبد الخـالق رفض كل ذلك وقـال:"لاشك أن القـول بـأن ديـار الإسـلام الآن وأوطانهم ديار حـرب قـول فـاجر، ليس عليه دليل من كتـاب أو سـنة أو فقه أو عقل". [445] "ولا شك أن ديـار المسـلمين الآن وأوطانهم هي ديار إسلام مادام أهلها مسـلمون، وإن غلب بعض أنظمة الكفر عليهم، وهم مطـالبون بطاعة الحق فقـط، ومأمورون بمعصـية أنظمة الكفر وقوانينه لأنه لا طاعة لمخلـوق في معصـية الخـالق ".[446] " وإن إقامة أحـزاب أو جمعيـات أو تجمعـات في أي نظـام "ديمقـراطي" يسـمح بتعـدد الآراء والاتجاهـات لا يعـني بالضـرورة إقـرار المخـالفين، ولا الرضا بما هم عليه من الباطل ".[447]

وبعد أن رفض الشيخ عبد الخالق تكفير المجتمع المسلم او إعلان الحرب عليه ، أعلن تمسكه بالمنهج السـلمي في الـدعوة والإصـلاح ، وقـال:" إن الأصل في الـدعوة إلى الله - سـبحانه وتعالى- هو السلم ، و أن الطريق السلمي للدعوة هو الأسـاس، ولو أن الكفار لم يحاربوا رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ما حـاربهم، ولو سـمحوا لدعوته أن تصل وتبلغ ما قـام في وجوههم.. وهذا مع الكفار، فكيف مع المسلمين؟!".[448]

وهكذا اقترب زعيم الحركة السلفية في الكويت من النظام الـديموقراطي حـتى ولج فيه ، وقـال:"إن النظـام الـذي يسـمح للرأي المخالف أن يعلن، ويسـمح للمسـلمين بـأن يؤلفـوا حزبـاً

---

[444] - عبد الرحمن عبد الخالق ، فصول من السياسة الشرعية ج2 ص 32-34

[445] - المصدر ، ج2 ص37

[446] - المصدر ، ج2 ص38

[447] - عبد الرحمن عبد الخالق ،المسلمون والعمل السياسي ص14

[448] - المصدر ، ص14

لـــدعوتهم، أو جمعية لتحقيق بعض أهـــداف دينهم كنشر العلم، والأمر بـــالمعروف والنهي عن المنكـــر، وإنشـــاء الجامعـــات والمدارس والمعاهد، والعناية باليتامى والمسـاكين.. الخ. أقـول: النظام الذي يسمح بـذلك يجب التمسك به والحـرص عليـه، لأن بديل هذا النظـام هو الحكم الاسـتبدادي عسـكرياً كـان أو غـيره وهذا يضطر المسـلمين إلى الـدعوة سـراً، وفي هـذا من العسر والمشقة ما فيه".[449]

وقـــال أيضا:"إن الحـــزب السياســـي، والجمعية الخيريـــة، والتجمع والنقابة والاتحـاد، هـذه المؤسسـات الـتي يسـمح بها النظام الحر (الديمقراطي) يجب على المسلمين المبادرة إليهـا، واتخاذها سـبيلاً، وطريقـاً لنشر دينهم وتمكين عقيـدتهم، وتجميع قواهم، وتدريب وتعليم عناصـرهم، بل يجب على المسـلمين أن يسعوا إلى مثل هذا التشريع الذي يسـمح بـذلك لو كـان النظـام القـائم لا يسـمح لـه، لأن هـذا حق من حقـوقهم، بل واجب من واجباتهم، أن يتعـاونوا على الـبر والتقـوى، وأن يكونـوا جمعيـات وجماعـــات، وأحـــزاب تـــدعو إلى الله وتنشر دينـــه، وتعلي كلمته".[450]

---

[449] - عبد الـرحمن عبد الخـالق ،المسـلمون والعمل السياسي ص 15 وقد اسـتعان الشـيخ عبد الخـالق وهـو ينظر لمشـروعية الـدخول في الحيـاة الديموقراطية والمجالس التشريعية ، بفتوى للشيخ عبد العزيز بن باز ، يقول فيها: "لا حرج في الالتحاق بمجلس الشـعب إذا كـان المقصـود من ذلك تأييد الحق، وعدم الموافقة على الباطل، لما في ذلك من نصر الحـق، والانضـمام إلى الـدُعاة إلى اللـه. كما إنه لا حَـرَجَ كـذلك في اسـتخراج البطاقة الـتي يسـتعان بها على انتخـاب الـدُعاة الصـالحين، وتأييد الحق وأهلـه، والله الموفق". (مشروعية الدخول إلى المجالس التشريعية ص17)

[450] - عبد الرحمن عبد الخالق ،المسلمون والعمل السياسي ص16

الخاتمة

التكفير أزمة الفكر السياسي الوهابي

كما لاحظنا في الفصول الماضية فان أزمة الفكر السياسي الوهـابي وجـذور الاسـتبداد ، تكمن في مشـكلة التكفـير لعامة المسلمين ، و وضع شروط متشددة على تحقق صفة الإيمـان ،

و تضييق فتحة التوحيد ، و المبادرة سريعاً الى التشكيك بإسـلام الناس واتهـامهم بنقض عـرى الإيمـان. وقد أدت هـذه المشـكلة الى حدوث تناقض دائم مع الجماهير المسـلمة والعـداء لمختلف الطوائف و الأحزاب والتيارات الإسلامية ، وعدم الانفتـاح عليها ، بل و إقامة العلاقة معها على أسـاس الفتح و الاحتلال والعنف و القهر و الغلبة.

ان التفسـير الجديد الوهـابي للتوحيد سـمح للحركة إعـادة تشـكيل إطـار الأمة الإسـلامية ، حيث لم يعد يشـمل كل من يتشهد الشـهادتين ، و إنما فقط من يعتنق النظرية الوهابية في التوحيد ، و يصطف الى جانب دولتها.

و بغض النظر عما سببه هذا الموقف من ردود أفعال من عامة المسلمين ضد الحركة الوهابية ، فان مشـكلة التكفـير انعكست أيضا بين أبنـاء الحركة ، حيث حكمت الأنظمة السياسـية الـتي انطلقت منها على قطاعـات واسـعة من أتبـاع الحركة بـالردة و الكفر لمجـرد الخلاف او العصـيان ، كما اتهمت قطاعـات من الحركة بعض الحكـام و بعض الفئـات الوهابية بـالكفر و نقض الإيمان لمجرد اختلال تلك الشـروط المتشـددة ، كـالولاء للدولة العثمانية "الكافرة" بالمنطق الوهابي.

لقد خلقت قاعدة التكفير التي حكمت علاقة الوهابيين بعامة المسـلمين ، نوعا من التـوتر الـدائم بينهم ، و ذلك بسـبب مبـدأ الجهاد الذي التزمت به الحركة كطريق للدعوة و إجبـار "الكفـار و المشـركين والمرتـدين" على الـدخول في الإسـلام من جديد والتمسك بنظرية (التوحيـد) الـتي جـاء بها الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب ، وبسـبب رفض عامة المسـلمين للتفسـير الوهـابي الضـيق للتوحيد ، مما كـان يؤسس للعلاقة بين الطـرفين على أساس العنف والقـوة و الإرهـاب ، ويقضي على أي فرصة لبنـاء العلاقة بينهما على أساس الشورى و السلام.

وقد رأينا كيف أشـعلت الـدعوة الوهابية الـتي انطلقت في أواسط القرن الثاني عشر الهجري سلسلة طويلة من المعـارك و الحروب في قرى إقليم العارض من نجد ، و لمدة أربعين سنة ، ثم امتدت الى الأقاليم المجاورة كالاحساء و العـراق و الحجـاز فأقـامت مجـازر رهيبة بحق السـكان المسـلمين الآمـنين الـذين كـانت تنظر اليهم الحركة الوهابية ككفـار و مشـركين فعـاملتهم بقسـوة متناهية ولم تـرحم الصـغير و لا الكبـير ، و ربما كـانت

مجزرة كربلاء الشهيرة عنوانا بــارزا على تلك السياسة الإرهابية المتطرفة.

وإضافة الى قاعدة التكفير التي ارتكزت اليها الحركة الوهابية ، فإنها فشلت في إقامة نظام يقوم على الشورى و الانتخــاب و رضا المســلمين او بيعتهم للحــاكم ، و انســاقت وراء النظــام الوراثي الذي كان يفرش ظلاله على ربوع الصحراء في نجد كما في ســائر أنحــاء العــالم الإســلامي في عصــور التخلف و الانحطـاط. وأضـفت عليه مسـحة أيديولوجية بما اسـتوحت من نظريات فكرية سياسـية متخلفة تجـيز حكومة القـاهر المتغلب دون اشـــــتراط الشـــــورى او رضا الأمة وانتخابها له ، و بما استوردت من أحاديث تنسب الى الرسول الأعظم (ص) و تــأمر بطاعة الأمـراء وان ظلمـوا أو طغـوا ، دون ان تسـمح الحركة الوهابية الســلفية لنفســها بمراجعة تلك الأحــاديث و التأكد من صحتها ، او تقارنها بمبادئ الإسـلام العظيمة الداعية الى الرحمة و العدل و المساواة.

وقد أدى غياب الشورى من الفكر السياسي الوهابي والقبول بحكم القاهر المتغلب ، الى فتح بـاب واسع للصـراعات الداخلية و الانقلابات العسكرية والاغتيـالات ، الـتي ابتـدأها الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب نفسه عنـدما أمر باغتيـال قائد القـوات الوهابية الأمير الأكـبر في نجد ، أمـير العيينة عثمـان بن معمر . فقد بـدا الصراع على السلطة بعد وفـاة الأمـير سـعود الـذي أخذ الشـيخ البيعة له و لأبيه عبد العزيز بولاية العهد ، وتســـــنم عبد الله لمنصب الإمامة ، حيث أخذ عمه و أخوه ينافسانه على السلطة.

و رغم أن الحركة الوهابية ، بعد سقوط الدولة السـعودية الأولى كانت تعيش حالة مقاومة للسـيطرة المصـرية العثمانية ، الا انها لم تسلم أيضا من الصراع على السـلطة ، فقد نصّـب محمد بن مشــاري بن معمر نفسه قائـدا للحركة سـنة 1234هــ ، الا ان الأمير مشاري بن سعود لم يقبل بـذلك وحـاول انـتزاع السـلطة منه مما أدى الى مقتلـه. فقـام أمـير سـعودي آخر هو تـركي بن عبد الله بن محمد بن سعود في عام 1236 بالانتقام له من ابن معمر ، و قتل في طريقه أمـير بلـدة (ضـرما) ناصر السـياري ، ليفــرض هيمنته على الريــاض و يأخذ من أهلها البيعة بــالقوة . ولكن ذلك لم يمنع من اغتياله سنة 1249 ، على يد ابن أخته (مشاري بن عبد الرحمن بن مشاري بن سـعود) الـذي كمن له

عند باب المسجد وقتله غدرا بعد خروجه من صلاة الجمعة ، و استولى على السلطة عنوة . ولم تمض شهور حتى استطاع فيصل بن تركي بالانتقام لوالده وقتل ابن عمه مشاري ، و العودة الى الحكم.

وقد أدى الصراع على السلطة بين آل سعود الى استعانة جناح منهم وهم أبناء سعود بن عبد العزيز ، بالقوات المصرية لكي تعين أحدهم (خالد بن سعود) أميرا على نجد و تفرضه بالقوة سنة 1253هـ.

كما أدى الصراع على السلطة فيما بعد بأبناء الأمير فيصل الذي عاد الى الحكم مرة أخرى ، الى الاقتتال فيما بينهم و الاستعانة بالقوات العثمانية و الإنجليزية ضد بعضهم البعض الى ان زال حكمهم من الوجود في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

وبينما كانت الحركة الوهابية تعتبر التعاون مع الدولة العثمانية "الكافرة" و الولاء لها ناقضا من نواقض الإيمان ، لم يمانع أحد قادتها وهو الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود في التحالف مع الاستعمار البريطاني الزاحف على الشرق الأوسط في الحرب العالمية الأولى ، ضد الدولة العثمانية التي كان يتولى الإمارة من قبلها على نجد. ومع ذلك لم تمانع الحركة الوهابية الجديدة من التعاون معه و العمل في جيشه تحت شعار تكفير الدولة العثمانية و الشعوب العربية المجاورة ، و التحول الى أداة طيعة في يد ابن سعود لاحتلال مزيد من الأراضي و البلاد و العباد. وما أن كاد ابن سعود ينتهي من تحقيق أهدافه التي رسمها له الإنجليز حتى اصطدم بقوات (الإخوان) الوهابية واستعان بالإنجليز على قمعها وإخضاعها و القضاء عليها. كما استعان برجال الدين الوهابيين لتغطية عملية القمع باتهامهم بالخروج على الإمام.

وفي حين لم يقض ابن سعود على الوهابية تماما ، بعد تلك الضربة ، فانه لم يعد يلتزم بشعاراتها و لا ببرامجها العسكرية ، وحافظ على الحدود التي رسمها له الإنجليز في معاهدة دارين 1915 ومعاهدة جدة 1927 ، واستطاع ان يدجن الوهابية في مؤسسة دينية رسمية تابعة له تحقق له قدرا كبيرا من السيطرة الثقافية و السياسية في المملكة الجديدة التي أنشأها في نجد و الأحساء و الحجاز و توابعها. ومع أنه عدل من خطاب

الوهابية الرسـمي بما يجنبها من تكفـير عامة المسـلمين ، مما سـمح لها بالعمل فيما بعد في أطر المـؤتمر الإسـلامي و رابطة العالم الإسلامي و ما الى ذلك ، الا ان نغمة التكفير ظلت تـتردد على ألسن بعض كبار العلمـاء الوهـابيين بين الفينة و الأخـرى و خاصة تجـاه الطائفة الشـيعية ، مما حـرم الشـيعة في المملكة العربية السـعودية من ممارسة حقـوقهم الإنسـانية و السياسـية وأبعـدهم عن المشـاركة في السـلطة او المطالبة بنظـام الشورى.

و رغم أن الشـورى كـانت مطلبا جماهيريا في السـعودية و خاصة مملكة الحجـاز الـتي ضـمها ابن سـعود الى سـلطنة نجد سـنة 1925 على أسـاس و عد بحفظ حق الشـورى لها و إدارة أهلها لمملكتهم ، فان النظام السعودي قام على أساس القهر و الغلبة و الفتح و السـيف ، ولـذلك كـانت كلمة (الشـورى) أبغض شيء على مسامع النظام.

مع إغلاق بـاب الشـورى أغلقت أبـواب الإصـلاح و التغيـير السلمي في داخل النظام السـعودي ، و لم يعد حـتى للوهـابيين الحق في الاعتراض او المطالبة بالمشاركة في القرار السياسي ، أو إدارة الدولة و المجتمع ، ولم يعد أمـامهم سـوى سـلوك طريق التغيـير العسـكري و الجهـاد المسـلح ضد الدولة الـتي اعتبرها بعضـهم خارجة عن الإسـلام و عن الطريق المسـتقيم ، فكانت حركة جهيمان في مطلع القرن الرابع عشر الهجـري في الحرم الحرام ، و التي قدم خلالها جهيمان العتيبي زميله (محمد بن عبد الله القحطـاني) كمهـدي منتظر و مخلص يحـاول بنـاء الدولة الإسلامية من جديد.

ومع مضي النظام السـعودي بعيـدا عن شـعارات و أهـداف الحركة الوهابية ، وخاصة عند اسـتقدامه للقـوات الأمريكية للدفاع عن المملكة ضد العراق الذي احتل الكويت عام 1990 ، كـان على الحركة الوهابية إما التبعية و التأييد للنظـام ، كما فعلت المؤسسة الدينية الرسمية ، أو الاحتجاج الصامت و تقديم المذكرات الناصحة التي لا تجدي نفعاً ، و إما الخـروج المسـلح وتكفـير النظـام تمهيـدا لتـبرير الانشـقاق عليه ، ولم يجد الفكر السياسي الوهـابي حلاً وسـطا يتمثل في المطالبة بالشـورى و إجراء الانتخابات و الدعوة الى تغيير النظام سلمياً ، لأنه كـان لا يـزال يعيش في أزمة الشك في إسـلام و إيمـان الغالبية من

الشـعب السـعودي الـذي يضم طوائف و تيـارات عديـدة غـير الوهابية ، كما أنه كان لا يـزال يعتـبر الديموقراطية و الانتخابـات نوعـاً من البـدع الغربية المناقضة للـدين ولعقيـدة التوحيد ، و لتعليمـات الرسـول الأعظم الـذي يـأمر بطاعة الحـاكم و عـدم معارضته او انتقاده بصورة علنية او تحديد مدة حكمه فضلا عن إسقاطه و تغييره .

وإذا كانت الحركة الوهابية الثورية الجديدة مضطرة لتكفـير النظام السعودي و المؤسسة الدينية الوهابية التابعة له من أجل ان تسـمح لنفسـها بـالانقلاب على النظـام و العمل من أجل إسـقاطه ، فلنا ان نتصـور كيف سـتعامل هـذه الحركة سـائر المواطنين السـعوديين من مختلف الطوائف والتيـارات ؟ وكيف سـتتعامل معهم؟ وكم سـتعطيهم من الحقـوق السياسـية؟ وهل ستقبل بمشاركتهم في السلطة؟ بـالطبع سـيكون الجـواب على كل ذلك بـالنفي الأكيد . و من المؤكد انها لو نجحت سـتفرز نظاما سياسيا جديدا يقوم على توارث السـلطة و يخضع لآليـات الحكم و معـادلات القـوة الإقليمية و الدولية ، وسـوف يعـود التاريخ لكي يكرر نفسه ، حيث ستنفصل السلطة السياسية عن الحركة الوهابية أو تنقلب عليها ، وسـوف يكفر بعضـهم بعضا ، ويكفرون معا جماهير الأمة و يتخذون منها موقفا سلبيا.

وليس ذلك الا لأن الحركة الوهابية تنطـوي على تنـاقض جـوهري أبـدي مع الديموقراطية و الشـورى ، بسـبب رفضـها الاعتراف بالأمة الإسلامية على أسـاس الشـهادتين ، و إصـرارها على النظر الى النـاس من خلال منظـار الشـيخ محمد بن عبد الوهاب الضيق للإيمان والإسلام [451]، و هو ما يجعلها دائماً أقلية في المجتمع تلجأ الى العنف و تضـطر للتحـالف مع قـوة

---

[451] - أثنـاء حـوار لي في موقع (أنا المسـلم) الوهـابي ، في محـرم 1422 تقدم شخص كان يسمي نفسه (عبد الله السـلفي) فأبـدى إعجابه بحـديثي و كتاباتي ، واستغل الفرصة لكي يدعوني الى الدخول في (دين الاسلام) ، فلم أفهم ما يقـول وقلت له مسـتغرباً و مؤكـداً : إني ولـدت على الفطـرة ، من أبوين مسلمين في مجتمع مسـلم. ولكـني فهمت منه بعد ذلك أنه لا يعـترف بإسلامي و لا يؤمن بوجود مسلمين خارج إطـار (الـدعوة الوهابية) أو دعـوة التوحيد ، والاسلام الخالص الجديد الذي جاء به الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأنه يشكك بإسلام عامة المسلمين.

عســـكرية وتعتمد الجهـــاد ضد بقية المســـلمين و تقيم نظاما سياسيا على أساس القهر و الغلبة.

ولا يمكن للحركة الوهابية ان تخـــرج من هـــذه الأزمة المستعصية الا بإحداث ثورة ثقافية تعيد فيها النظر الى التصــور الوهـابي للإسـلام و الإيمـان و الـذي قدمه الشـيخ محمد بن عبد الوهـــاب ، و تتخلى عن سياسة التكفـــير لعامة المســـلمين. بالإضـــافة الى إعـــادة النظر في الفكر السياسي لابن تيمية و الذي يجيز فيه حكومة القـاهر المتغلب. و بكلمة أخـرى لا يمكن للحركة الوهابية ان تتقدم على طريق الشورى أو الديموقراطية الا بالتخلي عن الوهابية. وهو ما يقوم به فعلاً عدد غير قليل من أبنـاء الحركة السـلفية الـذين بـدءوا يعيـدون النظر في شـروط الإيمان المتشددة و في مقولة الديموقراطية. و يعترفون بإطـار الأمة الإسـلامية الواسـع. و ربما كـان رفض النظـام السـعودي لاسـتخدام اسم (الوهابيــة) محاولة منه للتحــرر من تركة الفكر الوهابي المتطرف ، و العودة الى رحـاب الإسـلام . وقد أصـدر وزير الأوقـــاف الســعودي عبد الوهـــاب بن أحمد عبد الواسع ، بتاريخ 12 / 5/ 1409 تعليماته الى الخطباء للدعوة الى التآلف والتـــآخي بين المســلمين والتشـــاور فيما بينهم على ما يصـــلح أحـوالهم الدينية والدنيوية ، وعـدم الـدعاء بـالهلاك على اليهـود والنصارى والطوائف الأخرى.

أحمد الكاتب
لندن 10 ذي الحجة 1423هـ / 11 شباط 2003

المصادر

كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب
1- التوحيد
2- الأصول الثلاثة
3- كشف الشبهات
4- رسالة في معنى لا إله إلا الله
5- رسالة في الرد على الرافضة
6 – الرسالة الثالثة في نواقض الاسلام
7- تطهير الاعتقاد
8- 128 مسألة من مسائل الجاهلية
9 – الرسالة المفيدة
10- دلائل التوحيد
كتب أخرى :
1- تاريخ نجد ، الشيخ حسين بن غنام ، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ، دار الشروق ، بيروت الطبعة الثالثة 1994
2- عنوان المجد في تاريخ نجد ، عثمان بن عبد الله بن بشر ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، الرياض الطبعة الرابعة 1983
3- من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي ، محمد أديب غالب ، دار اليمامة الرياض الطبعة الأولى 1975
4- تاريخ الكويت ، عبد العزيز الرشيد

5- تاريخ آل سعود ، جون فيليبي
6- جزيرة العرب في القرن العشرين ، حافظ وهبة
7- الوثائق البريطانية ، المجلد 2140 و المجلد 2479
8- معجزة فوق الرمال ، أمين الريحاني
9- الكويت وجاراتها ، هارولد ديكسون
10- دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية ، الدكتور أحمد الحصين
11- رسائل أئمة دعوة التوحيد ، فيصل بن مشعل آل سعود ،مكتبة العبيكات ، الرياض 2001
12- الرسالة التدمرية ، لابن تيمية
13- اقتضاء الصراط المستقيم ، ابن تيمية
14- مجموع الفتاوى ، ابن تيمية
15- الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
16- مجموع الرسائل والمسائل النجدية ، عبد الله بن عبد الرحمن بو بطين
17- تاريخ المملكة العربية السعودية ، عبد الله بن عثيمين
18- النظرية السياسية عند ابن تيمية ، حسن كونا كاتا ، دار الأخلاء ، الدمام الطبعة الأولى 1994
19- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، عبد العزيز العبد اللطيف ، دار الوطن ، الرياض 1412
20- مجموع فتاوى و مقالات ابن باز ، الجزء السابع
21- القول المفيد ، محمد بن صالح بن عثيمين
22- فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب ، سليمان بن عبد الوهاب
23- الدرر السنية في الرد على الوهابية ، أحمد زيني دحلان
24- فتنة الوهابية ، أحمد بن زيني دحلان
25- صـــيانة الانســـان عن وسوسة الشـــيخ دحلان ، محمد بشير السهسواني الهندي
26- منهاج أهل الحق و الاتباع في مخالفة أهل الجهل و الابتداع ، سليمان بن سحمان

27- لسراة الليل هتف الصباح ، عبد العزيز التويجري ، دار رياض الريس بيروت ، الطبعة الثالثة 1998
28- النظام السياسي و الدستوري للمملكة العربية السعودية ، أحمد عبد الله بن باز ، دار الخريجي ، الرياض الطبعة الثالثة 2000
29- السعوديون والحل الاسلامي ، محمد جلال كشك
30- الدولة السعودية الأولى ، عبد الرحيم عبد الرحمن
31- قيام الدولة السعودية العربية ، عبد الكريم الغرايبة
32- شبه الجزيرة العربية ، الزركلي
33- البــدو والوهــابيين ، جــون لــويس بروكهــارت ، ترجمة محمد الأسيوطي ، الطبعة الأولى 1988
34- الوهابيون و الحجاز ، محمد رشيد رضا ، الزهـراء للاعلام العربي ، القاهرة الطبعة الأولى 1996
35- الشورى لا الديموقراطية ، عدنان علي رضا النحوي ، دار النحوي ، الرياض ، الطبعة الرابعة 1992
36- الشورى في ظل نظام الحكم الاسلامي ، عبد الرحمن عبد الخالق
37- مشروعية الدخول الى المجالس التشريعية ، عبد الرحمن عبد الخالق
38- الحد الفاصل بين الايمان و الكفر ، عبد الرحمن عبد الخالق
39- فصول من السياسة الشرعية في الدعوة الى الله ، عبد الرحمن عبد الخالق
40- المسلمون و العمل السياسي ، عبد الرحمن عبد الخالق
41- الديموقراطية دين ، ابو محمد عاصم المقدسي
42- الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية ، ابو البراء مرشد بن عبد العزيز بن سليمان النجدي ، دار القصيم لندن 1994
43- مذكرة النصيحة
44- مشروعية محاسبة الحكام ، محمد المسعري ، مؤسسة الرافد لندن الطبعة الثانية 2000

45- هويات متغيرة ، مي يماني
46- صراع الاجنحة في العائلة السعودية ، فهد القحطاني ، الصفا للنشر ، لندن 1988
47- قيام العرش السعودي ، ناصر الفرج
48- العلماء و العرش ، الدكتور أنور عبد الله
49- الدين و الدولة في السعودية ، أيمن الياسيني
50- مجلة إقرأ ، العدد 779
51- جريدة الشرق الأوسط ، العدد 6156
52- مجلة الدعوة ، تاريخ 19/12/1415
53- مجلة البحوث الاسلامية ، العدد الأول من المجلد الثاني

كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب:
http://www.khayma.com/kshf/R/Kshf-A.htm
http://www.e-kotob.com/books/adv_search_results.asp?auth_id=887
http://www.khayma.com/iman/kitabutawheed.html
http://www.najran.net/arabic/books/islamic//tawheed
http://www.aaraa.jeeran.com/islamic/kotob/ageedah-dla_el-wahhab.htm
http://www.geocities.com/only2books/islamic/ageedah-128-wahab.htm
http://www.geocities.com/only2books/bks_islamic.htm
http://www.assiraj.bizland.com/library/shahadah2.htm

كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية
http://www.dorar.net/htmls/mbooks.asp

مجموعة فتاوى الشيخ ابن باز

http://www.ibnbaz.org.sa/last_resault.asp?hID=1317

خطاب أسامة بن لادن

http://www.khayma.com/rafidha/ematah.htm

كتب و مؤلفات ابو محمد المقدسي:

/http://www.almaqdese.com

كتب الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق

http://www.salafi.net/list.html

كتب الشيخ حسن المالكي

http://www.almalky.net/graa_fi_al3gaid.htm

هذا الكتاب

شهد العالم الإسلامي ، خلال القرن العشرين ، انفتاحاً كبيراً على الفكر الديموقراطي ، وأقيمت أنظمة برلمانية و انتخابات رئاسية في معظم البلاد الإسلامية ، ما عدا المملكة العربية السعودية التي ظلت تحتفظ بنظام شمولي مطلق يحتكر فيه الملك كل السلطات التشريعية و التنفيذية ، و فشلت في إحداث أي تطور ديموقراطي . و ربما كان لهذا الفشل عوامل عديدة ولكن أهمها قد يكون الفكر السياسي الوهابي الرافض للديموقراطية . و رغم ان علاقة الحركة الوهابية مع النظام السعودي لم تكن على خير ، وكان يشوبها كثير من التوتر والصراع بحيث كانت تفرز تيارات ثورية راديكالية تطالب أحياناً بقطع رأس النظام ، الا انها كانت تعيش أزمة فكرية سياسية محيرة تتردد فيها بين التكفير و الخروج أو الإرجاء و الخنوع ، و لا تجد بينهما مخرجاً. وهذا ما دفع بعض حركات المعارضة الوهابية للنظام السعودي كمنظمة (القاعدة) الى اعتماد استراتيجيات بديلة عن عملية الإصلاح الداخلي ، و ذلك بالتوجه للانتقام من الأعداء الخارجيين و تحميلهم كل المسؤولية عن

تدهور الأوضاع السياسـية الداخليـة. ففي حين اعترضت منظمة (القاعـدة) على التواجد العسـكري الأمـيركي في بلاد الحـرمين الشريفين ، وجهت كل غضبها على "المحتل الأميركي" وتغافلت عن الداعي والطالب للحماية الأميركية ، وهو النظام السـعودي. و بدلاً من أن تطـالب النظـام بطـرد القـوات الأجنبية ، او تعمل من أجل تغيـيره سياسـياً او تجد وسـيلة للمشـاركة في القـرار السياسي والضـــغط على الحكومة من أجل تنفيذ سياســـات شرعية منسجمة مع الدين الحـنيف و المصـلحة الوطنيـة.. بـدلاً من ذلك وجــدت نفســها مضــطرة لخــوض المعركة مع العــدو الخارجي المحتل ونقل المعركة الى عقر داره.